KÖPRÜLÜ KÜT. 19 Hc. Ahmet

KÖPRÜLÜ KÜT
19
Hc. Ahmet

قصهٔ حضرت یوسف

19

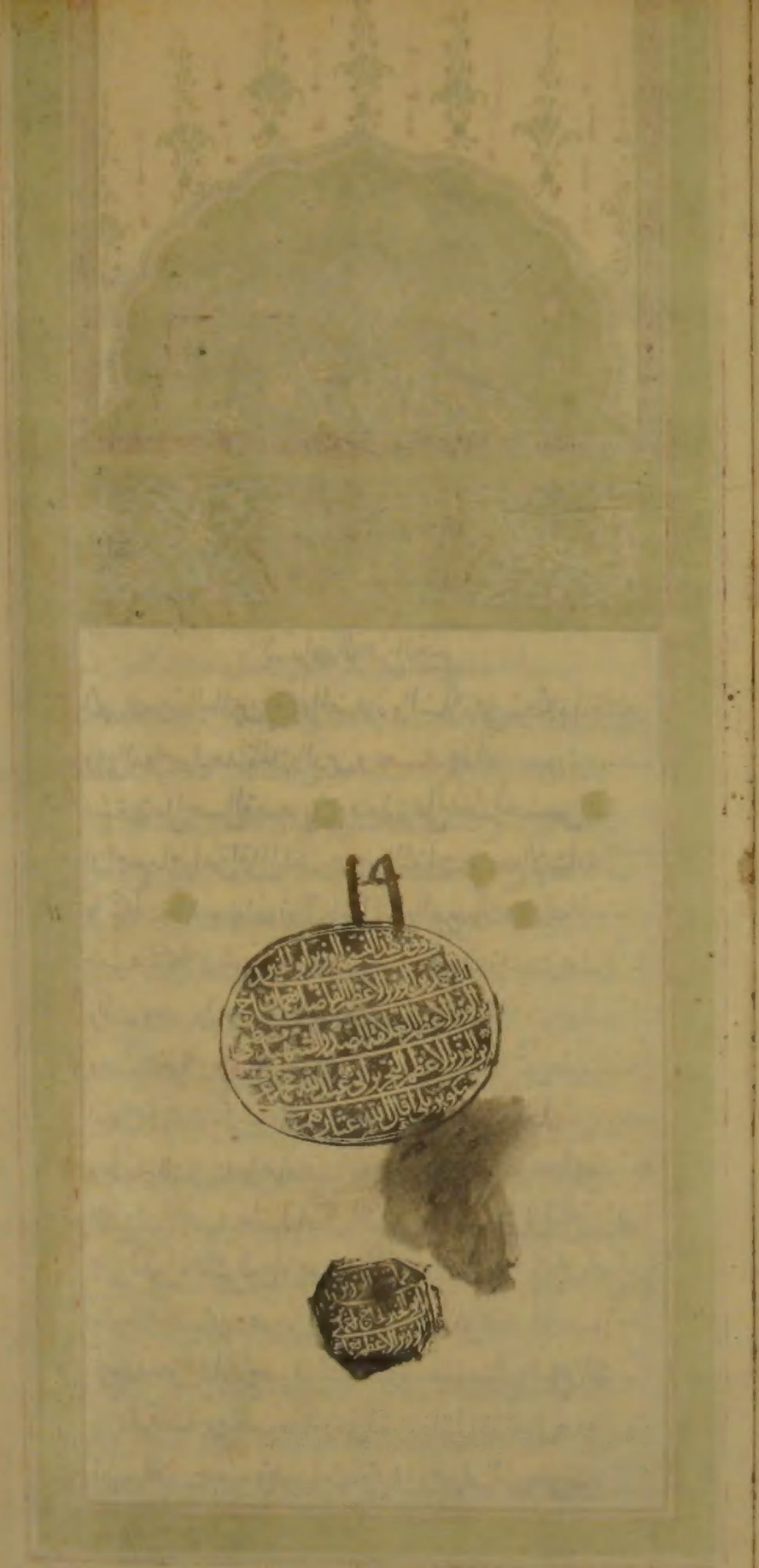

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ❁ والصلوة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى اله واصحابه هداة الملة والدين وبعد فلما كان سورة يوسف مشتملة على احسن القصص ❁ ومنطوية على اعظم الحصص ❁ اردت ان اجمع ما فيها من اقوال المفسرين من الثقات ❁ مع الاشارة الى الحصص والنكات ❁ جعله الله تعالى ذخرا ليوم العرصات ❁ والله المستعان فعليه التكلان سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية والف وسبعمائة وسبع وسبعون كلمة وسبعة الاف ومائة واثنان وستون حرفا روى عن ابى بن كعب رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال علموا رقائكم سورة يوسف فانه ايما امرء مسلم تعلم سورة يوسف وعلمها مملك يمينه واهله هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة ان لا يحسد مسلما ذكره النسفى وسبب نزولها ان اليهود قالوا لكبراء المشركين ان يعقوب النبى عليه السلام كان كنعانيا متوطنا بكنعان وهو من توابع الشام فسلوا محمدا باى سبب انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر فنزلت السورة بسبب سؤالهم وقيل ان اليهود تفاخروا بان لهم قصة يوسف مذكورة فى التورية فانزل الله تعالى هذه السورة تطييبا لقلب حبيبه وقلوب امته وقيل ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

تمنوا

تمنوا نزول سورة عليهم لم يكن فيها امر ونهى واحكام وحدود وناسخ ومنسوخ فنزلت هذه السورة وفيها تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لما يلقاه من اذى الاجانب والاقارب كانه تعالى يقول انا كما جعلنا عاقبة يوسف بعد ما القيه من اخوته انواع الاذاء سعادة ورفعة جعلنا عاقبتك اعز واشرف فلا تبال ولا تضجر بما فعل بك السفهاء من المشركين بسم الله الرحمن الرحيم الر صرح فى كتب الاصول ان المقطعات فى اوائل السور مثل الر ق ن الم من المتشابهات والمتشابه اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه وحكمه اعتقاد الحقية قبل يوم القيمة لانه يصير معلوما ومنكشفا فى الاخرة لان انزال المتشابه للابتلاء ولا ابتلاء فى الاخرة قال فخر الاسلام هذا فى حقنا لان المتشابهات كانت معلومة للنبى صلى الله عليه وسلم واعلم ان انقطاع رجاء معرفة مذهب عامة الصحابة واهل السنة وقال المتاخرون ان الراسخين يعلم تاويل المتشابه لان انزال القران لانتفاع العباد فلو لم يعلمه غير الله لطعن فيه الطاعنون وقيل الاختلاف فى هذه المسئلة فى الحقيقة بين الفريقين لان من قال بان الراسخ فى العلم يعلم تاويله اراد به انه يعلمه ظاهرا ومن قال انه لا يعلم اراد به انه لا يعلم حقيقة وانما ذلك الى الله تعالى وتفصيل هذا البحث فى مفصلات الاصول قال بعض المفسرين ان الر اسم للسورة وانه فى محل الرفع على انه مبتداء حذف خبره او خبر مبتداء محذوف اى الر هذه السورة او هذه السورة الر اى مسماه بهذا الاسم وقيل هى ثلثة من اسماء الله الحسنى الله لطيف رحيم وقيل معناه الله بعث جبرئيل الى رسوله وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والراء رحمته وقيل اوله اشارة الى انا ووسطه اشارة الى الجلالة واخره اشارة الى لفظ ارى فالمعنى انا الله ارى صنيع اخوة يوسف ومعاملتهم معه وارى بانواع من الضر والبلوى من الجب والتسجن وغيرهما ثم جعلته يملك مصر

وجمعته مع ابيه المبتلى وانا الله ارى ما يرى الخلق وما لا يرى بل من
العرش الى الثرى وارى خطوات كل ماش وانفاش كل متنفس واين
يذهب كل متحرك وارى عمل كل عامل وان ارخى الستور واخفى من المخلوق
ذكره النسفي رح تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة
فان الر على تقدير كونه اسما للسورة كما قيل يكون ايا تها مدلولات تضمنية
فيصح ان يشار اليها بقوله تلك وان يكون تعريف الكتاب للعهد الخارجي
والمعهود السورة المسماة بقوله الر فيكون الر على هذا مبتداء وتلك مبتدأ
ثانيا وما بعده خبر الثاني والجملة خبر الاول كانه قيل هذه السورة ايا تها
ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب والواضحة معانيها على ان المبين
من ابان بمعنى ظهر ووضح والمراد بظهور الكتاب بمعنى السورة ظهور كونه
معجزا للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم
او المعنى تلك ايات السورة المبينه لمن تدبرها انها من عند الله لا من كلام
البشر او لليهود ما سالوا وقيل اى تلك الايات المكتوبة في اللوح الموعودة
لك او تلك الايات التي اخبرت الانبياء بانزالها عليك او التي كنتم
توعدون بها في التورية هي ايات الكتاب وقيل المبين اى فيه بيان
ما يحتاج اليه الناس في دينهم من الحلال والحرام والرشد والضلال وبيان
الحق والباطل والعدل والجور انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا
كلاما مجموعا بلسان العرب سمي البعض قرانا لكونه اسم جنس يطلق
على الكل والبعض وفيه فضيلة للغة العرب لان القران انزل بها فيظهر
فضيلة قلب فيه القران ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة
للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال من الضمير فيه او حال بعد حال لعلكم تعقلون علة لانزاله
بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه

اوتستعملوا

اوتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان افتضاحه كذلك ممن لم يتعلم
القصص معجز لا يمكن الا بالوحي قال الامام ابو منصور رح لا ندري باي لسان
كان في اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان العرب وهكذا كل كتاب
انزل بلسان المنزل عليهم لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم ما تاتون وما تذرون
او لعلكم تعقلون ان هذه الانباء التي يخبركم بها محمد من الله تعالى لانها كانت
في كتبهم بغير لسانه فاخبر على معنى ما كان في كتبهم وانما عرف ذلك بالله تعالى
او لعلكم تعقلون بان فيه شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لما يحتاج
الناس الى معرفة ما فيه والناس اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا
فيه ذكركم اى شرفكم وقال الامام القشيري قدس سره في انزال الكتاب
عليه وارسال الرسول اليه تحقيق لاحكام المحبة وتاكيد لاسباب الوصلة
فان من عدم الوصول استانس بالرسول ومن بعد عن شهود الاحباب تسلى
بورود الكتاب وقال بعض اهل الاشارات جاء كتاب من الله الينا على يد الملك
والرسول فامتثلنا به لكونه نازلا منه تعالى وجاء كتاب منا الى الله تعالى على يد
الملك فنرجو من فضله ان يغفر لنا من غير نظر الى ما فيه وان كان عصيانا
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص والقصص
اتباع الخبر بعضه بعضا على سياقة بوجه لا ينقطع معانيه المرتبطة بعضها
على بعض والمعنى نحن نخبرك هذه القصة على وجه هو احسن من اقتصاصنا
اياها على موسى في التورية فانه روي ان اليهود تفاخروا بان الله بين لهم قصة
يوسف في التورية وهي غير مذكورة في القران فنزلت هذه السورة على ابدع
طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب التي هي افصح من لغة اليهود ليزول افتخارهم
على المسلمين وليكون لفظه وتركيبه اعجازا ببلاغته وكون معناه مطابقا
للواقع او المعنى نقص عليك احسن ما يقص ففي احسنيته وجوه كثيرة من
العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك

والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز
عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك وبعض المفسرين بينوا الاحسنيته وجوها
على وجه التفصيل منها انه يشتمل على عجائب وحكم لا يبلغ العقل كنهها
او كون باطن معناه دالا على صور السلوك وبيان حال السالك او اشتماله
على ذكر يوسف عليه السلام وهو احسن فان الله تعالى خلق الحسن الفجز
فاعطاه تسعة وتسعة وتسعين جزءا واعطى جميع الناس جزءا واحدا
او على صبر جميل او فيه عدم اغترار يوسف بملك مصر حيث قال رب
قد اتيتني من الملك بخلاف فرعون حيث قال اليس لي ملك مصر او فيه
توبة ابناء يعقوب وقبول توبتهم بخلاف ابن نوح او فيه عدم ميل يوسف
الى الاجنبيه او فيه عدم منع يوسف الطعام من اخوته والاحسان الى
المسئ من احسن الخصال الحميدة وقيل لانها مجموعة في سورة وسائر القصص
متفرقة وقيل لانها نحن نقص وعليك نقص فالمخبر هو احسن القائلين
قولا والمخبر عنه احسن الناس وجها والذي اخبر اليه احسن الناس قدرا
وقيل لخلوها عن الامر والنهي اللذين سماعهما يوجب اشتغال القلب لما فيه
من خوف التقصير وقيل لانها ليست قصة من قصص القرآن تتضمن من النكت
والفوائد ما يتضمن هذه القصة وقيل لامتداد الاوقات فيما بين اولها واخرها
وقال ابن عباس رض كان بين رؤيا يوسف ومصير ابيه واخوته اليه اربعون سنة
وقيل ثمانون سنة وقيل لانها في ابوين واولاد ليس فيه اجنبي وعدو وقال
محمد بن يحيى البشاغزي هي احسن القصص لما فيها ثلثة احوال مراعاة طاعة الله
في الرخاء والشدة وتحسين الاخلاق في المعاملة واقامة المروة ببذل الاسعة
عند القحط والسنة فمراعاة الطاعة عند الشدة والمصيبة بحدودها وشروطها
وصفوتها وجلاونها في صفة ضعف العبيد من عجوبات اللطف والتوفيق
وتحسين الاخلاق عند الجفاء والاذية وخصوصا من القرابة من اشرف مقام

الاختصاص

الاختصاص بالكرم وبذل الثروة والسعة وقت المحنة والحاجة من اعلى
منازل العبودية واصفى درجات السخاوة وقيل سماها احسن القصص
لحسن مجاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضائه عنهم وقيل لان فيه
ذكر الاحباب وقيل لانها لا يسمعها محزون الا استراح اليه اى سكن اليه
واطمأن به ذكره النسفي وغيره **بما اوحينا اليك هذا القران**
الباء متعلقة بقوله نقص وما مصدرية والمراد بهذا القران هذه السورة
اى نقص عليك احسن بايجادنا اليك هذه السورة **وان كنت من قبله**
لمن الغافلين وقد كنت من قبل القران او الوحي من الغافلين عن القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط او وما كنت من قبله الا من الغافلين
فان كلمة ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة ولها طريقان كما مر
وهو تعليل لكونه موحى وقال الامام ابو منصور يه وهذا يدل على ان الايمان
بجملة الانبياء والرسل ايمان وان لم يعرف انفسهم واسماؤهم وقصصهم
والغفلة ثلثة انواع مذمومة ومحمودة وغير مذمومة ولا محمودة فالمذمومة
الغفلة عن الله تعالى وعن ذكره وعن الاخرة والمحمودة هي الغفلة عن الشر
وتركه وغير المحمودة والمذمومة ما في هذه الاية وقال الامام القشيري قدس سره
في قوله بما اوحينا اليك اى لم تصل الى هذا بكدك وجهدك ولا بطلبك وجدك
بل بعطائنا وجدنا لا بعنائك وبتفضلنا لا بتعملك وبتلطفنا لا بتكلفك
وبنا لا بك كذا في التيسير **اذ قال يوسف** منصوب باذكر او بدل من
احسن القصص بدل الاشتمال ان جعل مفعولا اى اذكر يا محمد وقت قول
يوسف والمراد بذكر الوقت ذكر ما وقع في ذلك الوقت من الامور المستغربة
والنصايح المستحسنة لكن في تعليقه على الوقت مبالغة عظيمة كما لا يخفى
على ذوي البصيرة في علم المعاني صرح به في مثل هذا الموضع بعض المحققين
او المعنى نحن نقص عليك وقت قول يوسف وذكر يوسف في القران

ستا وعشرين مرة في سورة الانعام واربعا وعشرين مرة في هذه السورة ومرة
في حم المؤمن لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه علية الكريم بن
الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم روى
انه كان لاسحق ابنان عيص ويعقوب وكان عيص اكبر من يعقوب قيل
انهما كانا توامين ولد عيص اولا ويعقوب عقبه ولذا سمي به وعيص
ابو اهل الروم وكان اصفر ولذا سمي اهل الروم ببني اصفر وقيل بنو اصفر ملك
الروم اولاد الاصفر بن روم بن عيص بن اسحق ويقال له عيصو بالواو ايضا
ولما وصل اسحق الى اخر العمر عمي بصره وكان اسحق يحب عيص اكثر من يعقوب
قال له قرب اجلي ومن سنة ابي ابرهيم القربان فخذ لي صيدا حتى اجعله قربانا
وادعو لك ليجعلك الله خليفتي في الرسالة وبرتها ابناؤك وسمعت امرأة
اسحق هذا الكلام فلما ذهب عيص للصيد قالته ليعقوب وكانت تحبه
اكثر من عيص وجاءت بعجل ويعقوب بين يدي اسحق فسلم يعقوب وقال
اسحق من هذا قالت هو ابنك عيص جاء بما امرته فجعله اسحق قربانا وصلى
فنزلت النار واكلت القربان وكان هذا علامة القبول ودعا اسحق
ليعقوب بالرسالة ولابنائه ثم جاء عيص بالصيد فقال اسحق جئت قبل هذا
قال يا ابت الان جئت قال اسحق احتال يعقوب ودعوت له ولابنائه بالرسالة
ثم دعا اسحق لعيص بكثرة المال والنسل وولد له ابن سماه بالروم قال عثمان
ابن عبد العزيز كل ما وصل الى يعقوب من مكر الابناء ومعاملتهم باخيهم
يوسف كان مكافاة لفعله مع ابيه واخيه يا ابت اصله يا ابي فحذفت
الياء وعوض التاء عنها خاطب يوسف يعقوب عليهما السلام بالابوة
والاضافة الى نفسه للتعظيم والتواضع وزيادة الهاء في الاسم على الاب
للترفيق والعطف والتحنن روى ان عمر رضي الله عنه قال اني تعلمت الفتوة
من امرأة كان في حضنتها شيخ كبير تحمله فقلت من هذا الشيخ قالت ابي

بلغ

بلغ الى ارذل العمر اذا وضعته على الارض يبكي فاحمله وارتبيه كالصبي قلت لها
انك في تعب عظيم لو مات لاسترحت قالت يا امير المؤمنين هذا الكلام
ليس بمجد اذ متى كنت صغيرة ضعيفة كان يدعو لي بالجيوة وهو صار ضعيفا
فلا ينبغي ان اطلب موته وقد قال تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
اني رأيت في النوم فهو من الرؤيا لا من الرؤية اذ لو اجتمع احد عشر كوكبا
والشمس والقمر لما خفي على الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير
وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم وقيل كرره توكيدا لما طال
الكلام وقيل معناه انه رآهم في النوم ورآهم يسجدون له فالاول لرؤيته اياهم
والثاني لرؤية فعلهم وفي سجودهم له وجهان احدهما انه هو السجود المعهود على
الحقيقة وكان تكرمة له لا عبادة والثاني انه بمعنى الخضوع له وكانت الكواكب
الاحد عشر مثله لاخوته الاحد عشر والشمس والقمر مثالين لابيه وخالته
وكانت تحت ابيه وقد ماتت امه واسمها راحيل واسم خالته لايا وهما بنتا
لابان بن ناهر وناهر اخو ابرهيم الخليل ولابان بن ناهر كان حال يعقوب قال
وهب بن منبه كان يوسف رأى قبل هذه الرؤيا وهو ابن سبع سنين في نومه
احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة
تثب عليها حتى اقلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر
سجدن له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك الاية عن جابر بن
عبد الله رض ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسماء
الكواكب التي رآها يوسف فسجدن ليوسف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان اخبرتك لتؤمنن
بي قال نعم فاتاه جبرئيل فعلمه اسماءها وهي الجرثان والطارق والقابس والضروح
والفليق والمصبح والوثاب والذيال والعمودان والفرغ وذو الكنفات وامن

يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن له فاخبر والده فقال يابنى هذا
امر متشتت ويجمعه الله تعالى بعد فقال اليهودى والله ان الامر كذلك وانها
لاسماؤها فاسلم ومعه رجال من قومه وقال ابن عباس رضى الله عنه الشمس امه والقمر ابوه
وقال مقاتل الشمس ابوه والقمر امه وقال السدى الشمس ابوه والقمر خالته واسمها
راحيل وكانت امه ماتت واسمها لايا وعن ابن عباس رض قال بلغنا ان يوسف كان
نائما فى حجر ابيه ذات ليلة فانتبه مرعوبا فقال يعقوب حبيبى ما الذى ذعرك قال
يا اباه رأيت رؤيا عجبا قال فما رأيت قال رأيت كانى على راس جبل شامخ
وحوله انهار واشجار ورياض فبينا انا كذلك اذ رأيت كواكب نزلن والشمس
والقمر رايتهم لى ساجدين وقال الامام ابو منصور رح دلت هذه الاية على
ان اخوة يوسف كانوا علماء فانه شبههم بالكواكب وبها يهتدى فدل انهم
كانوا علماء بهم يقتدى وشبه الابوين بالشمس والقمر وبهما جميع منافع
الخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية فى الارض ونضج جميع الفواكه والانزال
ودلت الاية ان الرؤيا قد تخرج على عين ما راى فقد راى سجود الكواكب
وخرجت الكواكب على الاخوة والسجود على عينه وهو كرؤية ابرهيم ع م
فى المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكبش والذبح على عينه ودلت الاية ايضا
على ان اخوة يوسف كانوا علماء حكماء عارفين بتغيير الرؤيا فان يعقوب
قال ليوسف لاتقصص رؤياك على اخوتك الاية وذلك لعلمهم بالتعبير وقيل
راى يوسف ع م هذه الرؤيا ليلة القدر ليلة الجمعة فلما قصها على ابيه
فهم ابوه منها ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم عند شعورهم بذلك وقد راى فى حق يوسف رؤيا وهى
ان عشرة ذباب اجتمعن عليه يردن اهلاكه فاراد تدبير دفعه ولذا يعقوب
قال يابنى تصغير ابن انما صغره للشفقة لا للتحقير او لصغره سنا
لاتقصص رؤياك على اخوتك لاتخبر اخوتك برؤياك وهم رويل

ويهوذا

ويهوذا وشمعون ولاوى انهم لايا امرأة يعقوب ودان واشير وشجر
انهم ذلفاء جارية يعقوب ويغتال وحاذ وذابالون انهم ذلفاء جارية يعقوب
وبنيامين امه راحيل وهى ام يوسف ايضا مع اخوات وكانت راحيل اخت لايا
وهما بنتا لايان ناهر خال يعقوب والجاريتان هاتان كانتا هدية لايان
لختنه يعقوب كذا فى التيسير قال البيضاوى بيض الله وجهه الرؤيا كالرؤية غير انها
مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرف فى الثانية كالقربة والقربى وهى اى
الرؤيا انطباع الصورة المنحدرة من افق المخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعانى الحاصلة هناك
ثم ان المخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت الصورة المتخيلة شديدة المناسبة لذلك المعنى الكلى بحيث لايكون
التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه فان يوسف ع م راى سجود الكواكب والشمس والقمر فاحتاجت الى التعبير
فخرج السجود على عين ما راه لكنه وقع من الاخوة والاب والخالة لا من الكواكب
والشمس والقمر وقال القرطبى اختلف العلماء فى حقيقة الرؤيا فقيل هى
ادراك من اجزاء لم يجملها افق كالنوم المستغرق وغيره ولهذا اكثر ما يكون
الرؤيا فى اخر الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله تعالى للرائى علما ناشئا منه
ومخلوق الله الذى يراه على ما يراه ليصح الادراك قال ابن العربى ولا يرى فى المنام الا
ما يصح ادراكه فى اليقظة ولذلك لا يرى فى المنام شخصا قائما قاعدا مجال وانما
يرى الجائزات المعتادة وقيل ان الله تعالى ملكا يعرض المرئيات على المحل المدرك
من النائم فيمثل له صورة محسوسة فتارة تكون تلك الصور امثلة موافقة لما
يقع فى الوجود وتارة تكون لمعان معقولة غير محسوسة وفى الحالتين تكون مبشرة
ومنذرة ومنها ما يظهر معناه اولا ومنها ما لا يظهر الا بعد الفكر وقوله لاتقصص

رويا ك دليل على ان لا يقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح ولا على من لا يحسن
التاويل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا جزء من اربعين جزءا من
النبوة والرؤيا معلقة برجل طائر مالم يحدث بها صاحبها فاذا حدث بها
وقعت فلا تحدثوا بها الا عاقلا او محبا او ناصحا اخرجه الترمذى قيل لمالك
ايعبر الرؤيا كل احد فقال ابا النبوة تلعب وقال مالك لا يعبر الرؤيا الا من
يحسنها فان رأى خيرا اخبر به وان رأى مكروها فليقل خيرا او ليصمت قيل فهل يعبرها
على الخير وهى عنده على المكروه لقول من قالت انها على ما تاولت عليه فقال الاثم قال
الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة وفى هذه الاية دلالة على ان يجذر المسلم
اخاه المسلم ممن يخاف عليه ولا يكون داخلا فى معنى الغيبة لان يعقوب قد حذر
يوسف ان يقص رؤياه على اخوته فيكيدوا له كيدا وفيها ايضا دليل على معرفة يعقوب
بتاويل الرؤيا فانه علم من تاويلها انه سيظهر عليهم ولم يبال بذلك من نفسه
فان الرجل يوقن ان يكون ولده خيرا منه والاخ لا يود ذلك ويدل ايضا على ان يعقوب
كان احس من بنيه حسد يوسف وبغضه فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوفا
ان تغل بذلك صدورهم فيعملوا الحيلة فى هلاكه ومن هنا ومن فعلهم بيوسف
يدل على انهم كانوا غير انبياء وهذا يرده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد
الدنيوى وعن عقوق الانبياء وتعريض مؤمن للهلاك والقصد فى قتله ولا التفات
لقول من قال انهم كانوا انبياء ولا يستحيل فى العقل زلة نبى لان هذه الذلة
جمعت انواعا من الكبائر وقد اجمع المسلمون على عصمتهم منها وانما اختلفوا
فى الصغائر اعلم ان الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله لا يسترابها
وانما يراه الله المؤمن رحمة به ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه فان ادرك تاويلها
بنفسه والا سال عنها من له اهلية لذلك وقد رأى الشافعى وهو بمصر رؤيا
لاحمد بن حنبل يدل على محنته فكتب اليه بذلك ليستعد لذلك روى البخارى
عن ابى سلمة قال لقد كنت ارى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت ابا قتادة يقول

وانا كنت

وانا كنت لارى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب
واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل ثلثا ولا يحدث بها احدا فانها
لن تضره قال العلماء فجعل الله الاستعاذة منها نما يرفع اذاها الا ترى قول
قتادة انى كنت لارى الرؤيا هى اثقل على من الجبل فلما سمعت هذا الحديث
كنت لا اعدها شيئا وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم اذا رأى احدكم ما يكرهه
فليبصق عن يساره ثلثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه وفى رواية قال ثم
فاذا رأى احدكم ما يكره فليقم فليصل قال العلماء هذا كله ليس بمتعارض
فعلى الرائى ان يفعل الجميع والقيام الى الصلوة يشمل الجميع لانه اذا صلى
يتضمن فعله للصلوة جميع تلك الامور لانه اذا قام الى الصلوة تحول عن جنبه
واذا تمضمض نفث وبصق واذا قام الى الصلوة تعوذ ودعا وتضرع الى الله
من ان يكفيه شرها فى حال هى اقرب الاحوال اجابة وذلك السحر من الليل انتهى
كلام القرطبى واعلم ان العلماء قالوا ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها عن
قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب فيه
ان رحمة الله تعالى تقتضى ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب
وصوله حتى يكون الحزن والهم اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل مقدما
على ظهوره بزمان طويل حتى يكون البهجة الحاصلة بسبب توقع ذلك
الخير اكثر واتم وانما خص يعقوب عم الاخوة بالذكر لما ان الحسد شايع
فى الاخوة كما وقع بين هابيل وقابيل وبينه وبين عيص وكثيرا ما تقع العداوة
بين الاقرباء ولهذا قالوا اقرب الاقارب اشد العقارب ووقع فى الخبر
اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وهو اقرب الناس اليك وفى قوله
لا تقصص تنبيه على ان البلاء يحدث من النطق لا من السكوت ولا يسئل
احد يوم القيمة عن السكوت والبلاء انما جاء على يوسف من هذه القصة

وقال ع م من صمت نجا ومما يدل عليه ما نقل انه كان لرجل في زمن سليمان ع م عندليب
في القفص يترنم بالحان لذيذة يتلذذ به الرجل وجاء عندليب آخر ذات يوم ووقع على
القفص وتكلم بسير ثم طار فسكت عندليب الرجل وترك الترنم فحزن الرجل وجاء
الى سليمان ع م وطلب منه ان يسئل العندليب عن سبب سكوته فاستنطقه سليمان
قال يا نبي الله أتيني في القفص كان لفراق زوجي وجاء الى فات يوم فقال يا مسكين
ببلاء القفص انما جاء عليك من نطقك فاسكت حتى تنجو فسكت ولما اعلمه
سليمان ع م بخبره اطلقه عن القفص ولهذا نهى يعقوب يوسف عن اقتصاص
رؤياه فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة وذلك لعلمهم بالتعبير
نصبه بالفاء لانه جواب النهي وعلامة نصبه حذف النون يقول ان تاويل
رؤياك ظاهر فاويس ان يحملهم ذلك على ان يبغوا لك الغوائل ويحفروا لك الحيل
وهذا من الالهامات المجملة فانه يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانية على
الوجه الكلي ويصل اثره الى القلب ولا يتخصص في النفس مفصلا حتى يقع العلم
به كما هو فيقع في النفس منه خوف واحتراز ان كان مكروها وفرح وسرور ان كان
مرغوبا وليسمى هذا النوع من الالهامات انذارات وبشارات فخاف عليه
من وقوع ما وقع قبل وقوعه فنهاه عن اخبارهم برؤياه احترازا ويجوز ان يكون
احترازه من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته وزيادة قدره على اخوته فخاف من
حسدهم على ما عرفت وانما عاد كاد باللام مع انه متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل
يعدى به تاكيدا ولذا اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل آدم وحواء وقابيل وهابيل فلا يقصر جهده في تسويلهم واثارة
الحسد بينهم حتى يحملهم على الكيد قالوا واذكر الله تعالى مكائد الشيطان في
القرآن في ثمانية وستين موضعا تحذيرا للعباد انها فاز لهما الشيطان
واخرجها فلا تتبعوا خطوات الشيطان قال الامام ابو منصور يعني بدو كل شر
يكون من الشيطان يقذفه في القلوب ويخطره في الصدور ثم تكون الغرة على ذلك

والفعل

والفعل من العبد وهو ما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية
وفي الاية دليل على ان الرؤيا حق وهي من المبشرات وهي جزء من ستة واربعين جزء
من النبوة كما روي وفيها ان شفقة الاباء وافرة وحسد الاخوة ظاهر وفيها ان
عداوة ابليس لنا قديمة ولله تعالى في ابقائه لطف عظيم فانه يحيل بمعاصينا عليه
وذلك مذكور في قصة كثير من الانبياء مثل فارقها الشيطان وغيره ولما زجر
يعقوب عن اقتصاص الرؤيا على الاخوة شرع في تاويل رؤياه ولذا قال وكذلك
اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك يختارك فيستخلصك ويختصك بالنبوة وامور عظام اذ الرؤيا
الصادقة خصوصا مثل هذه الرؤيا من مقدمات النبوة ويعلم منها انك تصل
شرفا من الملك والامور العظام ويعلمك من تاويل الاحاديث ويلهمك
علم ما يؤل اليه عاقبة ما يراه الناس في منامهم وقيل تاويل الاحاديث العلم
بعواقب الامور بوحي من الله تعالى وقيل هذا كلام مبتداء خارج عن التشبيه
اذ لا دخل للرؤيا فيه اي وهو يعلمك من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان
كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل
مشكلات كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء ويتم نعمته عليك
ويكمل ما ابتدأك به من الانعام والابتداء اخراجه من اصلاب الانبياء والاتمام
بالنبوة والايحاء وبان يصل نعمة الاخرة ومن جملة الاجتباء واتمام النعمة انه تعالى
استانس به في غيابات الجب حين انقطع عن الاب والوطن والقاه الاخوة فيه
وورد في حق المؤمن وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وكذا المؤمن اذا انقطع
عن الاهل والوطن والقاه اخوته في حفرة القبر تانس به كان عثمان رض اذا حضر
عند القبر يبكي فقيل له يذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا قال عثمان رض
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة
فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه فعلى العاقل

ان يتضرع اليه تعالى حتى يوفقه ما كان يوسف في قبره يستريح الله تعالى وعلى
ال يعقوب اى اولاد يعقوب ودل على نبوة اولاده قيل من اين علم يعقوب
ان يوسف وسائر بنيه يكونون انبياء واجيب انما كون يوسف نبيا فانما
علمه بنفس الرؤيا فان مثل هذه الرؤيا من مقدمات النبوة ومبشراتها وقد قال
لم يبق من النبوة الا المبشرات وهي الرؤيا الصادقة واما كون سائر بنيه انبيا
فانما علمه استدلالا بضوء الكواكب وقيل كيف ذلك وقد فعلوا ما فعلوا
في حق يوسف واجيب بان العصمة انما تعتبر وقت النبوة لا قبلها كذا ذكر الامام
الرازي لكن قد سبق آنفا كلام من القرطبي يخالف ما ذكره كما اتمها النعمة
على ابويك من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق
عطف بيان لابويك اى بالرسالة والوحي وقيل وبتم نعمته عليك
بتخليصك من عوائل اخوتك وسائر الناس كما جعل لابراهيم الخلة وسلامه
وبردا وخلاصه من نار نمرود ولاسحق فداء بذبح عظيم على رواية وهذا
كله كان بشارة من يعقوب ليوسف وقيل كان دعاء له بذلك كله كما قال
في اخر السورة يغفر الله لكم ويقول العرب يديم الله عزك ويطيل بقاءك ولم يتعرض
يعقوب لنفسه هضما لنفسه وتعظيما لهما وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان
يجعل الجد ابا ويقرأ هذه الاية ان ربك الخطاب للنبي ﷺ عليم بما يجري
على يوسف من الابتداء الى الانتهاء وقيل اى بمن يستحق الاجتباء وبكل شئ
وفيه تنبيه على ان العاصي ينبغي ان لا يغتر بفعله المعصية في الخلوات
فانه لا يخفى على الله خافية ويقول يوم القيمة عبدي اتذكر يوم كذا حين
ادخيت الستور واخفيت من المخلوقين وبارزتني بالمعاصي وكنت
اهون الناظرين اليك فاليوم اذيقك اليم عذابي بعد ما حرمتك
من ثوابي فعلى العاقل ان يحترز عن المعاصي في السر والجهر لان الله تعالى
عالم الغيب والشهادة عصمنا الله تعالى عن الذنوب ووفقنا لطاعته

بحرمة نبيه وحبيبه حكيم فيما حكم ليوسف وابيه واخوته بما حكم
يفعل الاشياء على ما ينبغي وقال الامام ابو منصور قيل تاويل الاحاديث
تاويل صحف ابراهيم وقيل تاويل الاحاديث العلم والكلام وقال تعالى
ان ربك عليم بما يصنع به اخوته او عليم باتمام الانعام حكيم يضع كل شئ
موضعه وقال الامام القشيري قدس سره قيل الاجتباء عصمته عن
ارتكاب ما راودته امرأة العزيز عن نفسه وقيل من جملة الاجتباء اسباله
الستر على فعل اخوته حيث قال وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر
خلاصه من البئر وقيل من جملة الاجتباء توفيقه لسرعة العفو عن اخوته
حيث قال لا تثريب عليكم اليوم وتاويل الاحاديث هو معرفة قدر
كل احد والوقوف على مقدار كل قائل بما يسمع من نطقه وحديثه بحدة
الكياسة وصدق الفراسة واتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة وقيل
من اتمام النعمة الصون عن شهود النعمة برؤية المنعم ومن تمامها صونها
عن الزوال والتغيير ومن تمامها رفع التهمة عن مساكنة النعمة قيل في قوله تعالى
حكيم تنبيه على ان العاصي لو تاب عن المعصية او عمل الحسنة عملا
يقول النبي عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها كما قال تعالى ان
الحسنات يذهبن السيئات والماحي في الحقيقة هو الله تعالى لان
كرم الله تعالى يقتضي وعد ورد في الاثر ان الملك يطوي كتاب معاصي
العبد ويرفع قدمه من الارض ويضعه في السماء الدنيا ثم في السماء الثانية
حتى يبلغ السماء السابعة ويقف في مقابلة العرش ويقول يا رب انت
عالم السر ان العبد الذي وكلتني عليه فعل انواعا من المعاصي وكتبتها
في هذا الكتاب وهو يأكل نعمتك ويشكر لغيرك وهو عبدك ويخدم لغيرك
ويعصيك ويجعل نعمتك سلاحا لمحاربتك فلما شكى الملك بهذه
الشكاية اجاب الله سبحانه نعم فعل ذلك ولكن ندم بعده وجاء ندمه

الى حضرتى قبلك وعمل الحسنة فدخل فى زمرة عبادى الذى بدرؤن
بالحسنة السيئة فقد غفرت له فكرم الله تعالى واسع لا يزاحم شئ فعلى
العاقل ان يسعى لمرضاته حتى يصل لطفه بلا عتاب وعقاب لقد كان
فى يوسف واخوته فى قصتهم ايات للسائلين دلالات للذين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصة روى ان اليهود قالوا
للمشركين سلوا محمدا لم انتقل يعقوب من مصر الى الشام فنزلت السورة
وكانت اية على صدق نبوته وقال ابن عباس رض اتى قوم من اليهود رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوافق اتيانهم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة يوسف
فتعجبوا منه وقالوا له من اين لك هذا يا محمد فقال علمنيه ربى وعادوا
الى اليهود فقالوا له ان محمدا العربى يذكر قصة يوسف كما انزلت فى التورية
فنزلت هذه الاية وهى ايات للسائلين يعنى اليهود وقال مقاتل سألت
اليهود رسول الله عليه عن قصة يوسف فاخبرهم بها فلم يؤمن به
غير جبير عبد عالم الحضرمى وقال الامام ابو منصور الماتريدى فى تأويلات
القرآن يحتمل انه ايات للسائلين الى اخر الدهر ويحتمل انها ايات صدق
نبوته لان قصة يوسف كانت فى كتبهم بغير لسانه فجاء بها بلسانه من
غير زيادة ولا نقصان فدل انه بالله علم ذلك وقال الامام القشيرى فى
قصته ايات لكل ذى محنة حتى يعلم انه كيف يصبر ولكل ذى نعمة حتى
يعلم انه كيف يشكر ويقال فى قصة دلالات كيفية العفو عن الزلة
وكيف المجاملة عند اللقاء لاهل الحفوة وقيل فى قصته دلالات لطف الله
الجليل لاوليائه بالعصمة وايات ان المحبة لا تخلو عن المحنة وقيل فى قصته
ايات على ان من صدق فى رجائه تخلص يوما من بلائه وقيل ايات اى عجائب
وعبرا لا تحصى لاولى الالباب وقيل السئوال انواع والفوائد كذلك فاذا
جالست العلماء فاسئل بلسانك واذا جالست الحكماء فاسئل بعينك

وان جالست

وان جالست العارفين فاسئل بقلبك وان جالست المحبين فاسئل
بسرك فاذا لقيت العالم فقدم لسانك واذا لقيت الحكيم فقدم عينيك
واذا لقيت العارف فقدم قلبك واذا لقيت المحب فقدم سرك وان
اطلعت على غيب فقدم روحك وقال بعض اهل العلم يمكن تمشية الاية فى
كل السائلين فكانه قال ان سألك العصاة ما يفعل الله بهم فاقرأ عليهم قصة
يوسف وقل يغفر الله لكم كما غفر لاخوة يوسف وان سألك الذين يؤذون
الاباء ويعقونهم ما يفعل الله بهم اذا تابوا فقل يعفو عنهم كما عفا عن اولاد
يعقوب وان سألك الممتحنون ما عاقبة امرهم فقل الفرج كما فرج الله تعالى
عن يعقوب ويوسف وان سألك المسجونون والمهمومون والواقفون فى
القحط فاجبهم بهذه القصة وان سألك الذين مات اولادهم فقل يجمع الله
بينكم فى دار الكرامة فتسرون بهم ففى هذه القصة فوائد كثيرة لاولى الالباب
وقيل ايات للسائلين اى لاصحاب النبى عليه السلام حيث سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسمى الله هذا احسن القصص قال لان الخبر هو احسن
القائلين قولا والمخبر عنه احسن الناس وجها فان يوسف لم يكن
بعده احد فى الحسن مثله فقالت عائشة رض هو احسن ام انت يا رسول الله
قال هو احسن خلقا وانا احسن خلقا فقالت عائشه رض لم لا تخبر الناس
به قال صلى الله عليه وسلم ان لم اقل انا فقد قال الله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم فنزل جبرئيل عم وقال اخبر الناس ان نورك ونور يوسف اقترعا
فى صلب ادم فصار الحسن والجمال ليوسف والذكر والشرف والنور والحبور
والضياء والبهاء والعفاف والكفاف والهمة والرفعة والعلم والحلم والفضل
والعدل والعزم والحزم والبشارة والسعادة والحوض والشفاعة والدعوة
والاجابة والقضيب والناقة والتاج والعمامة والسيف والهراوة والصبر
والقناعة والنسك والانابة والرأفة والرحمة والوقار والسكينة والشريعة المرضية

والاحكام الحنيفية والصلوة المكتوبة والزكوة المفروضة والسمع والطاعة
والصف والجماعة والاذين والاقامة والتكبير والتهليل والتسبيح والتقديس
والتحميد والتمجيد والحج والعمرة والبلد الحرام والمسجد المعظم والزمزم والمقام
والمشعر الحرام والقران الحكيم والخلق العظيم والايات المفصلات والكلمات
المتلوات والازواج الطاهرات والعلو في الدرجات والبراق والمعراج والمقام
المحمود والحوض المورود والمحضر المشهود والافق الاعلى والمقام الادنى وسلام الله
العلي الاعلى ومشاهدة جماله الجلي الاقصى فهذه الخصال الجميلة والاحوال
السنية لم يعطها نبي من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وسلم فيكفي شرفا للعاقل
ان يكون امته اثبتنا الله تعالى فيه وبشرنا بمشاهدة جماله آمين وقيل ايات
لمن سأل عن قصتهم ولغير السائلين فلا كيفي بذكر السائلين فان كبار اولاد
يعقوب بعد ما اتفقوا عن اذلال اصغر اولاده اعني يوسف وفعلوا به ما فعلوا
قد اصطفاه الله تعالى للنبوة والملك وجعلهم خاضعين له وان وبال
حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل على قدرة الله تعالى وحكمته
وايضا يحصل لذلك السائل بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه السورة عليه وبيانه ما فيها من قصصهم على وجه صحيح موافق لما في الكتب
المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قراءة كتاب دلائل دالة على صدقه في دعوى
النبوة ومن جملة الايات والعبر ان الاصطفاء امر مخصوص بمشية الله تعالى
ولا يتعلق بسعي ساع ولا ارادة مريد ومنها ان من اراد الله به خيرا لم يكن لاحد
دفعه ومنها ان من عصم الله تعالى لم يكن لاحد رمية بسوء ولا قصد بشر
ومنها ان كيد الشيطان واغواءه امر لا يأمن منه احد حتى الانبياء فيكونون
على حذر منه ومنها ان اخوة يوسف فعلوا ما فعلوا بابيهم من العقوق والعذر
وبيوسف من القصد بقتله والقائه في غيابة الجب وبيعه بانه عبد واما
وتفريقه من ابيهم حتى بكى ابوهم على فراقه وابيضت عيناه من الحزن والبكاء

وصار

وصار حرضا اي اذابه الحزن فلما اعترفوا بذنوبهم واعتذروا عند يوسف
وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم ومنها انهم اعتذروا عند يعقوب وقالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين وهو مع التأذي الكثير منهم قبل عذرهم وقال
سوف استغفر لكم ربي فالعبد العاصي اذا اعتذر لذنوبه مع انه تعالى يتضرر
بها يغفر له كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
قيل في هذا المعنى ان كان عفوك لا يطلبن ذا زلل فمن يجود على العاصين
بالكرم ومنها انه ينبغي للعبد تمني الايمان عند الموت كما قال يوسف توفني
مسلما فانه تمني الاسلام لانفس الموت فان الموت مع الايمان ليس بموت
انما الموت لمن مات وفات الايمان العياذ بالله تعالى ومنها ان اللحوق بالصالحين
امر ممدوح ينبغي ان يطلب كما طلبه يوسف حيث قال والحقني بالصالحين
ورد في الخبر ان النبي عليه السلام كان في المسجد وجاءه رجل مغطا
وجهه بعمامة وصلى ركعتين وقال اللهم اعطني العافية في الدنيا والاخرة
والايمان عند النزع والامان في القيمة ثم ذهب فجاء جبرئيل فقال
يا رسول الله هل تعرف من المصلي قال عليه السلام لا قال جبرائيل هو اخوك
الخضر قال عليه السلام ردوه الي حتى اراه قال جبرئيل الان ذهب مسيرة ستة
اشهر ومنها ان يعقوب بكى في فراق مخلوق حتى ابيضت عيناه في الدنيا
فكيف يكون حال من كان له فراق من الخالق في الاخرة والفراق اشد الشدائد
الا ترى لو احرق ثوب لا يظهر منه صوت ولو احرق ظهر منه صوت
لان في الحزن اجزائه دون الحرق ومنها ان الفراق في الدنيا ينتهي بالموت
بخلاف فراق الاخرة فينبغي للاباء ان يعملوا اعمالا نافعا لانفسهم واولادهم
لئلا يقع الفراق بينهم في الاخرة الى غير النهاية ومنها انه ينبغي للاباء الذين
مات ابناؤهم ان يخافوا من انهم اذا ماتوا ان لا يصلوا اليهم وهذه الايات

وامثالها حصص متعلقة بالافاق ولنا حصص متعلقة بالانفس
وهي اقوى من الايات المذكورة وامثالها وهي ان قصة يوسف تطلع
السائلين من طريق الفهم الذي هو الانتقال الذهني على احوالهم في البدآ
والنهاية وما بينهما وكيفية سلوكهم الى الله تعالى فتدبر شوقهم وارادتهم
وتحذ بصيرتهم وتقوى عزيمتهم وذلك ان مثل يوسف مثل القلب
المستعد الذي هو في غاية الحسن المحبوب المرموق الى ابيه يعقوب
وهو العقل والقلب هو المحسود من اخوته من العلاوات اي الحواس الخمس الظاهرة
والخمس الباطنة لا بالقوة العاقلة فانها لا تحسد يوسف القلب ولا تقصد
بسوء واما حسد سائر الاخوة اي الحواس عليه وقصدهم بالسوء فهو انها
تنجذب بطبايعها الى لذاتها ومشتهياتها وتمنع استعمال العقل القوة الفكرية
في تحصيل كمالات القلب من العلوم والاخلاق وتكره ذلك ولا تريد ايضا
استعمالها اياها في تحصيل اللذات البدنية ومشتهيات تلك القوى الحيوانية
ولا شك ان العقل نظره الى القلب اكثر وميله الى تحصيل السعادة القلبية
من العلوم والفضائل اشد واوفر وذلك قولهم ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا واخوه هو القوة العاقلة العملية المتولدة من ام يوسف
القلب التي هي راحيل اي النفس اللوامة التي تزوجها يعقوب العقل
بعد وفاة النفس الامارة وانما قال ليوسف واخوه لان العقل كما يقتضي
تكميل القلب بالعلوم والمعارف يقتضي تكميل هذه القوة اي القوة
العاقلة بانواع الفضائل من الاخلاق الجميلة والاعمال الشريفة اعلم
ان هذه الحصص من الرموزات القرانية التي عجز العلماء الراسخون
من درکها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقران بطنا ولبطنه
بطنا الى سبعة ابطن وفي رواية الى سبعين بطنا ولذا ذكر الفضلاء
في اثناء تفسير الايات الكريمة نكات وخصايص على قدر الطاقة البشرية

والوقوف

والوقوف والاطلاع من الثقات ويذكر ان شاء الله تعالى واثناء بيان ايات
هذه السورة نكت وحصص تقرب من الفين تعميما للنفع ثم اعلم ان المراد باخوته
علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي ودوبالون ويشجر ودينة
من بنت خالة يعقوب لبا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين
الاختين محرما واربعة اخرون دان ويفتالي وجاذ واشر من امتين زلفة
وبلهة مات واحد منهم فبقي اثنى عشر سوى البنات روي ان ابليس تمثل
لاخوة يوسف غير بنيامين بصورة البشر وقال هل تعرفون احدا في الدنيا اقوى
منكم قالوا لا قال فلم تجوزون ان يكون الاصغر احب الى ابيكم منكم فحدث في قلوبهم
عداوة يوسف ولما قص يوسف رؤياه على ابيه وزجره يعقوب عن الاقتصاص
على اخوته سمعت بعض نساء اخوته فاخبرن ازواجهن فاشتد عداوتهم وظهر
الفساد في قلوبهم واراد واصرف حب ابيهم اليهم كما حكى الله سبحانه وتعالى بقوله
حيث قال عز وجل اذ قالوا ليوسف واخوه اللام جواب القسم تقديره والله
ليوسف واخوه لامه وهو بنيامين وتخصيصه بالاضافة مع انهم اخوته ايضا
لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا ونحن عصبة والحال
انا جماعة اقوياء يتعصب بعضنا لبعض احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما
والعصبة تطلق على العشرة الى اربعين واكثر سموا بذلك لان الامور العظيمة
تعصب وتقوى بهم او المعنى نحن جماعة لا يعجزنا الاحتيال عليه ليخلوا لنا
وجه ابينا فلماذا الانحتال لذلك وابونا يوثرهما علينا في الحب والمنزلة فان قيل
انا اخوة يوسف ان كانوا انبياء فكيف يجوز منهم الحسد القوي وتبعيد الاخ
الصالح من الاب المشفق قلنا ذلك لا يضر نبوتهم عندنا لان المعتبر عصمة الانبياء
في وقت حصول النبوة وما وقع منهم كان قبلها وقد سبق في هذا البحث تفصيل
القرطبي قيل المحبة امر قلبي فكيف عرفوه واجيب بانه انما عرفوه بامارات تظهر عند

اما فی حق یوسف فلان یعقوب اصحبه یوم عید ثلثة ایام قمیص ابرهیم الذی
البسه جبرئیل وقد جاء به من الجنة یوم القی فی نار نمرود وشد وسطه بمنطقة
اسحق ووضع فی ید حیزرانة جاء بها جبرئیل یوم ولد اسحق فوقع منهم ما وقع
لتخصیصه بها واما فی حق بنیامین فلان یعقوب کان ینظر الیه نظر الشفقة
فاستدلوا علی محبته ایاهما ان ابانا لفی ضلال مبین خطابین فی ایثاره
یوسف واخاه علینا وهو تفضیل المفضول وترک التعدیل فی المحبة ولیس المراد
من هذا الضلال عن الدین ولو اراده وه لکفروا بل المراد منه الخطأ فی تدبیر امر الدنیا
یقولون نحن انفع له فی امر الدنیا واصلاح امر معاشه ورعی مواشیه من یوسف
فنحن اولی بالمحبة منه فهو مخطئ فی صرف محبته الیه کذا ذکره محی السنة فی المعالم
وقال النسفی ای خطابین بایثارهما علی عشرة مع استوائهم فی کونهم اولاده
ومع اقتدار العشرة علی الاحتیال علی واحد فهذا عدو له منه عن طریق الرای
فی استصلاح الاولاد لتحاسد الاقارب لمثل هذا وقال الامام ابو منصور الماتریدی
فی تأویلات القرآن فیه دلالة علی انه لا باس للرجل بان یخص بعض ولده بالعطف
علیه والمیل الیه اذا کان فیه معنی لیس فی ذلک فی غیره ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله
لا باس للرجل بان یخص بعض ولده بالهبة له اذا لم یقصد به الجور علی غیره من الاولاد
وخصه لمعنی اوجب ذلک کما فعله ابو بکر رض بعائشة حیث نحلها جداد عشرین
وسقا بالعالیة ثم یحتمل تخصیص یعقوب یوسف واخاه بالحب وجوها احدها
ما رای فیهما من الضعف فی انفسهما والعجز فی ابدانهما فازدادت شفقته علیهما لذلک
وهذا مما یکون فیما بین الخلق والثانی انه خصهما بذلک لفضل خصوصیة کانت لهما
اما من جهة الدین والعلم او غیره امره الله تعالی بذلک والثالث انه لما بشر یعقوب
بنبوة یوسف کان یفضله علی سائر اولاده ویؤثره علیهم لذلک وقال الامام القشیری
قدس سره لما اعترضوا بقلوبهم علی ابیهم فی تقدیم یوسف علیهم فی المحبة عاقبهم الحق
سبحانه بان ترکهم حتی بسطوا فی ابیهم لسان اللوم فوصفوه بالضلال وهو من المحال

وان کان

وان کان المراد منه هو الذهاب فی امر یوسف بکل حال ویقال لما حسدوه فی
تقدیم ابیهم یوسف علیهم لم یرض الحق سبحانه حتی اقامهم بین یدی یوسف فخروا
له سجدا لیعلم ان الحسود لا یسود ویقال اطول الناس حزنا واد وهم غصة
من اراد تأخیر من قدمه الله او تقدیم من اخره الله تعالی اذا اخوة یوسف اراد
ان یجعلوه فی اسفل الجب فرفعه الله تعالی فوق السریر انتهی وقیل واذا اردت التفسیر
الانفسی یراد ان نسبة الحواس اباهم العقل الی الضلال الذی هو البعد عن الصواب
بالنظر الی الامور الدنیویة وذلک لعدم اطلاع الحواس علی المنافع الاخرویة
اقتلوا یوسف من جملة المحکی بعد قوله اذ قالوا کانهم اتفقوا علی ذلک الا
من قال لا تقتلوا وقیل انما قاله شمعون وقیل دان وقیل روبیل وهو اکبرهم
سنا ورضی به الاخرون الا من قال لا تقتلوا ذکره القاضی او اطرحوه ارضا
ای القوه الی ارض غریبة بعیدة عن ارض یعقوب بحیث یخفی علیه موضع یوسف
ویقصر ونه اخباره وقوله ارضا الی ارض نصب بنزع الخافض کما فی قوله واختار
موسی قومه ای من قومه ذکره النسفی وقیل ای اذهبوا به مسافرین ارضا منکورة
بعیدة من العمران نصبت بتقدیر فی کالظروف المبهمة لابهامها لتنکیرها
وقیل فی ارض تأکله السباع قال النسفی فی التیسیر وقال بعضهم لما قالوا لیوسف
واخوه احب الی ابینا منا انا لنراه ای لهم الشیطان فی صورة شیخ وقال ان یوسف یرید
ان یستعبدکم فقالوا ما الرای فقال اقتلوا یوسف او اطرحوه ارضا یخل لکم
وجه ابیکم فقالوا له لو فعلنا ذلک کنا عاقین للاب عاصین لله تعالی
فقال ثم تتوبون فتکونون قوما صالحین ثم غاب عنهم فتبتوا علی هذا الرای
یقول اقتلوا یوسف لتحسم مادة هذا الامر او القوه الی ارض غریبة یخل لکم
وجه ابیکم جواب الامر والمعنی یصف لکم وجه ابیکم فیقبل بکلیته علیکم
ولا یلتفت عنکم الی غیرکم ولا ینازعکم فی محبته احد ذکره القاضی اعلم
ان من جملة الحصص فی هذا المقام ان یعقوب احب یوسف لحسنه اخوته

حتى قصد واهلاكه ولكن الله جعله عزيز مصر كما ان الله تعالى احب سائر المؤمنين
فحسدهم ابليس واراد هلاكهم ولكن الله جعلهم اعزة وان اخوة يوسف ظنوا
ان يوسف اذا غاب انقطع حب يعقوب منه وينصرف الى حبهم ولم يصر كذلك
بل اعمى الله بصر عنهم وزاد حبه بيوسف وكذا الشيطان يريد ان يبعد المؤمن
بالمعصية وهو يستغفر ولا يغتر بطاعته قال صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العجب العجب حكى ان زاهدا رأى حوريا
فى المنام فسألها لمن انت قالت لك قال لها اجمل وجهك قالت بينا كنت
فى مجلس علم فبكيت على ذنبك واخذ ملك قطرة من دموعك وجاء بها
الى فمسحت بها وجهى فزادنى الله تعالى جمالا وان اخوة يوسف اغتروا بقوتهم
وكثرتهم وقالوا نحن عصبة ولم يعرفوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
كما ان ابليس اغتر حيث قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين
وان يعقوب لما اغمض بصره عن غير يوسف فتح الله بصره وابصر يوسف
فالمؤمن اذا غمض بصره عن المحرمات فى الدنيا فتح الله تعالى بصره
فابصر وجهه الجميل فى الاخرة ذكره بعض الافاضل **وتكونوا** مجزوم بالعطف
على يخل **من بعده** بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه او
عقوق الاب وعصيان امر الله **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى مما جنيتم
فيغفر لكم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تعتذرونه او صالحين
فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم ذكره القاضى قال الامام
القشيرى قدس سره قديما قيل من طلب الكل فاته الكل اراد اخوة يوسف
ان يكون اقبال يعقوب بالكلية عليهم والله تعالى يقول فتولى عنهم وقيل كان
قصدهم ان لا يكون يوسف عند ابيه فتساوى عندهم اقسام غيبته
وقالوا اما القتل واما النفى ولا بأس بعد ان لا يكون يوسف وقوله وتكونوا
من بعده قوما صالحين لم تطب نفوسهم بان يذهبوا عن الله بالكلية فدبر

والحسن

والحسن الرجوع قبل ارتكاب ما دعتهم اليه نفوسهم وهذه صفة اهل العرفان
اعلم ان من جملة الخصص فى هذا المقام ان اخوة يوسف دبروا التوبة
قبل ارتكاب ما دعتهم انفسهم اليه وهذه صفة اهل العرفان من اهل الايمان
كما ذكر القشيرى قدس سره **ومنها** تحقيق ما قيل من طلب الكل فاته الكل اذا
اراد اخوة يوسف ان يكون اقبال يعقوب بالكلية عليهم والله تعالى يقول
فتولى عنهم كما سيجئ **ومنها** ان ابليس يوسوس كل من يعمل المعاصى برجاء التوبة
والصلاح واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقتل يوسف ان الحواس يقتلون
القلب بالتلذذات البدنية قال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا قلوبكم بكثرة
الاكل وبطرحه ان يجعل القلب مشغولا بامر الدنيا بعيدا عن تدبير العقل
وفكر العاقبة وبخلو وجه الاب استنزالها العقل الى الفكر فى باب المعاش
وتحصيل اسبابه والتوجه نحوه ومعنى الكون بعده قوما صالحين كونها
فى ترتيب المعاش وتهيئة اسباب على حسب المراد ذكره بعض الافاضل
قال قائل منهم يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا واكبرهم فيه وقيل روبيل
وكان اكبرهم سنا ذكره القاضى **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم
فلا تفعلوه **والقوه فى غيابة الجب** فى قعره سمى لغيبوبته عن عين الناظر
لان الغيابة فى اصل اللغة الموضع الذى يغيب فيه صاحبه وكل ما غيب
شيئا عن الحس يكون فيه فهو غيابة والقبر سمى بذلك والجب البئر الذى
ليست بمطوية سميت جبا لانها قطعت قطعا ولم يحدث فيها غير القطع
من طى وتعريف الجب للاشارة الى بئر قد عرفوها فى اسفارهم **يلتقطه** ياخذه
الالتقاط تناول الشئ المطروح عن الطريق ومنه اللقطة **بعض السيارة**
بعض الذين يسيرون فى الارض اى يذهبون الى اطراف العالم ويحصل المقصود
وهو خلو وجه الاب من غير ارتكاب امر عظيم وهو القتل ومن غير لقب
سفر لا ذهاب به قال النسفى السيارة العير وقيل مارة الطريق يقول القوه

في اسفل بئر عميقه قليلة الماء على ممر السائلة والقوافل يلتقطه بعضهم
فيخلو لكم مكانه من غير ارتكاب القتل ويحصل لكم المقصود الاخر وهو رجوعكم
اياه الى البلد النائي من غير ان يحتاجوا الى تكلف سفر فيه بانفسكم فسمع هذا
القائل الى الاخوة بهذا التدبير وكان مقصده نقص رأيهم في القتل وجزمهم
عنه الى الرأي الثاني بتسهيل ذلك السبيل عليهم والعاقل اذا وقع الى شرين
اختار اهونهما ثم قوله في غيابة الجب بالتعريف دون التنكير له معنيان
يحتمل انهم اشاروا الى بئر قد عرفوها في اسفارهم ويحتمل ان يكون ذلك كقولك
ارم به في الماء ولا تريد ماء بعينه انما تريد به الجنس ان كنتم فاعلين
ان عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبياء بعد
وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده
قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له
قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم على جرايم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين
وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب
مع ابيهم وعفى الله عنهم ذلك كلها حتى لا ييأس احد من رحمة الله وقال بعض
اهل العلم انهم عزموا على قتله فعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا لهلكوا
اجمعين وكل ذلك قبل ان نباءهم الله تعالى كذا في المعالم قال النسفي رحمه
قال الامام ابو الحسين محمد بن يحيى البشاعري رحمه في كتاب عصمة الانبياء ان
الاخوة يستصحب الشفقة لكن الميل الى حظ النفس ربما يغلب على الشفقة
فلا يقدر على استعمالها فيعامل معاملة الاجانب والشفقة على حالها غير
متلاشية لكنها غير عاملة دليله قولا حدهم للاخرين لا تقتلوا يوسف
والقوه في غيابة الجب وهذا كلام من هذا القائل على نظم الشفقة واجابته
له مبنية على الشفقة ايضا الا ان مطالبتهم حظوظهم من ابيهم غلبت
عليهم فلا يتركوه من غير اذى ومكروه الحقوها به ولم يخرجوا ايضا بالهلاك

على الاستيصال لان الالقاء في الجب مرجو منه الخلاص وقولهم ايضا
ان ابانا لفي ضلال مبين عنوا به لفي خطأ بين حيث لا يسوي بيننا في المحبة
لنا والاقبال علينا والتبجح بنا ولم يعرفوا ان اقبال يعقوب الى يوسف لم يكن
من جهة الولدية وانما كان من معرفته بصنع الله تعالى في شجه بالتقويم وبما وضع
الله فيه من اللطائف فكانت محبته لما كان يكشف له من زيادة الاطلاع
على صنع الله فيه وكان لا يلزمه التسوية بينهم ولذا قالوا ان للاب ان يزيد
في الاحسان والبر على بعض الولد دون بعض لزيادة منقبة في الدين اكرم الله
بها وان كان الاولاد سواء في معاني الدين فعليه ان يسوي بينهم في الاكرام
والبر فلم يكن يعقوب عليه السلام في خطاء بين كما قالوا بنوه الا انهم توهموا
انه يكرهه لعين الولدية فرأوا انفسهم اولاده فنسبوه الى خطأ بين ولو عرفوا انه
لمعنى من لطائف الله تعالى فيه يكرمه لم ينسبوه الى الخطاء وفي ذلك ابانة انهم
يستعظمون اقبال ابيهم عليهم ويغتنمون اكرامه اياهم حيث ما كسبوه ولو
كانوا متهاونين بر الوالد غير مغتنمين عطفه عليهم لم يشتغلوا بتلك المماكسة
مع ابيهم الا انهم جعلوا وجه المعاملة في حلال كلامهم بعضهم مع بعض
ومع ابيهم ومع اخيهم من نحو قولهم ليوسف واخوانه احب الى ابينا منا ونحن عصبة
ومن قولهم اقتلوا يوسف وقولهم وتكونوا من بعده قوما صالحين وقولهم مالك
لا تأمنا على يوسف ثم ترك المجاهدة بقتله مفاصحة في ذلك كله دليل على
صحة ايمانهم اذ لو لم يكن لهم ايمان لم يكن لهم مانع عن قتله من غير تدسيس
واحتيال وفي ذلك كله دليل على ان بركة نبوة ابيهم واجدادهم كانت منعقدة
الى بواطنهم حتى لم يصيروا معاندين عناد المعرضين عن الحق بواجده الا انهم
لم يكونوا في ذلك الوقت انبياء فلم يكونوا معصومين عن المحظورات كلها فوقعوا
فيما وقعوا الحكمة بالغة علمها الله تعالى وعلم نفعها متصلا بهم وبابيهم وباخيهم
وبالمسلمين فاجرى الله عليهم تلك القصة وعقب تلك اللطائف والنعم

فيهم وفى غيرهم انتهى اعلم ان من جملة الحصص فى هذا المقام اختيار
اهون الشرين فان مقصود القائل بهذا التدبير نقض رأيهم فى القتل
فينبغى للعاقل ان يختار الاهون وان ينصح اخاه بالتدريج ولما قاله شفقة
والباقون قبلوه دل على ايمانهم اذ الشفقة من الايمان واذا اريد التفسير
الانفسى يراد ان بعض الحواس ينظر عاقبة الامور وتخاف من الافتضاح الكلى
ولكن لا يقدر على ان يمنع الاخوة عن جميع المفاسد فيقام الحواس الباقية بالالقاء
فى غيابة الجب اى جذبها القلب الى الجهة السفلية وقعر الطبيعة البدنية
لعله يلتقطه ويخرجه بعض السالكين اعلم ان اخوة يوسف لما قالوا
فيما بينهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا وقال لهم يهوذا او روبيل لا تقتلوه
ولا تسافروا به الى مكان بعيد بل القوه فى غيابة الجب الى اخر ما قاله
اطاعوه واستأذنوا اباهم اول مرة ولم يأذن لهم فجاؤا الى يوسف اذ
خدعة الصغير ايسر ومال الى قولهم وتضرع الى ابيهم فلما لان جاؤا اباهم
قالوا ليعقوب يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف حال من الكاف
اى لم تخاف علينا وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له
الخير اراد وابه استنزال يعقوب عن رأيه فى حفظه منهم بما وجد نسيم
حسدهم ذكره البيضاوى وقال النسفى رح قالوا لم تخاف علينا ان نناله
سوء وانا له لناصحون اى وهو اخونا وشفيقنا ونحن له ناصحون
يريدون به الخير ظاهرا وباطنا لا موضع لاتهامك ايانا فيه ونصحهم له
فى التسفار ان يحوطوه ولا يدعوه ياخذ وحشا مخوفا ولا يفرقوه عن انفسهم
ولا يكلفوه ما يخاف عليه منه ونحو هذا قال مقاتل فى الكلام تقديم
وتأخير قالوا ارسله معنا فقال انى ليحزنني ان تذهبوا به فم قالوا مالك
لا تأمنا على يوسف وقال فى كتاب عصمة الانبياء كانوا طالبوه مرارا
حتى خاطبوه بهذا مالك لا تأمنا على يوسف واراد وا بتأكيد هذا الكلام

استرسال

استرسال بهم واستسلامه بارسال يوسف معهم وقال الامام القشيرى
قدس سره كلام الحسود لا يسمع ووعظه لا ينجع وان كان فى معرض النصح فانه
يطمع الشهد ويطعم الصاب ويظهر الشفاء ويضمر الاوصاب ويقال وجب
من قبول يعقوب ما ضمنوه له من حفظ يوسف وقد تقرر قبله ما قال ليوسف
فيكيد والك كيدا ولكن اذا جاء القضاء عمى البصر ويقال من قبل على محبوبه حديث
اعدائه لقى ما لقى يعقوب فى يوسف من بلائه انتهى ومن الحصص فى هذا المقام
انهم لما ادعوا الامانة بغير صدق هتك الله سترهم وكذا اهل الرؤيا يوم
القيمة اللهم لا تخزنى يوم يبعثون وان يوسف كان يعرف حسدهم ويخاف
ضررهم ولكن الكريم لا يرد سائله كما قيل فى مثله شعر ولو لم يكن فى كفه غير
روحه لجاد بها فليتق الله سائله فلم يرد سؤالهم ورضى ببذل الروح وهو
واحد ولله الكريم الرحيم رحمة كثيرة كيف يرد سائله وان فى كلامهم نصحا
من وجهين احدهما انه باضمارهم الاضرار باخيهم كانوا معتقدين للنصح فمن
ارتكب الكبيرة اذا لم يستحلها فهو فى عقد الايمان صحيح فاخوة يوسف عرفوا
النصح فى باطنهم غير ان غلبة الشهوة فى حظوظهم حملتهم على ذلك الفعل
فلم يستعملوا النصح المتمكن والثانى انهم اعتقدوا تقييبه عن ابيه لا اصلا
وفى ذلك طرف من النصح وان كلام الحسود لا يسمع ووعظه لا ينجع وان
كان فى معرض النصح وان القضاء اذا جاء عمى البصر فان يعقوب مع احتياطه
فى حفظه وقوله له فيكيد والك كيدا طاعهم واذا اريد التفسير الانفسى
يراد مراودة الحواس للعقل عن القلب بالتسويلات مع كراهة العقل لذلك
وكذا النفس لا تجذب القلب عن ضبط العقل الا بعد ان يوافقها القلب
لما انهم لم يقدروا على ما ارادوا الا بعد موافقة يوسف ارسله معنا غدا
ابعثه معنا الى الصحراء غدا يرتع يتسع فى اكله الفواكه ونحوها من الرتعة
وهى الخصب اى ياكل جميعا ما يكون فيها بكثرة وسعة ويلعب وذلك

فى اللعب المباح الذى قد يفعله الكبار مع الصغار وخصوصا اذ كانوا
اخوة لا يحتشم بعضهم من بعض ويجوز ان يكون اللعب هو ما ذكر بعد
من الاستباق فى قولهم ذهبنا نستبق اى نرمى بالعتى والسهام
وقيل نتسابق بالاقدام وكل ذلك مباح فى الشرع قال النبى صلى الله عليه وسلم
ليس من اللهو الا ثلثة ملاعبة الرجل اهله ورميه عن قوسه وتأديبه
فرسه وقال صلى الله عليه وسلم سيكون فتوح فلا يعجزن احدكم ان يلهو
بقوسه او سهمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رض
على الاقدام كذا فى التيسير وانا له لحافظون اى فى حين لعبه من ان يناله
سواء او يتعثر او يطوف بحيث يخاف عليه من الوحوش والهوام قال
الامام القشيرى قدس سره اطمعوا يعقوب فى تمكينهم يوسف مما فيه
تفرج يوسف وراحته من اللعب فطابت نفسه بإذهابهم اياه
من عنده وان كان يشق عليه فراقه لكن المحب يوثر راحة محبوبه
على مشقة نفسه ولما ركن يعقوب الى قولهم وانا له لحافظون اتى من
قبلهم حتى قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب كذلك يكون
من سلم حبيبه الى اعدائه غض بحتشى بلائه وقال فى كتاب عصمة الانبياء
ما معنى اجابة يعقوب لبنيه فى ارسال يوسف معهم وقد سمع انهم للرتع
واللعب يدعونه ويحملونه وهو بنبئ مرسل صادق يحترز عن اجابتهم قلنا انه علم
عاملهم بالعشرة فيما لم يكن محرما على يوسف فى حال صباه والرتع واللعب
اللذان كانوا يدعونه اليهما لم يكونا معصية وان كانا مكروهين او لغوين
والنجباء الاجلة فى معاملة الناس ومجاملتهم كانوا لا يختارون من الاعمال
الا افضلها ومن الامور الا اكملها لكنهم اذا استقبلهم ممتنع منهم لغوا واصابة
بكروه عاملوهم على قدر احتمالهم فلم يكن من النجباء الاصفياء مذموما
لجميل مرادهم فى تحسين اخلاقهم استجلابا منهم للذين عاملوهم الى الحق والهدى

فان قال

فان قال قائل ان يجبى عليه السلام فيما يروى عنه عرف ذلك
حتى دفع الاجابة للصبيان الى اللعب حتى مدحه الله تعالى فقال واتينا
الحكم صبيا وهو ابن اربع سنين حيث قال لهم ما اللعب خلقت
فهلا عرف يوسف ذلك حتى كان يدفعهم قلنا انه عرف انه للعب
لم يخلق ولكن لم يدفع كلامهم تعظيما للاخوة الذين كانوا اكبر سنا منه
ولم يظهر الاجابة بالكلام ولا بالعمل رتعا ولعبا فما ناس به من حسن عشرته
وقال الامام ابو منصور يحتمل خاف يعقوب على يوسف الضيعة من جهة
الجوع بتركهم حفظا اوفات الاكل فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع اى ناكل
وخاف عليه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا عن
ذلك بقولهم ونلعب لانه ليس فى اللعب مشقة ولا شدة وخاف
عليه الضيعة بتركهم حفظا فامنوه عن ذلك بقولهم وانا له لحافظون
حتى ستنقذوه من يد بر وقيل مالك لا تأمنا هذا عتاب منهم لابيهم
ومثله فى القرآن ومالكم لا تؤمنون بالله وهذا عتاب الله مع عباده
وقال نوح مالكم لا ترجون لله وقارا وهذا عتابه مع امته وقال ومالنا
الا نتوكل على الله وهذا عتاب الصالحين مع انفسهم وقالوا قولهم
ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون تكلموا بثمانى كلمات
وفيها ثمانية انواع من الخطاء قالوا ارسله وهذا امر وامر الاب اباحة خطأ
وقالوا معنا وهذا منهم رؤية انفسهم وهى خطأ وقالوا غدا وهذا طول
امل وهو خطأ وقالوا نرتع وهذا حديث الاكل وحظ النفس وهذا
من المتورعين خطأ وقالوا ونلعب وهو من الانبياء وخطأ وقالوا وانا
وعظموا انفسهم وهذا من الكبراء خطأ وقالوا لحافظون راوا الحفظ
من انفسهم وهذا من الله فالاضافة الى العبد خطأ واطلقوا هذا الوعد
ولم يقولوا ان شاء الله وهو خطأ لكن ستر عليهم ابوهم مع علمه بخطاياهم

شفقه عليهم كذا في التيسير ومن الحصص ان يوسف عليه السلام لما اعتمد
على حفظ الاخوة وقع في البئر بسببهم فينبغي للعاقل ان يعتمد على الله تعالى
في كل الامور لا على عصمة الغير ولا على طاعته حكي ان جنيدا البغدادي
قدس سره قال ان الله تعالى يقول يوم القيمة من قابلنا باعماله قابلناه بعدلنا
ومن قابلنا بافلاسه قابلناه بفضلنا بيت جا رحيز اورده ام يارب
بدركاه تو نيست نيستي وعجز وتقصير وكناه اورده ام ومنها ان يوسف
ذهب ليلعب ويعقوب رضي به فابتلي واذا اريد التفسير الانفسي
يراد ان مراودة الحواس للعقل عن القلب وعكسه انما يكون بالتلذذات
الجسمانية والشهوات النفسانية والزخارف الفانية وميل القلب الى
وساوس النفس بسبب طمع العشرة واللهو فمن لعب في الظاهر اصابه
البلاء العظيم فكيف يكون حال من يلعب في الباطن قال يعقوب
اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
فان قيل كيف جاز وقوع قوله تعالى ان تذهبوا به فاعلا وهو مستقبل لقوله
ليحزنني وهو حال اذ يلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله قلنا ان الفاعل
في الحقيقة هو المضاف المقدر اي تصوردهابكم به الحزن انما يكون على الموجود
ولذا عرفوه بانه الم القلب لفوات المحبوب ومن الحصص ان يحزن المؤمن
على فوات ما هو محبوب له حكي ان حكيما قال من هم وحزن في غير ثلثة امور
فانه لم يعرف الحزن ولا السرور احدها هم الايمان انه يختم عمره بام لا
والثاني هم ام الله تعالى انه يتم ام لا والثالث هم الخصماء انه ينجو منهم ام لا
ومنها ان يعمل بموجب حزنه فان يعقوب لو عمل بموجبه ما رضي بذهابهم
بيوسف ومنها ان يستمر على حزنه حتى حصل له الامن والسرور قال
ابرهيم التيمي من كان آمنا ولا يكون محزونا نخاف ان لا يكون من اهل الجنة
لان اهل الجنة قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وروي ان الحسن

البصري ماروى الكاتبة رجع من دفن امه واذا اريد التفسير الانفسي
يراد ان العقل يحزنه ان يذهب الحواس بالقلب الى هواهن فانه اختل
البدن كله كما قال عليه السلام ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذئبة فخاف ان يشتغلوا عنه بما يشتغل
مثلهم فيغفلوا عنه فيعدو عليه ذئب فياكله وقال مقاتل وانما قال
يعقوب ذلك لانه رأى في المنام ان ذئبا انتزع يوسف من يده وقال الامام
ابو منصور به وهذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء حق وصدق فلا يحتمل ان رأى
ذلك ثم يقول واخاف ان ياكله الذئب ويدعه يذهب معهم لكنه خاف عليه
اكل الذئب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز اذ الخوف على الصبيان منها
والضياع عليهم يكون بالذئب اكثر من وجه آخر لانه جائز ان يفترسه سبع
عند استغفالهم بعمل وقال الامام القشيري قدس سره يقول اني ليحزنني ان
تذهبوا به لاني لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت الحالة حالة
السلامة فكيف ومع هذا اخاف ان ياكله الذئب وفي الخبر انما يسلطه
على ابن ادم ما يخافه ولما خاف يعقوب على ولده الذئب امتحن بحديث
الذئب كذا في التيسير ومن الحصص ان يحترز العاقل عن موضع كان فيه
مهلكات ويخاف ان يذهب به الاخوان السوء الى موضع ياكله الذئب الذي
اسمه جهنم فانها يوتى بها يوم القيمة بالسلاسل وتحجم الى الناس لتاكلهم
ومنها ان يعقوب ذكر العذر لابنائه بقوله واخاف ان ياكله الذئب وكانوا
لا يعلمون ان الذئب ياكل الناس الى ان قاله ولذا قالوا اكله الذئب وكذلك
ذكر الله تعالى العذر لعباده بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم كما ذهب اليه
بعض المفسرين حتى يعتذروا بان كرمك غرنا يا ربنا ومنها ان الانسان يسلط
عليه ما يخافه ويذكره فان يعقوب لما خاف على ولده وكانه تطير بالذئب

امتحن به وفى الحديث انه كان يحب الفال ويكره الطيرة واذا اريد التفسير النفسي
يراد ان العقل يخاف من القوة الغضبية فانها اذا ظهرت حجبت القلب عن الافعال
الخاصة وانها اقوى واشد اضرارا به وابطالا لفعله وهو المعنى من الاكل وانتم عنه
غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظ ومن الحصص
ان سبب الغفلة عن امر الاخرة الاشتغال بالرتع واللعب فينبغى للعاقل ان
يحترز عنهما والاشتغال بهما ومنها ان منشأ البطلان فى الايمان والعمل قلة
الاهتمام بحفظهما ومنها ان يعقوب لقن الحجة لابنائه فانهم قالوا يا ابانا انا
ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فكانهم اعتذروا بالغفلة ولهذا
قال بعض الصحابة لا ينبغى للعاقل ان يلقن الخصم الحجة واذا اريد التفسير النفسي
يراد ان الحواس تشتغل بالملاهى فتغفل عن حفظ القلب فيأكله القوة الشهوانية
والتلذذات النفسانية ويبعد عن تفطنه قالوا اخوة يوسف لئن اكله الذئب
اللام موطئة للقسم اى والله لئن اكل يوسف الذئب ونحن عصبة الواو
حالية اى والحال نحن جماعة عشرة انا اذا لخاسرون جواب القسم اى
انا اذا لخاسرون نخسر اخانا اولعاجزون مغبونون او مستحقون ان يدعى
علينا بالخسار قيل حق فى حق اخوة يوسف ما وصفوا به انفسهم من الخسران
فان من باع اخا مثل يوسف بمثل ذلك الثمن البخس يحق ان يقال خسرت صفقتك
وفى كتاب عصمة الانبياء فان قالوا كيف يجوز من النبى المرسل الاشتغال بعادات
الناس فى كلامهم من نحو قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به الى اخره واسرار الانبياء كانت
لله تعالى غير منبقى فيها غير ذكره فكيف كان يحزنه امر يوسف قلنا هذا اظهار
منه الشفقة على الولد والوالدان مأموران بالشفقة على الاولاد والشفقة
عليهم لا تزيل حق الحق عن اسرارهم لان الشفقة قائمة برحمة الله تعالى ورحمته
صفته لا تبعده عن الحق سرا وعلنا قال الله لنبيه فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كان باطنه مصفى عن شوائب الشك وروائب الميل الى الاسباب

دليله قوله وما اغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت اخبارا
بان ما يخاطبهم على قدر احتمال عقولهم على ما جرت به العادات فيما بين الناس
من استعمال الاسباب لابداء العذر وتسكين الخواطر من لعل وعسى وقال
بعض الحكماء توكل يا لمنطوح وان بلاء يعقوب من ذلك قال انى ليحزننى فحزن
وقال واخاف ان يأكله الذئب فقالوا فاكله الذئب وقال وانتم عنه غافلون
فجعلوا ذلك عذرا لانفسهم فقالوا وتركنا يوسف عند متاعنا وكان يجتهد
بذكر هذه الكلمات فى حفظ الولد وحث الاخوة على ذلك فتكلم بما صار تلقينا
لهم ما فا يفعلون فقد كانوا لا يدرون ما ذا يصنعون به وما ذا يقولون له
فتلقنوا من كلماته عذرهم وتعلموا با شارته غدرهم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال
لما قال يعقوب واخاف ان يأكله الذئب قالوا ما سمعنا بذئب اكل انسانا
فمن اين تقول هذا قال رأيت منذ ليال كأنى على قلة جبل ويوسف فى بطن
الوادى وقد احاطت به عشرة ذئاب يريدون قتله فاردت النزول لانقذه
فلم اجد الى ذلك سبيلا فبينما انا كذلك انشقت الارض وسقط يوسف
فيها فهالنى ذلك واستيقظت فاذا يوسف فى حجرى فقلت الحمد لله قال ابن عباس رض
فالحيل حال يعقوب والذئاب اخوة يوسف وانشقاق الارض وقوعه فى غيابة الجب
فقيل لابن عباس وهل كان يعلم يعقوب تأويل الرؤيا قال نعم قالوا له فلم ارسله
معهم فقال اما سمعتم اذا جاء القدر عمى البصر كذا ذكره النسفى فى التيسير
روى ان ابليس اتاهم فقال وهو فى صورة شيخ وكانوا يريدون ذلك فى الشتاء
ليس هذا وقت الخروج به الى الصحراء فامكثوا حتى الربيع فقولوا للاب طاب
الزمان وتزينت الصحراء ويوسف فى البيت لا يرى ما نرى فاذن لنا يخرج
معنا فيتفرج فلما جاء الربيع جاؤا الى يوسف وكلموه حتى رغبوه فى ذلك
وقالوا اذا سألنا ابانا ان يأذن لك فاجهد ان معنا فى الاستباق ففعلوا
فتضرع يوسف ابيه فى ذلك فاضطر فاذن له لبدا ان يخرج معهم غدا

دليله

وكان طول الليل يبكي خوفا من فراقه وتلك الليلة صارت بالنسبة الى يوسف
طويلة لاشتياقه بالربع واللعب وبالنسبة الى يعقوب قصيرة لخوف فراقه
حبيبه فلما اصبح رحله وطيبه وبنفيس الثياب حمله وان القميص الذى
البسه جبرئيل الخليل عليها السلام وقت القائه فى النار جعله فى القصب
وعقده فى عضده او حمله فى تميمة وعلق فى عنقه ووضع قرصين وزيتونا
فى زنبيل ولبنا وماء فى كوز وسلمه الى شمعون وقال اذا جاع يوسف اطعمه
واذا عطش اسقه فانه لا يصبر على الجوع والعطش وفرح يوسف بذهابه
معهم ولكن ظهر خلافه وبكى يعقوب للفراق منه يوما ولا يعرف ان مدة الفرقة
تمتد وليس يعقوب لباسه فخرج معهم يشيع يوسف فلما خرج من درب
كنعان الى شجرة كان عندها وداع المسافرين ولذا سمى تلك شجرة الوداع عانق
يوسف وودعه وبكى وقال لاخوته لا تلوموني فانى اوتيتم فيه آثارا وابى
وجدى واوصى يوسف بوصايا قال لا تنس الله بكل حال واذا وقعت فى بلية
فاستعن بالله تعالى واكثر من قول حسبى الله ونعم الوكيل فان جدك ابرهيم
حين القى فى النار قال ذلك ولا تنسنى فانى لا انساك ولا تضحك حتى ترانى
فانى لا اضحك حتى اراك وعاهد اخوة يوسف ان يطعموه ويسقوه عند الحاجة
ويحملوه ولا يتبعوه فقبلوا منه ذلك ومن الحصص ان يعقوب قبل اقوالهم
لكونها فى نفسها حسنة كما روى ان والى بلخ ابو ابراهيم كان قاعدا وآسمعيل
الستة مانى واقفا على رأسه وكان يرفع قصعة فقطر منها قطرة على ثوبه
فامر بضرب عنقه فلما علم اسمعيل ذلك اخذ القصعة وصبها بجملتها
على رأس الامير فقيل له ويحك هو امر بضرب عنقك بسبب قطرة
فلم تخف حتى صببت ما فى القصعة كلها قال اسمعيل علمت انه اراد قتلى
بقطرة وانا قلت ان الناس يذمونه ويقولون انه قتل واحدا من اصحابه
بلا جرم فصببت القصعة ليكون له عند الناس عذر انه اساء الادب

فقتله

فقتله فاكون انا المعيوب لا الامير فعفا عنه الامير وامر باعطائه فقال
يا قبيح الافعال وحسن القول عفوت عنك قبيح فعلك بحسن قولك وكذلك
يكون حال المؤمن مع الله تعالى يوم القيمة يقول الله تعالى يا قبيح الفعل وحسن القول
عفوت قبيح فعلك بحسن قولك وهو قول لا اله الا الله ومنها ان بعض الناس
يزعم ان القرار فى القبر طويل للاشتياق الى الجنة ونعيمها وبعضهم يزعم ان
القرار فيه قصير لخوف العذاب كما قال الله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من
مرقدنا ومنها ان الله تعالى يلبس عباده المؤمنين المحبوبين الحلل كما البس
يعقوب يوسف ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع لامته
يوم القيمة ويقول انهم لا يصبرون على الجوع والعطش وحر هذا اليوم
ومنها ان اهل الرياء يفرح بعملهم ويظهر خلافه غدا كما قال تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومنها ان من الناس من يخاف ويبكى من
الموت وهو الم زمانه قليل ولا يعرف زوال الايمان العياذ بالله تعالى
عصمنا الله من سوء الخاتمة واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان الحواس
يزعم انهن يغلبن القوة الغضبية ولكن لا يعرفن ان الغضب يزيل
العقل فكيف لا يزيل الحواس فلما ذهبوا به فى الاية محذوف وهو
فاذن له وارسله معهم وعاهد اخوته ان يطعموه ويسقوه عند الحاجة
ويحملوه ولا يتعبون فقبلوا منه ذلك واحتمله روبيل على عاتقه
ورجع يعقوب فغابوا عنه فلما بعدوا عنه القاه روبيل عن عاتقه
وقال امش كما تمشى فمشى واعيا وقعد وقال عطشت فاسقونى فلم يسقوه
وروى ان شمعون صب الماء افناطاله وفى الخبر ان شمعون بقى عطشانا
اربعين سنة كلما شرب الماء ازداد عطشا مكافاة لفعله بيوسف
وعجز عن المشى فاكرهوه ولما امتنع لطمه بعضهم وعنفوا عليه وقالوا
اين رؤياك الكواكب والشمس والقمر ساجدين لك استعن بهم واستقم

واستحملهم واخذوا يودونه ويضربونه ويجرونه على الارض حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث باحدهم يضربه فيستغيث بالاخر فيضربه الاخر ويقبل
ارجلهم ويرقونه ويقول كل واحد منهم ابعد عني يا بن ياجيل ويضربه قبيل
فاخذه روبيل فجلد به الارض ووثب على صدره واراد قتله فقال يهلا يا اخي
لا تقتلني فقال له قل لرؤباك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه ليكسرها
فنادى يا يهوذا وكان ارفقهم به اتق الله وحل بيني وبين من يريد قتلي فاخذته
رقة ورحمة فقال يهوذا اليس قد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه قالوا بلى قال
فانا ادلكم على ما هو خير لكم من القتل القوه في الجب قالوا نفعل ذكره النسفي رحمه
واجمعوا وعزموا واتفقوا على ان يجعلوه ان يلقوا يوسف في غيابة الجب
والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض اردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ
من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا ما فعلوا من الاذى ذكر القاضي
ومن الحصص ان الذهاب عن نظر المربي الناصح التي النفس الى التهلكة فان يوسف
لما غاب عن نظر يعقوب ابتلي ومنها ان النصيحة سهل والمشكل قبولها فان
يعقوب عاهد ابناءه ولم يعلموا بموجبه ومنها ان من الاخوان من يظهر الخير لغرض
ويكتم البغض في وقت ثم يظهر ما يكتمه في وقت واذا اريد التفسير الانفسي يراد
ان القلب اذا انقطع عن العقل وقرن بالحواس يجرونه الى المهالك وكان ان يقتلنه
بارتكاب المحرمات ويجعلنه في غيابة الجب الطبيعة روى انهم اتوا ابر الى
راس الجب واراد وا ان يلقوه فيه فتعلق بهم وبشفير الجب فاوثقوا يديه
كيلا يتعلق بشئ وتعلق قميصه بصخرة فخلعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا
على ابيهم ويتركوه عريانا ويربطوا وسطه بالحبل فقال لهم يا اخوتاه ردوا علي
قميصي استتر به في الجب ويكون كفنا لي بعد مماتي فقالوا ادع الاحد عشر
كوكبا والشمس والقمر حتى يلبسوك ويونسوك في الجب فلما بلغ نصفها قطع
شمعون الحبل فقال الله تعالى لجبريل وهو في السدرة المنتهى ادرك عبدي يوسف

فادركه

فادركه قبل ان يصل الى قعر الجب وخرج حجرا منه فجعله كسير واجلسه
عليه ورد في الخبر ان جبريل قال وقعت في يعقوب عظيم في ثلثة مواضع احدها
ان ابرهيم عليه السلام لما القي من المنجنيق قال الله تعالى ادرك خليلي ابرهيم
وثانيها ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب وثالثها ان فرعون لما اطبق موسى
بالجواهر والنار في كل واحد منها كنت تحت العرش ولما القي في البئر قالت
هوام البئر بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبياء ينزل
بساحتكن فانجحرن الا الافعى فانها قصدت يوسف فصاح بها جبريل فصمت
وبقي الصمم في نسلها قيل ان الحية اذا لسعت بني آدم وطلي عليه بالدواء وذكر
عليه اسم جبريل هرب السم من هيبة وعلم جبريل يوسف هذا الدعاء
اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل
عسير ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد يا الاله الا انت سبحانك
اسئلك ان تجعل لي فرجا ومخرجا وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون
لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين ثم رجع جبريل
قيل لما القي يوسف في الجب اضاء له وعذب ماؤه فبعث الله اليه ملكا
فحل قيده وكان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في
النار فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك عند ابرهيم
ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فلما القي في البئر عريانا جاءه الملك فاخرجه
منه وكساه اياه وجعل يونسه في النهار ولما غربت الشمس جاء يهوذا الى راس
الجب ونادى يا يوسف اخي انت ام ميت فقال يوسف من انت فقال يهوذا
وكيف حالك قال كيف يكون حال من تكل امه وفقد اباه وجفاه اخوته واغترب
بعن وطنه وهو جايع عطشان مهموم عريان ليس من الاحياء فوق الارض
ولا من الاموات تحت الارض فبكى يهوذا واراد ان يقطع بكاؤه وقال له يوسف

ان لكل ميت وصية ووصيتي اليك ان لا تنظر الى شاب الا ذكرت شبابي ولا
الى يتيم الا ذكرت يتمي ولا الى غريب الا ذكرت غربتي ولا تخبر ابي بما فعل اخوتي
بي فبكى يهوذا بكاء شديدا فسمع الاخوة بكاءه فاتوه وقالوا له ابكى عليه وسدوه
رأس الجب بصخرة عظيمة فبكى يوسف وصاح صيحة بكى لها ملائكة السماء وقالوا
يا ربنا ارحم فبعث الله جبرئيل ومعه اطعمة واشربة من الجنة ونور الجب وآنسه
وطيب قلبه بالبشارات وقال له يا نبي الله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
ثم ان الله تعالى اكرم يوسف بالوحي حيث قال واوحينا اليه ارسلنا اليه
بالنبوة قال الحسن اعطاه الله تعالى النبوة وهو في الجب وكان ابن سبع عشرة سنة
وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام
قال الامام القشيري قدس سره من انقطع عنه ملاطفة ابيه جاءه الوحي من الله تعالى
وهكذا سنة جل جلاله لا يفتح على نفوس اوليائه بابا من البلاء الا فتح على
قلوبهم ابواب الصفاء وفنون لطائف الولاء شعر الدهر لا يبقى على حاله
كذلك حال العبد في العسر اما ترى يوسف في جبه ومن الحصص ان البلاء
سبب الولاء ورفعة الانبياء والاولياء ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال حكيم يجرب
الذهب بالنار روي ان يعقوب عم رأى في الكتاب المنزل اسماء الانبياء
كما في سورة الانعام وكلا هدينا ونوحا هدينا من قبل الاية قال رب ما ذكرت
اسمي في كتابك قال الله تعالى هؤلاء الانبياء جربوا بالبلاء فصبروا فتم ان الله تعالى
جربه بفراق يوسف حتى يتم فضله ولذا قال فصبر جميل وانه تعالى امر نبينا صلعم
بالصبر فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فالله سبحانه اكرم يوسف في الجب
بانواع الاطعمة من الجنة بسبب صبره فكذا حال المؤمن في القبر يؤتى بطعام
الجنة ويؤمن عن العذاب وآنس به جبرئيل بل الرب الجليل ومنها انه كان
اخوة يوسف يظنون انهم القوه في البئر وهم القوه في الجنة وكذا يظن الاحياء

انهم

انهم وضعوا الميت في القبر ولا يعرفون انهم وضعوه في الجنة اللهم ارزقنا بفضلها
ومنها ان الله تعالى نادى لملائكته يا ملائكتي اسكنوا واسكنوا فاني اريد ان اعطيه
ملكا عظيما ولا يستحي له حتى يرى هذا التعب الشديد وانه اذا لم ير هذا
الذل لا يعرف قدر ذلك العز وكذا حال المؤمن اذا ابتلي بالمرض وسكرات الموت
ونزع الروح وظلمة القبر وسؤال منكر ونكير وا هول القيمة بطولها فالملائكة
ترحم والله تعالى يقول ان هذه المحن تكون كفارات لذنوبه وبواعث لدرجاته
واني اريد ان اعطيه جنة ونعيما وملكا مقيما ومنها ما قال يوسف في تلك
الحالة من احب اللعب على بساط مولاه صار الجب ماواه ومنها ان قعر الجب
وان كان موضعا اسفل لكنه موضع الامن والخلوة روي أن زاهدا يسكن
في الخلوة فقيل له كيف تسكن وحيدا قال انا جليس رب العالمين فاني
اذا اردت ان اسمع كلامه اقرأ القرآن واذا اردت ان اسمعه كلامي اصلي
وادعو ومنها انهم قطعوا الحبل لكن الله تعالى لم يقطع حبل عنايته وكذا
المؤمن فانه تعبد بحبل الطاعة عملا بقول الله تعالى واعتصموا بحبل الله اما
الاخوان السوء وشياطين الجن فيقطعونه ولكن الله تعالى لا يقطع حبل عنايته
بل تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة كما قيل ليوسف عم في الوحي لتنبئنهم
هذه بشارة مؤكدة تأكيد اليمين اي لتخبرن اخوتك بامرهم هذا اي
بما فعلوا بك بعد اليوم وهو قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهو
توبيخ وهو بشارة له بمصير امره الى ذلك وهم لا يشعرون انك يوسف
في وقت اخبارك اياهم بامرهم هذا وهو قوله لهم حين دخلوا بمصر ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون هل علمتم ما فعلتم بيوسف وعدم شعورهم
بانك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيئات بشره الله تعالى بما يؤل اليه امره ابتداء له وتطييبا لقلبه

وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى انسناه بالوحى وهم لا يشعرون
ذلك والفائدة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم
قال الامام ابو منصور رحمه ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه اى الى
يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وذلك قوله اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه علم انه حتى بذلك الوحى وعلى ذلك قوله انى لاجد ريح يوسف
وقوله الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون اعلم ان يوسف لما قال لهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف تجلوا وتجلد شديدا بين قومهم واهل مصر
ومن الحصص انه كيف يكون حجل العاصى بين الانبياء وسائر الناس
والملائكة يوم تبلى السرائر ويقول الرب اتذكر يوم كذا وليلة كذا
واتعرف ذنب كذا ومنها ان اخوة يوسف تكسوا رؤسهم عند فقس على
مضمون قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ومنها
ان اخوة يوسف وذواح لو انشقت الارض وغابوا فيها وكذا الاستقيأ
يوم القيمة كما قال تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض ومنها ان يوسف فى الجب ثبت وسكن نشيطا بالوحى والدعاء
الذى لقنه جبرئيل وكذا المؤمن فى القبر كما قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ومنها ان يوسف فى الجب
تنعم بنعيم الجنة وكذا المؤمن فى القبر فانه روضة من رياض الجنة
ومنها ان يد يوسف وقعت على حجر فصارت مجروحة واتى جبرئيل بشمامة
من الجنة فطلا بها يده وبرئت فى الحال ووضع جبرئيل بقيته فى راس جبل قاف
فاذا جاء النسيم منه يستريح المرضى ويفرح المهموم وكذا المؤمن اذا جاء
النسيم من الله تعالى يستريح فانه قال فروح وريحان وجنت نعيم واذا اريد
التفسير النفسى يراد ان الحواس اذا القين القلب فى جب الطبيعة وهو
اذا صبر يوحى اليه وحيا روحانيا بانك بالصبر تنال درجة عند الله تعالى

وتنبئنهم

وتنبئنهن بما فعلوه بك وتلزمهن ان رايهن فاسد ومن وقد فى خلوة
وصبر على محنة رزقه الله تعالى ورفعه لان الله تعالى كريم ارحم الراحمين
لا يرد من جاء الى بابه روى انه اجتمع على رجل من الديون ثلثمائة درهم فكلما
اجتهد الى باب المخلوقين لم يجد فرجا وقرع باب الرب الكريم فقال الهى
ان من عبادك من له مال ولا سخاوة له ومنهم من له سخاوة ولا مال له
وانت الملك لك السخاء ولك الخزائن فجئت بابك سائلا وعليك متوكلا
فنجد فى بعض الخرابات ليلة من الليالى وسال الله تعالى ذلك فراى عبد الله
ابن المبارك فى المنام فقيل له زن ثلثمائة درهم واحملها الى الذى عندنا فانتبه
ابن المبارك فقال لا حول ولا قوة الا بالله ان هذا من الشيطان حتى راى مثل
ذلك فى نصف الليل فلما كان اخر الليل دعا الرجل فراى ابن المبارك
كذلك فعلم انه ليس من الشيطان فاخذ ثلثمائة درهم وجاء الخراب
فوقف على راس الساجد فوضع ابن المبارك الكيس وقال اذا احتجت الى
المال فات دار ابن المبارك فقال ذلك الرجل يا ابن المبارك اى عيب
ظهر لى من هذا الباب حتى اتركه واقصد بابك ولو اتيت فى جوف الليل بابك
ما فتحت لى بابك ولما واستينى بمالك اعلم ان اخوة يوسف لما القوه فى
الجب تفكروا وقالوا ما نقول لابينا واتفقوا على ان يقولوا انه اكله الذئب
ثم انهم اخذوا سخلة اوجدوها فذبحوه ثم لطخوا القميص بدمه وزل عنهم ان
يمذقوه ثم اقبلوا على ابيهم وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار فان العشاء
اخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى ابطؤا حتى جاء ه
فى ذلك الوقت ليقدموا على المبالغة فى الاعتذار يبكون فى معنى الحال
اى متباكين يعنى يظهرون الحزن على يوسف م ويحتمل انهم بكوا حقيقة
لانهم ندموا على ما فعلوا روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى
واين يوسف وقيل لما ابطؤا على يعقوب كانت له جارية يقال لها صفراء

قال لها خذى بيدى انطلقى بى نستقبل يوسف فخرجا من كنعان وصعد
اتلا ونظرا فلما اظلم الليل قال لها صيحى يا ولادى فقالت يا اولاد
يعقوب هذا ابوكم ينتظركم فسمعوا بذلك فخرقوا ثيابهم قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق نتسابق فى العدو او بالارجل اينا اسرع عدواً
او الجمال او الرمى اينا اصوب سهما وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا اى رحلنا
فاكله الذئب فبكى يعقوب باعلى صوته فخر مغشيا عليه ثم افاق وقال
اين القميص فاخذه وهو صحيح فقال لبنيه هل كان يوسف فى هذا القميص
قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يخرق هذا فحملوا فقال لهم كذبتم قبل اخوه يوسف
كذبوا على الذئب فبقى هذا الكذب فى رعاة الغنم فانهم ياكلون الغنم ويحيلون
على الذئب فلما كذبهم ابوهم قالوا وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق فى مقالتنا
ولو كنا صادقين عندك لانك اتهمتنا بتضييع اخينا وذلك لسوء ظنك
بنا واتهامك لنا فيه روى انه قال اى ذئب اكله فاخذوا ذئبا فاحضروه
فقالوا هذا الذئب فقال للذئب لم اكلت ولدى فتكلم الذئب فقال انا لا نذود
حول غنمك فكيف نأكل ولدك قال فهل هو فى الاحياء قال نعم قال اين هو
قال سل جبرئيل قال انه لا يخبرنى قال واذا لم يخبرك هو فكيف اخبرك وقال لا ولاكم
اسمعتم قالوا نصدق ذئبا ونكذبنا ونحن عشرة وجاؤ على قميصه
حال من قولهم بدم وتقديمها على المجرور اختلافى وقيل ظرف اى فوق قميصه
فيه ضعف اذ لا يساعد المعنى لان العامل جاؤا وليس الفوق ظرفا له
بدم كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه اى اخرجوا له قميص يوسف
ملطخا بدم كذبوا فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة روى انه
القاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم قميصه وقال رداً لقولهم اكله
الذئب ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى يوسف ولم يخرق عليه

قميصه ذكره القاضى ولاجل استدلاله لسلامة القميص على كذبهم قال
ابطالا لقولهم واضرابا اى ليس كذلك بل سولت لكم انفسكم امرا اى
سهلت لكم وهونت وزينت لكم امرا عظيما فيعقوب لم يصدقهم فيما جاؤا
به من الدم وما اخبروا به من اكل الذئب وقال لهم ليس الامر على ما تذكرون
بل زينت لكم انفسكم امرا ففعلتموه وامرا كناية عن تضييعهم يوسف او
اهلاكهم اياه ولما لم يكن ذلك بيناً عند يعقوب كنى فقال بل سولت لكم
انفسكم امرا اى اردتم ان يخلو وجهى لكم فغيبتم يوسف عنى ثم توجه الى
الوادى وهو يقول يا ولدى وقرة عينى وثمرة فؤادى فى اى جب طرحوك
فى اى بحر غرقوك باى سيف قتلوك باى ارض دفنوك فبكى لبكائه الملائكة
فجاء جبرئيل وقالت قد بكت ببكائك فقال فصبر جميل اى فامرى
صبر جميل او فصبر جميل اجمل او فلى صبر جميل او فمنى او فعلى وفى الحديث
الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون
اى اطلب منه العون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف عليه السلام
او استعين الله على كشف ما التبس على من امركم انظر الى صبره لم يوذهم بضرب
وشتم ولم يدع عليهم ولم يشك الى الخلق بل قال فصبر ثم قال جميل وعن الشعبى
قال قصة يوسف كلها فى قميصه لما القاه اخوته فى الجب نزعوا عنه قميصه
وعمدوا الى سخلة فذبحوها ولطخوا قميصه بدمها ثم جاؤا به الى ابيهم فنظر
يعقوب الى القميص وهو صحيح فقال لبنيه انه كان لحليما حتى كل ابنى ولم يخرق
قميصه ولما شهد شاهد قال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت الآيات
ولما اتى يعقوب بقميصه فالقى على وجهه ارتد بصيرا فان قيل ان يعقوب
وعد بالصبر الجميل فلم خالفه حيث قال يا اسفى على يوسف قلنا قد فعل
الصبر الجميل فى الحال والصبر عند حدوث المصيبة اتم ولذا قال صلى الله عليه وآله
الصبر عند الصدمة الاولى فاذن لم يخالف وعده بالصبر الجميل اذ لم يخرج

للحال وجزعه بعد ذلك لا يدرى لماذا كان فلا يزول به الصبر على ان الجزع لا يزيل
الصبر قال صلى الله عليه وسلم وقت وفاة ابنه ابرهيم القلب يجزع وفى رواية القلب
يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب اولا ان جزعه كان لفوات اللطائف
التى كان اختص بها يوسف فكانت توثر فى سر يوسف والعبد فيما يفوته من نحو هذا
اذا جزع بما يضره ويذوب جسمه كان ممدوحا على ان جزعه ان جعل على فوات يوسف
انما يحمل على الشفقة فلم يكن جزعه كجزع الغافلين لفقد الولد بمحض الميل رغبة
فى حفظ ظهرهم وان شكواه ليس الى الخلق قال الامام ابو منصور رح فى الاية دلائل احدها
ان من ارتكب الصغيرة يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن ارتكب الكبيرة
لم يخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف وطرحه فى الجب والتغييب
عن وجه ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلو منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة
فان كانت صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا دل
انهم انما استغفروا لما خاف العذاب عليها فان كانت كبيرة فلم يخرجوا عن
الايمان حيث صاروا انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين ودل ما ذكرنا على
نقض قول المعتزلة فى صاحب الصغيرة انه لا يعذب عليه وصاحب الكبيرة انه
يخرج من الايمان ونقض قول الخوارج فى قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة صار
كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول ان من كذب متعمدا او وعد فاخلف
او ائتمن فخان يصير منافقا لان اخوة يوسف أئتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا
وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذئب وما اكله وهو
كذب واؤتمنوا فخانوا حيث القوه فى الجب ووعدوا انهم يحفظونه فلم يحفظوه
فان قيل روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من علامات النفاق
اذا حدث كذب واذا أئتمن خان واذا وعد اخلف فكيف يوفق بين الاية
والحديث اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان
يكون هذا فى قوم خاص أؤتمنوا ما أودع فى التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم

فغيروه

فغيروه ووعدوا ان يبتيوه فاخلفوا وكتموه وحدثوا انهم يبتيوه فكذبوا
اويصير منافقا بما ذكر اذا كان ذلك فى امر الدين واما فى غيره فانه لا يصير به
منافقا ولا يكون ذلك من اعلام المنافق والله اعلم وقال فى قوله فصبر جميل
فصبرى كف الناس النفس عن الجزع جميل لامكانا فيه فانهم بما فعلوا
كانوا مستوجبين ذلك ذكره النسفى فى التيسير اعلم ان من الحصص
حصول المطلوب للطالب فان اخوة يوسف طلبوا فراقه من ابيه وجدوا
فوصلوا الى مطلبهم كما قال صلى الله عليه وسلم من طلب وجد وجد ومنها ان
البكاء اذا كان على وجه الكذب لا يفيد فان يعقوب لم يصدق اخوة يوسف
ببكائهم بخلاف البكاء على وجه الصدق كما ورد فى الخبر ان عبدا بكى من
خشية الله فى امة لرحم الله تعالى تلك الامة ببكاء ذلك العبد روى عن كعب
الاحبار انه قال لان ابكى من خشية الله تعالى حتى يسيل الدمع على وجنتى
احب الى من ان اتصدق بوزن نفسى ذهبا ومن بكى من خشية الله
حتى يسيل قطرة من دموعه على الارض فتمسه النار حتى يرجع قطر السماء
وليس براجع يعنى كما ان القطر اذا نزل من السماء لا يرجع اليها ابدا فكذلك
الذى بكى فى الدنيا من خشية الله لا تمسه النار ابدا ومنها ان البكاء ينبغى
ان يكون فى موقعه حتى يظهر نفعه فبكاء اهل النار لا يفيد فى الاخرة ولذا
يقولون بعد البكاء الشديد فى الزمان المديد سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مالنا من محيص ومنها ان البلاء لحصول البكاء محمود فان يعقوب بكى
لفراق يوسف حتى بكى لبكائه ملائكة السماء قال ابو على الدقاق ما لم تكن
قبضة لم تكن دمعة فان الثوب المبتل ما لم يعصر لم يخرج منه الماء فمثل الدمع
كماء الورد فى الورق واللبن لا يخرج بلا سبب ومنها ان يعقوب لم يسلب
عن اخوة يوسف اسم النبوة مع عصيانهم حيث قال لهم ما لكم يا بنى كما ان
الله تعالى لا يسلب اسم العبودية عن العصاة اذ قال قل يا عبادى الذين اسرفوا

على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ومنها ان يعقوب لم يقبل قولهم تركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب فالله تعالى كيف يقبل العذر الباطل
يوم القيمة ومنها ان اخوة يوسف نسبوا ذنبهم الى الذئب والله تعالى
من كمال لطفه نسب ذنب آدم وحواء الى الشيطان حيث قال فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه ومنها ان الله تعالى من محض كرمه وصف الدم
بالكذب لاخوة يوسف وتعلم منه يوسف حيث اسند الجب الى الشيطان
اذ قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ومنها ان الله تعالى لم يغضب
عليهم عاجلا لكون فعلهم بجهالة بل اخره ومهلهم حتى تابوا كما قال في حق العصاة
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومنها
ان يعقوب اذا رأى الدم يئس واذا رأى صحة القميص رجا فبنى للعاصي
اذا رأى قميص ايمانه ملطوخا بدم العصيان خاف واذا رأى صحة ايمانه رجا
ومنها ان البلية اذا وصلت الى العبد فلينظر ان لها سببا من جانبه
روى ان جبرئيل قال يا يعقوب هل تعرف سبب هذا البلاء قال لا قال
انك اذعيت حب يوسف ورضيت ان يغيب عن عينك والمحب كيف
يرضى فراق حبيبه روى عن ذي النون المصري انه قال رأيت جارية
في الطريق اي طريق مكة وبيدها عكازة فدنوت منها فقلت يا جارية
كلي بكلمات مشغول فقالت كلي بكلمات مبذول ولكن ورائي حسن
مني فالتفت اليه فلم اراحدا فقالت اليك عني يا بطال لو كان كلامك
بكلي مشغولا لما التفت الى غيري فخل يدي اني لما رأيتك من بعيد
قلت عارف فلما دنوت مني قلت عاشق فالآن لست بعارف ولا
عاشق ثم دلت وقالت شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري
في المقال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب يطيع
بيت دعوى عشق كردن آسان است * انراد ليل وبرهانست *

ومنها

ومنها ان ترك الوفاء بين الاخوة شان عظيم فانه روى ان الذئب الذي
جاء به اخوة يوسف الى ابيهم قال يا نبي الله اني لست من دبارك بل كنت
من ارض مصر وكانت امي ارضعت جروا كلب وهو ذهب الى دبارك
جئت لازوره لكونه اخا لي من الرضاع قال يعقوب متوجها الى ابنائه
ان العداوة بين الكلب والذئب شديدة وهو يزوره لاخوة من جهة
الرضاع عجبا للاخوة من جهة النسب لا يكون بحق الاخوة ومنها ان نقض
العهد اشد اذ روى ان يعقوب لما لم يصدق ابناءه في قولهم اكله الذئب
قالوا فيما بينهم نخرج يوسف من الجب ونقتله ونأتي به كأنه افترسه الذئب
حتى يصدقنا قال يهوذا انكم عهدتم ان لا تقتلوه فاذا نقضتم العهد فاني
اخبر اباكم واقتل كل واحد منكم ومنها ان من ارتكب المعصية على عزم التوبة
لا يسلب الله تعالى عنه النسبة فان اخوة يوسف لما كانوا على عزم ان يكونوا
قوما صالحين لم يقل ليعقوب انهم ليسوا من اهلك بل قال في حقهم وجاؤا
اباهم ولما كان كنعان بن نوح على غير عزم قال الله تعالى لنوح عم انه ليس من
اهلك فحال المؤمن العاصي حال ابناء يعقوب وحال الكافر كحال كنعان ومنها
ان الذنب في حال الشباب لا يمنع التقرب من الله تعالى فان اخوة يوسف ارتكبوا
المعصية اولا وبعدها صاروا انبياء كما مر واذا اريد التفسير الانفسي يراد
بالاخوة الحواس وبيوسف القلب وبيعقوب العقل وبالجب حب الطبيعة
وبتبعيده عنه وبالذئب القوة الغضبية وبالمجئ عشاء اغفال الحواس
العقل وبالبكاء تغليطهن اياه بالمكائد وبالدم الكذب ظهور اثر القوة
الغضبية في بعض افعال القلب وبالتسويل عدم قبول العقل ووساوس
الحواس وبالصبر الصبر على المجاهدة والله المستعان على وساوسهن قال
وهب كان يوسف في الجب ثلثة ايام واخوته بالقرب منه يحرسونه وجاءت
سيارة في اليوم الرابع كما قال الله تعالى وجاءت سيارة اي قافلة كانوا

يسيرون من قبل مدين الى مصر وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فاخطأوا
الطريق وكان الجب في قفرة بعيدة ولم يكن على الطريق وانما كان بئرا
للرعاة يسقون اغنامهم فنزلوا قريبا منه **فارسلوا واردهم** الذى
يرد الماء ويستسقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى وارسل كل قوم ساقيهم
ليسقى لهم الماء فجاء مالك بن ذعر الى الجب الذى فيه يوسف وقيل كان
مالك بن ذعر رئيس السيارة **فادلى دلوه** فارخى وارسل دلوه في الجب
ليملأها فتدلى وتعلق بها يوسف فلما مد الوارد الولد ثقلت فنظر فاذا هو
غلام احسن ما يكون من الغلمان **قال يا بشرى هذا غلام** نادى البشرى
بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب
فاراه ليعينه على اخراجه وقيل كان لمالك غلامان بشير وبشرى فادلى
بشير دلوه فتعلق بها يوسف فقعد فيها وامسك الحبل بيده فطلع في الدلو
يتكلم بغير كلام السيارة ولم يروا مثله حسنا وجمالا ونضرة وكمالا فلما نظر
الى يوسف قال لاصحابه يا بشرى او لصاحبه يا بشرى وهو اسم قيل كان مالك
ابن ذعر يسكن بصفر فرأى في منامه في حال صغره حضر بارض كنعان فانشقت
الشمس من السماء فدخلت في كمه ثم اخرجها واقامها بين يديه فاتت سحابة
بيضاء تنثر عليها الدر وهو يجمعه ويحفظه في صندوق له فعبر المعبر
انك تصيب عبدا وليس بعبد وتصيب غنى بسببه ويبقى الغناء في
اولادك وكان يختلف ارض كنعان في كل سنة مرتين طمعا في ان يرى
ووصل اليه بعد خمسين عاما يسرنا الله تعالى كل واحد منا ورؤى ان تراب
الجب بكى لفراق يوسف فلما خرج يوسف تلألأ نورا وجهه كان الشمس
خرجت من السحاب **واسروه** اى اخفى الوارد واصحابه يوسف من سائر
الرفقة او اخفوا امره اذ قالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ما هذا الغلام فان قلنا
التقطناه من الجب شاركونا وان قلنا اشتريناه بالثمن سألونا الشركة

فيه فالوجه ان مخفى امره فقالوا لسائر الرفقة دفعة الينا اهل الماء لنبيعه لهم
بمصر **بضاعة** نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة فلما رأى اخوة يوسف
نوره عرفوا انه قد خرج وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه
كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا مالكا واصحابه وكتموا
انه اخوهم فقالوا هل لكم ان تشتروا منا هذا الغلام قالوا او مملوك هو قالوا نعم قالوا
حاشا لله ما هذا بمملوك ولا موسوم قالوا ولد في حجورنا ونشأ وربيناه بايدينا
فاحبه ابونا وآثره ونعمه فادركنا ما يدرك الناس من الغيرة والحسد وليس بمملوك
لابينا ولكن ابن امة لامنا وقد وهبته لنا واذنت لنا في بيعه وابق منا
منذ ثلث ليال والفى نفسه في هذا البئر فلما سمعت السيارة مقالتهم ورؤا
حالهم وحسن هيئتهم صدقوهم وقيل تكلموا ليوسف بالعبرانية فقالوا انا ظننا
لما بينا اكله الذئب وصدقنا وان لم نقر بالعبودية فنقتلك بالعذاب الاليم قال
يوسف يا اخوتى اذا بعتم اخاكم ما تجيبوا الله تعالى يوم القيمة فلطمه شمعون
وهدده وقال يهوذا اطع يا يوسف عسى الله ان يعطيك خيرا فسكت يوسف
والله عليم بما تعملون لم يخف عليه اسرارهم واوضاع اخوة يوسف بابيهم
واخيهم حيث جعل الله تعالى ما دبروه لابطال حكم ما رآه يوسف في المنام سببا
لوصوله الى مصر ولتتابع ما جرى عليه من الاحوال الى ان صار عزيز مصر وحصل
تاويل ما رآه في المنام فالحق سبحانه حكيم عليم اذا اراد شيئا هيأ اسبابه فهو غالب
على امره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال ابو القاسم الحكيم كنت اذهب في بعض
قرى سمرقند وقتا من الاوقات فرأيت حمالا واقفا في ظل شجرة يصلى صلوة حسنة
فتعجب منه وصبرت الى فراغه فلما سلم رفع يديه فناجى مناجاة حسنة فزاد تعجبى
منه فقلت الغالب من الحمالين قلة المعرفة فقلت له هذه الصلوة التي صليتها ما
احسن ما اديتها والمناجاة التي ناجيت ما الطف ما سألت فلما بعد الله الخوف
النيران ام طلب الجنان فقال لم اكن جنة ولا نارا انيس العارفون كانوا يعبدون الله

لانه مستحق للعبادة واهلها فقلت هل تعرف الله تعالى فقال بلى اعرفه معرفة
ظاهرة ومعرفة باطن فقلت له كيف عرفته ظاهراً فقال لانى طفت الدنيا ورايت
الصناع واهل الحرف يالايدى نقشوا من فضة وذهب ونحاس وخشب وطين
وآجر وصوروا صورا حسنة ومارايت احدا منهم صير نقشه آكلا وشاربا وذاهبا
وجائيا ومتحركا وساكنا وسميعا وبصيرا ورايت الله تعالى صورنى من قطرة ماء مهين
وصيرنى بهذه الصفة التى تراها فمعرفته معرفة ظاهرة بهذا وعرفته معرفة باطن
لانى دبرت تدبيرا ورايت رايا وعزمت عزيمة فضخ عزيمتى فعرفت ان فوقى مدبراً
يجرى تقديره ويبطل تدبيرى ومن الحصص ان اخوان السوء اذا القوا اخاهم فى جب
الشهوة يخرجه السالكون بدلو الموعظة ولذا قيل ينبغى للعاصى ان يكون بقرب
من الصالحين حتى يوقظوه من نوم الغفلة ومنها انه ينبغى ان يبكى المرء لفراق القرين
الصالح كما يبكى التراب لفراق يوسف روى عن يحيى بن معاذ انه قال ان على جسد
العارف نوبين يتفاخران يقول الثوب الذى يلى جسده انا اكرم عليه منك
لانى الى بدنه وانت لاتلى بدنه ويقول الثوب الذى هو على انا اكرم عليه منك
لانه يراانى بعينه ولايراك وكلاهما يفتخران بالعارف ومنها ان نور المؤمن ونور
طاعته يصعد الى العرش بل الى ربه كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ومنها ان
الملائكة فى السماء يعرفون فى الليل من نور البيت ان فيه عبادة كما عرف اخوة يوسف
خروجه بنوره ومنها ان اخفاء العمل اولى لانه لا يقل نفعه بشركة الغير واذا اريد
التفسير النفسى يراد ان السيارة القوة الفكرية المتوجهة الى مصر الاخرة تخرج
يوسف القلب عن جب الشهوة بدلو التوبة وتعده بشارة وتخفيه من الرفقة
للاخلاص لان الله تعالى عليم بما يعملون اعلم ان يوسف لما افترقا الرفق قال مالك بن دينار
بكم هذا العبد قال اخوته ان اشتريته بعيوبه نبيعكم قال ما عيوبه قال سارق كذاب
يرى الرؤيا الكاذبة قال قد رضيت ويوسف عليه السلام ينظر اليه واليهم ويقول
فى نفسه ما اظن انه يقوم بثمنى لانهم يطلبون اموالا كثيرة فقال مالك بن دينار

اشتريت باثمانى متاعا ولم يبق عندى الا دراهم قليلة غير جيدة قالوا
انك تعرف انه عبد حسن الوجه الا انه آبق نريد ان نبيعه حتى تذهب به
الى بلد اخر فاشتره بما تقدر على ان تجعله ثمنه ونشترط على ان تجعل ثمنه
ونشترط على ان لا تلبسه الا المسوح ولا تطعمه الا قوته وخبز الشعير وتضع
الحديد فى عنقه ولا تطلقه حتى تدخله مصر ولا تركبه الا على بعير وكاء خذ هذا
والعجب من الاخوة يوسف انهم حاروا عليه وتجاوزوا عن الحسد فى الجور
والاحسان اولى وشروه فى مرجع ضمير الفاعل الوجهان المذكوران فى
ضمير اسروه فعلى تقدير رجوع الضمير الى الوارد واصحابه يكون المعنى اشتروه
من اخوته وعلى تقدير رجوعه الى الاخوة يكون المعنى باعوه فان الشراء بالمد
والقصر من الاضداد قال الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ثمن بخس
مصدر بمعنى المفعول اى مبخوس بمعنى منقوص لربه او نقصانه فى القيمة او
بمعنى قليل اذ قال عكرمة البخس اربعون درهما او حرام لان ثمن الحر حرام
وقال الامام ابو منصور رح قيل بثمن بخس اى باعوه بثمن لا يباع مثله بمثله
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية
وهى اربعون درهما ويعدون ما دونها قيل كانت عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين وقال بعضهم باعوه بعشرة دراهم لان اسم الدراهم يقع بين الثلثة
الى العشرة فاصاب كل واحد من الاخوة درهما قيل لم ياخذ بهود شيئا من ثمن
يوسف وروى ان يوسف راى وجهه ذات يوم فى المراة او الماء وقال لو كنت
عبدا لا يقدر احد على ثمنى فاحرصه الله تعالى وقال عكرمة لم يبعه اخوته
ولكن الذى ورد والماء وجدوه فى البئر فاخرجوه فباعوه بثمن بخس دراهم
معدودة وهو قول المعتزلة وقال عامة المفسرين ان اخوته باعوه وكانوا
فيه فى يوسف من الزاهدين الزهد ضد الرغبة والمعنى وكانوا
فى شان يوسف عليه السلام من الراغبين عنه اى المعرضين والضمير فى كانوا

اشتريت

ان كان للاخوة فظاهر اعراضهم في عينه وان كان للوارد واصحابه وكانوا
بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن
انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبايعين على ما هو عليه عامة المفسرين فلانهم
اعتقدوا انه آبق لان الاخوة وصفوه بالاباق هذا مع الجمال الظاهر وفيه اشارة
الى ان الجمال الظاهر لا خطر له عند الله تعالى وانما الجمال الباطن وقيل كانوا اى
اخوة يوسف في ثمنه من الزاهدين اى غير محتاجين اليه وقيل اى المشترون
لما خافوا ذهاب الثمن ان كان مسروقا كانوا فيه من الزاهدين واعلم ان قوله
فيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين كقوله تعالى وان احد من المشركين
استجارك لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول روى ان مالك
ابن ذعر طلب منهم الشري فكتب روبيل بسم الله ابرهيم هذا ما اشترى
ابود لامة مالك بن ذعر الخزاعي مملوكا من آل يعقوب بعشرين درهما نصفها
عشرة دراهم واعطاهم عهد ومياقه الذي تخذ على انبيائه ورسله
امانة في ذمته بان لا يلبسه الا المسخ ولا يطعمه الا قوته ولا يركبه الا على
بعير وكاء ولا يطلقه حتى يدخله مصر وقبض آل يعقوب الثمن واخذ
مالك العبد واشهد بذلك على انفسهم العير من التجارة ولما عزمت السيارة
الرحيل بكى يوسف قال مالك ما يبكيك قال فراق القوم الذين باعوني فيك
فأذن لي ان ازورهم فعجب منه مالك قال يوسف لي اخ من الابوين اريد
ان ارسل اليه سلاما بهم وكان مالك سلط عليه غلاما اسود فاذن له
وارسل معه الغلام الاسود واخذ الغلام سلسلة يوسف التي في عنقه
وراح الى اخوته وكان عادتهم ان واحدا منهم يحرسهم في الليل وكان النوبة ليهوذا
في تلك الليلة فلما سمع يهوذا صوت السلسلة توجه فقال من هذا قال انا يوسف
جئت للوداع وعانقه وبكى وراح يهوذا معه وايقظ اخوته فقال ان يوسف
فقال ان يوسف جاء للوداع وعانق يوسف كل واحد منهم وبكى وقال يرحمكم

وان لم يرحموني

وان لم ترحموني انظروا الى كرم يوسف وحسن خلقه كيف احسن
الى من يؤذيه قيل قال مالك ما اكرمك يا مملوك حيث تتقرب اليهم وهم
فعلوا بك ما فعلوا قال يوسف كل احد يفعل ما يليق بكرمه وصفته
قيل لما حنث ممن تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغك
من خلقه فقال بينا هو جالس في داره اذ جاء خادم بسفود عليه شواء
فبسقط من يده فوقع على ابن له فمات فدهش الغلام فقال له لا لوم عليك
انت حر لوجه الله ومن الحصص ان يوسف اقر مرة بالرق صار عزيز مصر
فقس عليه حال من اقر بالتوحيد مرة فانه يخلص نفسه من الكفر عن يحيى بن
معاذ قال في مجلسه لا اله الا الله كلمة التوحيد والايمان ورأس الطاعات
والاحسان وبها يخرج المرء من الكفر والطغيان ويدخل في نور التوحيد
والايمان والعرفان وبها يصير العبد وليا بعد ما كان عدوا ويكون
عزيزا بعد ما كان ذليلا وطاهرا بعد ما كان نجسا وقريبا بعد ما كان
بعيدا وحيا بعد ما كان ميتا روى ان ابا حنيفة رح كان جالسا مجلس
عمرو بن ذر الواعظ فلما كان عند الدعاء قال اللهم اغفر لسحرة فرعون
ذنوبهم بتوحيد ساعة فاغفر لمن زنج عمر على توحيدك ذنبه في ساعة
فقام ابو حنيفة وقال القصص بعدك حرام وقال يحيى بن معاذ ان كان في
توحيد طرفة عين محو ذنوب الف سنة فكيف توحيد السنين ومنها
ان هضم النفس اولى ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع
نفسه رفعه الله ومن رفع نفسه وضعه الله تعالى سئل ابن عطاء عن اقرب
شئ الى مقت الله فقال رؤية النفس اراد بها ان يرى الرجل لنفسه قدرا
وعزة بل ينبغي ان يحقر نفسه ومنها ان يوسف كان حسنا بحيث الا قيمة له
وقد شروه بثمن بخس كما قال الامام القشيري ليس العجب ممن يبيع يوسف
بثمن بخس العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس والحرمان لا غاية له

والبخت لانهاية له ومثله ان الجنة لاقيمة لها وقد تباع بثمن قليل كما ورد
في الخبر لا اله الا الله سبيل النجاة وثمن الجنة روى ان فاسقا كان يدمن
الخمر فقام من مجلس فسقه وفي يده تفاح وذهب في الطريق ولقي يتيما
فاعطاه فلما مات رآه بعض الصالحين في المنام انه في الجنة فسأله بما
نلت الجنة قال بتفاح اعطيته يتيما ومنها ان يوسف بعد ما انتظر
في الجب ثلثة ايام وصبر على تعب وصل الى نعمة جليلة وكذا المؤمن
يحبس في الرحم والمهد وهذه يصبر على خلاف النفس يبلغ درجة الصديقين
قال ابرهيم بن ادهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجاوز ويقطع
ست عقبات اولها ان يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثانى
ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث ان يغلق باب النوم ويفتح
باب السهر والرابع ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والخامس ان يغلق
باب الغناء ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق باب الامل ويفتح باب
الاستعداد ومنها ان مالكا البس يوسف سخاتم البسه الله تعالى ياقوتا
فاخرة وكذا المؤمن يلبس كفنا ثم يلبس سندسا واستبرقا كما قال تعالى
ولباسهم فيها حرير ومنها ان العزيز عند الله تعالى الجمال القلبي لا الصوري
لقوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
ونياتكم ومنها ما ذكر الامام القشيري قدس سره ليس العجب ممن يبيع يوسف
بثمن بخس العجب ممن يبيع وقته الذي هو اعز من الكبريت الاحمر بعرض
حقير من الدنيا شعر ما مضى فات والمؤمل غيب فلك الساعة التي انت فيها
فعلى العاقل ان يغتنم الساعة التي هو فيها ولا يصرفها الى الهواء قيل الصوفي
ابن الوقت بيت صوفي ابن الوقت باشد اى رفيق نيست فردا كفتن
از شرط طريق روى ان مكحول الشامي رح كان يعظ الشباب اعملوا في زمان
شبابكم ولا تؤخروا العمل حتى لا تفوتوا كما اقول وقت العمل زمان الشباب

قد مضى وفات ومنها ان بيع يوسف اخوته ليس بأعجب من بيعك نفسك
بشهوة بل بادنى من ذلك وهو الطمع في الشهوة وباع يوسف اخوته للمعاداة
وانت تبيع نفسك مع محبتك اياها ومنها ان العوام لا يعرفون قيمة الصالحين
وهم عند اهل الله بل عند الله اعز كما ان السيارة لم يعرفوا قيمته فزهدوا وباعوه
بثمن بخس والذين وقفوا على جماله وشيء من حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى
اشتروه بوزنة دراهم ودنانير والا منعة مرات وفي معناه انشد العاقل
شعر ان كنت عندك يا مولاى مطرحا ... فعند غيرك محمول على الحدق
واذا اريد النفيس الانفسي مرادا ان يوسف القلب يشتريه القوة الفكرية
بثمن بخس وهو الدنيا فمن تركها وصل الى يوسف المحبوب اعلم ان الدنيا
لما ارتحلت وذهب مالك بن ذعر بيوسف على بعير ومروا بمقابر آل
يعقوب القى يوسف نفسه من البعير وسقط على قبر امه وبكى وقال
يا اماه انظري الى ابنك يوسف فانه في مسغبة وسلسلة وقد باعوا اخوته
ولما نظر الغلام الاسود الى البعير ولم ير يوسف عليه رجع ووجده
على قبر يبكي قال صدق يا يعوك انك عبد آبق فلطمه لطمة شديدة حتى
سال الدم من فيه وضربه برجله على ظهره واخذ السلسلة وجر
على وجهه فغشي على يوسف فلما افاق قال يوسف والله ما ابقت
لكنكم مررتم بي على قبر امي فلم املك نفسي فرميتها على قبرها ورفع رأسه
الى السماء فقال يا اله يعقوب اسرائيل واسمعيل ذبيح وابرهيم خليل الله
فنزل جبرائيل بامر الجليل وقال السلام عليك يا يوسف قال يوسف وعليك السلام
يا حبيبي جبرئيل فقال جبرئيل يا يوسف اخفض صوتك فقد ابكيت ملائكة
السماء وان شئت هلاك السيارة اقلب الارض عليهم قال يوسف لا تعجل
يا جبرئيل فان الله تعالى حليم كريم ولكن خوفهم فعند ذلك ظهرت عمامة
سوداء وظهر الرعد والبرق والصاعقة وامطرت عليهم بردا كل واحد

مثل بيضة حتى ايقنوا بالهلاك فالحصة منه ان البكاء والدعاء سبب الرحمة
وان لطف الله تعالى حاصل للاولياء وان يوسف كريم كما قال عليه السلام
الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقالت السيارة
فيما بينهم ابتنا اذنب ذنبا حتى غضب الله علينا فاخبر الغلام الاسود ما وقع
منه فتضرعوا بين يدي يوسف وقالوا ان شئت نقتل الغلام قال لست من اهل
بيت تنتقم الجاءني بل تعفو عنه والحصة منه ان الكريم يعفو عن الجاني كما ورد
في الخبر ان الله تعالى قال انا العواد الى الغفران كما ان العبد عواد الى العصيان
فان قيل ما الحكمة في ان اخوة يوسف فعلوا ما فعلوا ببوسف ولم يجئ عليهم
غضب من الله تعالى وجاء عند فعل الغلام الاسود قلنا لانهم اقرباء يوسف
وهو سنيع لهم بخلاف الغلام الاسود فان قيل ما الحكمة في وقوع تلك المحن على
يوسف قلنا ليعرف حال الذين وقع عليهم المحن والغربة ويعرف قدر السلامة
والعزة على ان البلاء والولاء توأمان والحصة منه ان المؤمن لا يخلو عن بلية
وان المحبة قرينة المحنة وروى ان يوسف كان يسلم كل صباح على مالك بن ذعر
في الطريق ولم يسلم عليه ثلثة ايام فاستخبر قيل انه مرض منذ ثلثة ايام وقال مالك
يا يوسف ما سبب مرضك قال يا مولاي امرضني علي والمسخ ورجل البعير ومشبه
النقيل فقال مالك يا يوسف قد اشترط بايعوك على هذا الوجه فاصبر حتى
ادخل المصر فان الشرط ينتهي به والصبر مفتاح الفرج والحصة منه ان الوفاء
بالعهد والشرط تما يحب رعايته والصابر على البلية يصل الى البغية روى
عن علي بن احمد الهاشمي ان داود عليه السلام ناجى ربه فقال ما جزاء من عرفك
وسلم نفسه اليك قال جزاؤه ان اجعل البلوى قيده ونفسي صيده قال وجب
فانطلقت السيارة حتى وردوا به مصر ونزل مالك به في خيمة بقرب من نيل
مصر فقال مالك اغتسل به واغتسل يوسف والبسه مالك ثيابا فاخرة
وتاجا مرصعا واركبه فرسا جوادا والحصة منه ان المؤمن اذا وصل الى مصر الاخرة

ينتهي المحنة ويلبس حلة وتاجا ويركب براقا وكذا اذا خرج من النار يغتسل
بماء عين البقاء ونهر الرحمة ويبرأ عن الاسقام والجروح فلما دخل يوسف
مصر تعجب اهل مصر من حسنه فانه لم يكن بعده احد مثله في الحسن قالت عائشة رض
يا رسول الله يوسف احسن ام انت قال عليه السلام هو احسن خلقا وانا احسن
خلقا فقالت عائشة رض لم لا يخبر الناس قال ان لم اقل انا فقد قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم واليوم الذي دخل يوسف فيه كان يوم ذو غيم فظن
اهله وقت دخوله ان الشمس خرجت من السحاب وينظرون اليه والحصة
منه ان المؤمن اذا دخل الجنة ينظر اليه الملائكة وهو ينظر الى ربه كما قال تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيزداد نوره فيتعجب الملائكة من نوره
ولما كان الجمال الجميل مع يوسف رغب فيه الناس ولم يضره مفارقة
الاوطان والاب والاخوان ولبس الثوب الخشن وسائر المحن والحصة منه
ان المؤمن اذا كان معه جمال الايمان لا يضره مفارقة الاوطان والاخوان ولبس
الكفن وركوب النعش تعب سفر الاخرة روى ان رجلا قال في وقت النزع لا باس
لا باس فمات فراه بعض الصالحين في المنام واستنطقه من ذلك الكلام قال
قال لي ابليس فارقت الاوطان ويتمت الاولاد وعطلت الاعمال وتركت الاموال
اجبته لا باس لا باس فان الايمان معي فلما رأى اهل مصر يوسف قالوا هو ملك
او جن او انس قال مالك انه انس وهو عبدي اريد ان ابيعه قالوا عين ثمنه قال
من اراد ان يشتريه فليحضر غدا في باب ريان فان يوسف يعرض على البيع وكان ملك
مصر يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان
فرعون موسى وهو غير بعيد لانه عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى في سورة حم
المؤمن ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء فشاع خبر يوسف في تلك الليلة بكل
بيت مصر فلما اتى مالك به من بينا بباب ريان وحضر اهل مصر طالبين نادى المنادي

تمنى

من يشترى الغلام الحبيب اللبيب الصبيح المليح ليس له مثل فى الدنيا فلما
سمع يوسف كلام المنادى تواضع وقال لا تقل هكذا وقل من يشترى الغلام
الغريب المطرود المهجور الضعيف المظلوم والحصة ان من تكبر وضعه الله
ومن تواضع رفعه فان يوسف لما اغتر بحسنه بيع بثمن بخس ولما هضم نفسه
بيع بثمن غال وقال وهب باعه مالك بعد مالك بعد ما عرضه فى بيع من زيد
على الطالبين ثلثة ايام فزاد الناس بعضهم على بعض حتى بلغ بحيث لا يقدر
احد عليه وبكى يوسف بكاء شديدا قال مالك ما يبكيك يا يوسف قال
ما كان لى قيمة عند اخوتى وصرت غاليا عند الاباعد ولا اعرف كم قيمتى عند الله
والحصة منه ان تحمل المحنة والذلة اولا يجعل العبد شريفا عزيزا ثانيا وان
البكاء من خشية الله تعالى محمود ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزقنى عينين هطالتين وقال عليه السلام ما من قطرة احب الى الله
من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله وروى
انه اشتراه العزيز الذى كان على خزائن مصر اسمه قطفير او اطفير وكان مؤمنا
معلنا بايمانه وكان شرطه على الملك ان لا يصده عن دينه ولا يدعوه الى غير سبيله
وكان رجلا صالحا وكان يوسف يومئذ ابن ثلث عشرة سنه او ابن سبع
عشرة سنة او ابن ثمانى عشرة سنة او ابن تسع عشرة سنة ولبث فى منزله
ثلث عشرة سنة او استوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة ومات وهو ابن مائة
وعشرين قيل ان زليخا كانت بنت طيموس ملك المغرب وزات يوسف فى منامها
وكان بلدها من مصر على مسيرة ستة اشهر فتخيل حسنها من محبة يوسف
وكانت بنت تسع سنين فحكت حالها للمعبر فقال لها اذا رايته فاسئليه
عن حاله ومكانه فرأته فسالته ابن اجدك قال بمصر فاتى ملكه وكان عند
زليخا سبعة وعشرون رسولا من الملوك يطلبونها للتزوج سوى ملك
مصر فقالت يا ابت لا اريد سوى ملك مصر فارسل ابوها رسولا الى قطفير

ان لى

ان لى بنتا لا تريد سواك فان رغبت فيها اعطيكها فكتب اليه قطفير
ولا تريد سواها فزينها ابوها وارسل معها الف جارية والف عبد والف
جمل والف بغل واربعين حمل دينار واربعين حمل ديباج فلما دخلت مصر
ودخل عليها قطفير غشى عليها وقالت هذا ليس الذى رأيته فى المنام
فهتف هاتف اصبرى عسى ان تظفرى له فسكنت فافتتن قطفير بحسنها
فلما كان يوم البيع ووقعت عين زليخا عليه تحيرت وقالت لجاريتها هذا
هو الذى رأيته فى المنام فاشتراه قطفير بالاموال الكثيرة واختلف فيما
اشتراه العزيز قال مقاتل بعشرين دينارا ونعلين وحلة وقال الكلبى
بعشرين درهما وقيل توزنه فضة وقيل توزنه فضة وقيل يوزنه ذهبا والكل
انه بيع بوزنه مرة فضة ومرة ذهبا ومرة مسكا ومرة لؤلؤ ومرة حلة
ومرة حريرا ومرة عمامة وكان وزنه اربعمائة رطل وطلب يوسف من
مالك كتاب الشراء الذى كتبه اخوه روبيل ودفعه اليه وروى ان العزيز
لما احضر هذه الاشياء لمالك قال ليوسف لا تاخذ هذه الاشياء ثمنا
عنى فانى حر وبين نسبه فقال مالك لم تخبرنى بذلك فقال كان لا يمكن
فانى العزيز وقال لا يصلح المثلى وانا تاجر من تجار ولا يتك والمستظل
بظل دولتك ان اربح عليك وانى اشتريته بدراهم معدودة فلا اخذ
منك الا هذا القدر ولولا انك لا ترضى بامتنانى عليك لم اخذ منك
شيئا فاحسن الى هذا فانه اهل الاحسان ثم جاء الى يوسف وقال قد علمت
بقولك وبينا حقوق الاكل والشرب فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال
انا رجل لا ولد لى فادع الله تعالى ان يرزقنى اولادا فنظر يوسف الى جبرائيل
مقبلا يقول ادع الله للتاجر فقال ما اقول قال قل يا من يعز ويذل يا من
يضع ويرفع يا من يعطى ويمنع يا من هو على كل شئ قدير ارزق الشيخ اولادا
ذكورا قال ابن عباس رضى الله عنهما فاستجيب له دعوته وكان لمالك اثنتى عشرة

جارية فرجع اليهن وباشرهن فحملت كل جارية وولدت ذكرين فاجتمع
له اربعة وعشرون ابنا ومن الخصص انه يجب على المؤمن ان يجتنب
من المال الحرام ولذا قيل اترك الدنيا فان طلبها ذهاب الدين ومنها ان
لا ينسى اهل الاحسان وبذل الغير على احسانه افالدال على الخير كفاعله
ومنها انه يطلب الدعاء ممن يرجى استجابة دعائه قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ومنها انه ينبغي ان يتعلم الداعي كيفية
الدعاء فانه مكالمة من الله تعالى وهي مقام كبير شريف وقال الذي
اشتراه من مصر اي لما اشترى العزيز يوسف حمله الى بيته وقال
لامرأته راعيل او زليخا قيل الفصيح ضم الزاء وفتح اللام لكن المشهور
فتح الزاء وكسر اللام اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما حسنا
وانزليه منزلة من يكرم والمعنى احسني تعهده قيل ثم اقبلت على يوسف
والبسته قميصا ملكيا عليه الف حبة من اللؤلؤ واعطته منطقة
ملكية عليها من الياقوت والزبرجد ما يعلم قيمتها الا الله تعالى وعممته بعمامة
ملكية فقال لها يوسف كيف يجوز للعبد ان يكون له مثل هذا اللباس
والسيد في ثياب دونه فقالت انت السيد وهو العبد وانا الجارية اليس
قال اكرمي مثواه ولو قدرت على اكثر من هذا لفعلت عسى ان ينفعنا في
ضياعنا واموالنا بالاعانة لنا عليها ونستظهر به في مصالحنا
ويكفينا بعض اشتغالنا فيفوق ارتفاق العبيد او نتخذه ولدا
اي نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد روى عن عبد الله بن
مسعود رض قال افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامرأته اكرمي مثواه
عسى ان ينفعنا وبنت شعيب التي قالت استأجره ان خير من استأجرت
القوي الامين وابو بكر رض حين تفرس من عمر ولاه من بعده من الخصص
ان العزيز وان تفرس في رشد يوسف ولكن اخطأ حيث فوض امره الى

الى المخلوق

المخلوق لا الخالق والله خير حافظا ومنها انه اخطأ في تفويض امره
الى المرأة فكذا كل من اعتمد على مخلوق ناقص العقل ومنها انه قال لامرأته
اكرمي مثواه فوجب عليها ان تسكنه في قلبها وتحبه اشد الحب فان
المثوى الذي اكرامه هو القلب ومنها انه طمع من المخلوق حيث قال
عسى ان ينفعنا فتضرر ومنها انه امر امرأته بقوله اكرمي وطمع من يوسف
حيث قال او نتخذه ولدا والمرأة عصت ويوسف راعى حق الابوة والبنوة
حيث لم يفعل السوء بامرأة الاب فلا ينبغي للعاقل ان يغفل عن عصيان
النساء بل ينبغي ان يكون على احتياط منهن ولا يخاف من ضرر العاقل
اذ عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل واذا اريد التفسير الانفسي
يراد بالعزيز الروح الذي هو من مصر القدس وهو اشترى يوسف القلب
من المالك بن دغراى من القوة الفكرية وسلم اليها ثمنه الكثير وهو المعاني
والمعارف الفائضة عليها منه عند استنارتها بنوره وقربها منه
والمراد بامرأة العزيز التي اوصى اليها بقوله اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا
هي النفس اللوامة التي استنارت بنور الروح ووصل اثره اليها ولم تكن
في ذلك والمراد بالمثوى الصدر فان القلب اذا تجرد فيه ينفع الروح والنفس
ويكون كالولد الصالح وقال الامام القشيري قدس سره لما نودي على يوسف
في مصر بيعه لم يرض الله تعالى حتى اصابتهم الضرورة حتى باعوا من يوسف
جميع املاكهم ثم باعوا انفسهم منه في اخر امرهم طلبا للطعام فصاروا
باجمعهم عبدا له فيوم بيوم ثم انه لما ملكهم من عليهم فاعتقهم كما يجيء تفصيله
والحصة منه ان مع العسر يسرا شعر اذا ضاقت بك البلوى ففكر في
الم نشرح فعسر بين يسرين اذا فكرته فافرج وان الكريم اذا قدر عفى كان
يحيى بن معاذ يقول الهي كيف افرح وقد عصيتك وكيف افرح وقد
عرفتك وكيف ادعوك وانا خاطئ وكيف لا ادعوك وانت كريم اعلم

ان زليخا كانت تخدم يوسف كالامة لسيدها وتظهر كانها تريد امتثال
امر العزيز والحصة منه ان اهل الرياء يعمل لنفسه ويظهر انه يعمل لله
العزيز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي من اشير اليه
بالاصابع الا من عصمه الله وكان يوسف يسكن على حصير في زاوية
بيت ويقرأ صحف ابرهيم ولا يلتفت الى الدار وصاحبتها والحصة منه
ان العاقل ينبغي ان يقنع بالقليل من الدنيا ويشتغل بطاعة المولى ولا يلتفت
الى غير الله تعالى قيل لبعض العارفين ما لك اعتزلت عن الناس فقال اخذت
بثلث ايات من كتاب الله تعالى احدها قوله تعالى وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فلما علمت ان النفع
والضر بيد الله وليسا بيد العباد ايست من العباد والاية الثانية قوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت ان الرازق هو الله تعالى
فلم اشتغل بغيره والثالثة قوله تعالى فاذكروني اذكركم فلما علمت ان
العبد ما دام في ذكر الرب بين الادميين يذكر الرب بين الملائكة المقربين
اشتغلت بذكره تعالى وكان يوسف يبكي ولا يتنعم بنعيم العزيز واخبرته
زليخا بذلك امر العزيز ان يركب ويخرج الى الصحراء حتى ينشرح قلبه فركب
يوسف ورأى اعرابيا جاء من دوب كنعان فسأل الخبر عن يعقوب فقال
فقد ابن له وقد انحنى من فراقه واعرض عن سائر ابنائه وكلما سكت الاعرابي
استخبره يوسف لانه من منع من النظر تسلى بالاثر وكذا الذي يحب الله
بستأنس بذكره **وكذلك** اي وكما خلصناه من كيد اخوته او انجيناه من الجب
او عطفنا عليه العزيز او مكنا محبته في قلبه او مكناه في منزله **مكنا**
ليوسف في الارض اي جعلناه متمكنا في ارض مصر وهي اربعون فرسخا
في اربعين فرسخا ومن الحصص ان يوسف معزز في الديار المصرية ويعقوب
محزون في ديار كنعان كما ان الولد الميت معزز في الجنان عند الملك المنان

والاب

والاب باك في الدنيا وبنت الاحزان ومنها ان اخوته اخرجوه من ارض كنعان
مكنه الله تعالى في ارض مصر وكذا المؤمن اذا خرج من الدنيا يصير عزيزا تحت
الثرى وفي الدار العقبى ومنها ان يوسف ابتلي بانواع البلاء جعله الله تعالى
عزيزا مكينا وكذا المؤمن اذا صبر على الفقر والفناء يصير مكرما عند الله تعالى
واذا اريد التفسير الانفسي يراد بيوسف القلب لما عرفت مرارا ويتمكن
الله تعالى اياه في الارض اقداره بعد التزكية والتنوير بنور الروح على مقاومة
النفس والقوى وتسلطه على ارض البدن باستعمال الالة في تحصيل
الكمالات وسياستها بالرياضات **ولنعلمه** عطف على مضمر تقديره
لنتصرف فيه بالعدل ولنعلمه **من تأويل الاحاديث** اي كان القصد
في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معاني
كتاب الله واحكامها فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة
ليستعد لها وليشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه ومن الحصص
انه تعالى كما من على يوسف بتمكينه في الارض وتعليم العلم من على المؤمنين
بقوله وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وقال ورضيت لكم الاسلام دينا
وقال وعلم الانسان ما لم يعلم وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ومنها ان التمكن في الارض وتعلم العلم امران خطيران
انما يحصلان بتمكين الله تعالى وتعليمه ولذا اسندهما الى نفسه ومنها
ان تنفيذ الاحكام وتدبير الحوادث انما يكونان بعد العلم ولذا قيل العلم
امام والعمل تابعه ومنها ان القدرة في الارض وحصول العلم متقاربان
وصاحبهما متقارنان روي عن صالح المري قدس سره انه دخل على امير المؤمنين
فاجلسه على وسادته فقال صالح قال الحسن ان العلم يزيد الشريف شرفا
ويبلغ بالعبد منازل الاحرار والامن صالح المري حتى يجلس على وسادة
امير المؤمنين لولا العلم واذا اريد التفسير الانفسي يراد ان الله تعالى

بعد انجاء يوسف القلب عن جب الطبيعة واقداره على مقاومة النفس
وتسليطه على ارض البدن بعلمه اخراج الامور التي هي في استعداده من
الكمالات الحاصلة بالقوة الى الفعل والله غالب على امره الضمير اما
راجع الى الله او الى يوسف فالمعنى على الاول لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء
وعلى الثاني اراد به اخوته شيأ وهو هلاك يوسف وعزة انفسهم واراد الله
غير فلم يكن الا ما اراده او تبلغه المنزلة التي تبلغه اياها او اراد يعقوب
ان يكون يوسف معه واراد الله خلافه او اراد مالك ان يكون يوسف
عبدا واراد الله تعالى ان يكون مالكا او ارادت زليخا ان يفعل يوسف السوء
واراد الله غيره او اراد العزيز ان يكون يوسف في ذلة السجن واراد الله تعالى
ان يكون في عزة الدولة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى وقيل اراد آدم عم البقاء
في الجنة واراد الله خلافه فكان الامر على ما اراده واراد ابليس ان يكون رئيس
المتسفرة واراد الله ان يكون امام الفجرة واراد نوح ان يكون كنعان في الفلك
واراد الله تعالى ان يكون في الهلك واراد نمرود ان يحرق ابرهيم واراد الله نجاته
واراد ابو جهل ان يكون النبوة لوليد بن مغيرة واراد هلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم واراد الله تعالى ان يكون النبوة له واراد هلاك ابي جهل فكان الامر
على ما اراده وقس على هذا نظائره ومما يوحى الى داود عم ان الله تعالى قال يا داود
انا اريد وانت تريد ثم لا يكون الا ما اريد واتبعتك فيما تريد فامر الله تعالى
غالب على كل امر فالحصة منه انه لا ينبغي للعاقل ان ينضجر اذا لم يصل الى ما
اراده لان الله تعالى اخبر بغلبة امره ايقظنا الله تعالى من نوم الغفلة واوصلنا
الى حقايق الاشياء ثم ان الله تعالى اخبر بان هذا المعنى لا يعلمه اكثر الناس
حيث قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون المفعول محذوف فالتقدير
على تقدير رجوع ضمير امره الى الله ان الامر كله بيد الله يعني لا يعلمون
هذا المعنى وعلى تقدير رجوعه الى يوسف لا يعلمون لطائف صنعه

وخفايا لطفه يوسف عليه السلام والعلة اعراضهم عن التفكر في اياته
والاستدلال بها على كمال قدرته ونفاذ مشيته وحسن تدبيره ومن
الحصص ان الشيطان يريد ان يكون المؤمن معذبا والله تعالى يريد ان
يغفر له فيبطل كيد الشيطان لانه غالب على امره ومنها ان النفس تريد
ان يكون المؤمن عاصيا والله تعالى يريد ان يكون معصوما من المعاصي
والمعصوم من عصمة الله تعالى ومنها ان المرأة قد يعتمد على عصمة نفسه
من المعاصي والله يريد ان يظهر فضله فالعبد يعصي الله ثم يغفر الله تعالى
له كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا انتم لجاء الله تعالى
بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنة ومنها ان العبد تعتمد على
عبادته والله يسلط الشيطان عليه فان الله تعالى يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد واذا اريد التفسير الا نفسي يراد ان الله تعالى غالب
على امره يفعل ما يريد في مملكة وجود الانسان وان يوسف القلب
يريد ان يخرج ما في استعداده بتصرفه ولا يقدر عليه والله غالب على امره
بالتأييد والتوفيق والنصر حتى يبلغ غاية كمال رشده من المقام الذي يقتضيه
استعداده فيؤتيه العلم والحكمة روي عن سليمان الداراني يقول ان الله تعالى
اوحى الى داود عم اني اذا احببت عبدا اوجبني عبدي وكلت به ملكا يفرش
في قلبه طرائف الحكمة فاذا ثبت الاصل في القلب نطق اللسان بالفرع
ولما بلغ يوسف اشده جمع شد او شد او شد او واحد جاء على بناء
الجمع وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه والمعنى لما بلغ يوسف منتهى اشتداد
جسمه وقوته وهو سن الوقوف بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبداء بلوغ الحلم قال ابن عباس رض عشرين سنة وقيل ثماني عشرة سنة
يقول تعالى لما بلغ يوسف عليه السلام شبابه وكمال قوته ووفور عقله واهتدائه
الامور قال في الصحاح وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين انتهاه

حكما اى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس بالنبوة قال
القشيرى قدس سره من جملة الحكم الذى اتاه الله تعالى نفاذ حكمه على نفسه
حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على
نفسه لم ينفذ حكمه على غيره قال وقيل لما استوى سبابه وكان وقت
استيلاء دواعى مطالبات البشرية آتاه الله تعالى الحكم الذى اثبته
على الحق وصرفه عن الباطل وعلما يعنى علما بالدين وبتاويل الاحاديث
قال الامام نقلا عن الحسن ان يوسف عليه السلام كان مبنيا من الوقت
الذى القى فى غيابة الجب ثم صار رسولا من الوقت الذى بلغ اشده ثم قال
ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت فى غيابة الجب وقوله تعالى ولما بلغ
اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله اتيناه حكما وعلما
اشارة الى استكمال النفس فى قوتيها العملية والنظرية وكذلك
هكذا نجزى المحسنين تكافى من احسن عمله فلم يخلطه بشرك ولا معصية
قيل المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الله تعالى انه صير الى العلو
على قومه ونفاذ الحكم والتسلط عليهم كما فعله بيوسف عليه السلام
وقال ابن عباس رض وكذلك نجزى المحسنين اى المؤمنين وقال الضحاك
اى الصابرين على النوائب وقال الامام ابو منصور رح وكذلك نجزى المحسنين
يحتمل احسان الاعمال ويحتمل الاحسان على الناس ويحتمل الاحسان
الى نفسه ويحتمل احسان صحبة نعم الله تعالى والقيام بشكره وفيه تنبيه
على انه تعالى انما آتى يوسف الحكم والنبوة جزاء على احسانه فى عمله واتقائه
فى عنفوان امره وشبابه ومن الخصص ان الشاب اذا احسن عبادة الله تعالى
اتاه العلم والحكم كما قال الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته اتاه الله
الحكمة فى اكتهاله ومنها ان من عمل صالحا واطاع الله تعالى يفتح الله له ينابيع
الحكمة قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة

من قلبه

من قلبه على لسانه ومنها ان عباد الله الصالحين يحسنون فالجنة جزاؤهم
كما قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون
ومنها ان يوسف لما علم عبارة الرؤيا ملك ارض مصر كما ان ادم عليه السلام
علم الاسماء وجد الجنة فالمؤمن اذا علم التوحيد يصل الى الله تعالى روى
ان واحدا من اهل العرفان ينادى كل ليلة آهى فى الدنيا الغموم والاحزان
وفى الاخرة النار والعقاب والحساب فاين الراحة ومتى الراحة فذكر
ليلة ثم نام فقيل له فى المنام انت فى هم وقد عرفتنا ووحدتنا فمتى وحدتنا
وجدتنا اومن وحدنا وجدنا فمتى يبقى فى الغم وهو ينظر الى وسطه
فليس يرى الزنار والى قلبه فليس يرى الكفر والى موضعه فليس يرى نفسه
فى البيعة والكنيسة بل يرى قلبه مملوا من الايمان ولسانه مقروا بالتوحيد
ونفسه فى المسجد وهذا كله راحة وطرب فانتبه من منامه فقال تبت
اليك يارب فالحصة ان المؤمن لابد له ان يعرف شرف التوحيد ويغتنمه
ويتذكر احوال الكفرة والفسقة فيشكر الله تعالى على توفيقه ويتسلى به عما
يعرضه من غموم الدنيا وهمومها من انها لا تدوم بل تضمحل قريبا ومنها
ان فيض الله تعالى موقوف على الاستعداد فلابد للسالك من تحصيل الاستعداد
وصيانة العمر عن الضياع ومنها ان كمال الرجولية غلبة المرء على شهوته
فانه امارة عظيمة روى ان واحدا من الصحابة طلب الامارة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرتك على نفسك فالحصة انه لابد للعاقل ان يامر
على نفسه قبل كل شئ لانه سبب الاستقامة وهى باعثة لنجاته من كل ما هو
موبق ومنها ان الله تعالى لا يضيع اجر المحسنين فلابد للعاقل ان يصرف وقته
الى الثواب لان الانام خلق للعبادة والمعرفة قال الله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وفى هذا المعنى قيل شعر اما والله لو علم
الانام لما خلقوا لما اكلوا وناموا ومنها ان الصبر على النوائب احسان

وبه يحصل المرام واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان يوسف القلب
اذا احسن فى الطلب والارادة وتحمل الاجتهاد والرياضة بكل فيض الله
عليه ثم ان الله تعالى بين من آثار ما آتاه من الحكم وهو العفة عما حرم عليه
حيث قال وراودته المراودة فعل اثنين يريد احدهما الآخر على شىء
فيجرى فى ذلك مدافعة وممانعة وهى من زاد يرود اذا جاء وذهب لطلب
شىء ومنه الرايد الذى يرسل الى طلب الكلاء التى المرأة التى اى زليخا
هو يوسف فى بيتها فى بيت تلك المرأة اى طالبت زليخا يوسف
بمساعدتها على الموافقة وارتكاب الفحشاء منها ويجوز ان يكون مشتقا
من الرويد وهو التمهل والترفق فالمراودة هى المطالبة على التمهل
والترفق والتلطف اى طالبة مرة بعد مرة برفق وسهولة قال الامام
ابو منصور دلت الاية على ان البيت قد يضاف الى المرأة وان كان فى
الحقيقة لزوجها ولذا يحنث الحالف اذا دخل دارا هو ساكنها عن نفسه
اى من اجلها والمعنى احتالت عليه وارادت خدعه عن نفسه لتنال
غرضها منه مما تريد النساء من الرجال من المواقعة وغيرها وغلقت
الابواب عليها وعلى يوسف التشديد للتكثير فى المفعول وهو
الابواب وكانت سبعة او كان الباب واحدا والتشديد مبالغة
فى الاحتياط والتستر فكانها غلقته مرة بعد مرة فالتكثير للمبالغة
فى اصل الفعل او بمغاليق وجمع نظرا الى اجزائه وافراده فكان كل جزء منه
باب وانما غلقها لئلا ينجاها واحد ولئلا يتخلص يوسف عنها وقالت
هيت لك اى تعال واقبل وهلم وبادر الى ما هو لك او تهيأت لك
والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتى فى سقيا لك وتلخيص المعنى انا لتى شهوتى منك فزليخا جعلت
تعزم وتمازحه ويوسف عم يغطها ويزجرها قيل بنت بيتا ليوسف

مزخرفا

مزخرفا من الرخام والفيروزج والعقيق والذهب والفضة وغيرها
من الجواهر النفيسة وزينته بانواع الزينة وبسطت فيه بانواع البسط
والفرش ثم قالت لجاريتها التى تصرف حالها كيف افعل قالت تزيني
بكل زينة حسنة واعرض عليه نفسك فارسلت اليه فجاء يوسف
وقت الظهيرة فلما نظر اليها قال الهى ان هذه فتنة لا ينجو منها الا معصوم
فاعصمنى بعصمتك قال معاذ الله نصب على انه مفعول مطلق اى
اعوذ بالله معاذا من ان اعصيه واخونه اى ان اجبت الى هذا انه اى
الشان ربى اى زوجك سيدى قطفير بحكم الشراء ظاهرا والا
فيوسف حر احسن مثواى اكرم مقامى حين اوصاك باكرامى فما
جزاؤه ان اخونه فى اهله بعد اكرامه اياى وحسن ظنه بى اورقم مقامى
بان مد يده فرفعنى فلم اكن بامرأته ذلك وقيل الضمير لله اى الله ربى
اى خالقى احسن مثواى بان عطف على قلبه فلا اعصيه او بها اعطانى
اذ جعلنى من ذرية الانبياء فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون
اى المجازون الحسن بالقبيح وعلى الاول فلا اخون العزيز وقد احسن
الى فاكون ظالما له ولنفسى انه لا يفلح الظالمون ولا يفوزون بخير
ولا حمد من الناس وقيل لا يفلح الظالمون اى لا ياس من عذاب الله
الزناة وقال الامام ابو منصور به لا يفلح الظالمون ما داموا فى ظلمهم
فاذا تركوه وتابوا عنه افلحوا وتفصيل القصة على ما ذكروا ان زليخا
خدمت يوسف عليه السلام مدة وهويت نفسا وهامت محبة فتحيل بدنها
وذهب قرارها ونومها وارتاب اهل بيتها فى امرها فسألها الطبيب عن ذلك
اسرها فارعة فحكت لها واستغاثت بها على بلوغ مرادها من يوسف
فقالت لها اخبريه عما فى قلبك واعرض عليه جمالك قالت انه لا يدنو منى
ولا ينظر الى ولا يفتح عينه على قالت فانا احتال لذلك لا بد من مال كثير

فبذلت لها ما سألت فاتخذت من رخام ممسّس على سقفه وحوائطه صورة
زليخا ولما تم ذلك هيئات البيت بالوان الفرش وزينت بالاوانى والحلى ولبست
الحلل وتوجت بتاج مرصع وجلست على سرير ذهب مرصع باليواقيت وعليها
انواع الحلى ودعته فجاء هو لا يعلم فلما دخل البيت اغلقت عليه الابواب وهى سبعة
بعضها فى بعض ونظر يوسف الى جانب رأى صورة زليخا واعرض عنه ونظر
الى جانب اخر رأى صورتها وقالت له يا يوسف ما احسن وجهك قال التراب
يأكله وفى الرحم صورنى ربى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء فصوركم
فاحسن صوركم قالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شئ يسقط من
جسدى فى القبر قالت يا يوسف ما احسن رائحتك قال لو اطلعت فى قبرى
بعد ثلثة ايام لوليت منى هاربة قالت يا يوسف ما احسن عيناك قال بهما
انظر الى ربى وهما اول شئ يسيلان الى الارض من جسدى قالت يا يوسف
ارفع بصرك فانظر الى قال اخشى العمى فى اخر عمرى وفى القيمة قالت يا يوسف
لم تباعدنى قال اريد به الاقتراب من ربى قالت يا يوسف القبطون فادخل معى
قال ليس شئ يسترنى من ربى قالت يا يوسف فراش الحرير ممهد لك قم فاقض
حاجتى قال اذا يذهب من الجنة نصيبى قالت يا يوسف تجترئ على سخطى
قال ارجو بذلك مرضاة ربى قالت يا يوسف عبد اشتريتك فانت تتعظم
على قال يجرمنى وخطيئتى اشترينى قالت يا يوسف ليتنى لم اعرفك قال ذلك
فعل اخوتى اذ باعونى قالت يا يوسف صنع يدك على صورى حتى يسكن قلبى
قال لا صبر لى على احتراق جسدى واخاف الغل من النار يوم القيمة قالت يا يوسف
الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال الذى بيده مفاتيحها احق ان يسقيها
منى قالت يا يوسف اشتريتك فجعلتك بمنزلة زوجى قال وكيف ازرع
فى ارض غيرى قالت يا يوسف لاسلمنك الى ايدى المعذبين فيسلول جسمك
كما سلمت جسمى قال الماس اذا كان ربى راضيا عنى قالت يا يوسف باى علة

امتنعت

امتنعت منى قال بحقين بحق الهى الذى فى السماء ملكه وبحق سيدى
الذى فى الارض سلطانه على وعليك فالت يا يوسف اما سيدك الذى
فى الارض سلطانه على وعليك فانى اخذ كاس الزبرجد بيمينى وابريق الدر
بشمالى فاسقيه الكاس فيسقط لحمه بين يديه فادفنه تحت اساس بيتى
واما الهك الذى فى السماء ملكه فان لى من الجواهر ما لا يطيق حمله دوانى
فاتصدق به عنك فيغفر لك الهك الذى تخوفنى فغلبته بالكلام فلم يرد جوابا
فقال معاذ الله ان من ارتكب حراما سود الله تعالى فى القيمة وجهه وهتك
على رؤس الاشهاد ستره واحرق بالنار جسمه وقيل قال يوسف ان ربى
لا يقبل الرشاء وقال انما يتقبل الله من المتقين وان ما دعوتنى اليه سبب
لحسرانى فلا تظلمينى ولا تسودى فى القيمة وجهى ولا تخجلينى يومئذ عند ابى
وافى ولا تسخطى على ربى ولا تسلطى نار جهنم على جسمى فعند ذلك غلقت
الابواب وارخت الحجاب وقال الفشيرى لما غلقت عليه ابواب الحجرة
فتح الله عليه ابواب العصمة فلم يضره ما اغلقت بعد ما اكرمه بما فتح وقيل
ان يوسف قال ان العزيز امل منى ان انفعه حيث قال عسى ان ينفعنا فلذا اخرج
فى حرمه يظهر الغيب منه ومن الحصص وجوب معرفة الاحسان لان يوسف
امتنع منها لاجل شيئين لاجل المعصية اى الظلم ولاجل احسان الزوج اليه
فالله تعالى احق ان يعرف احسانه اذ المرأ ولد عريانا فاحسن الله تعالى بنعم لا تكاد
احصاؤها ومنها ان المؤمن ينبغى ان يغض عينه عن الحرام لان النظر اليه
سهم مسموم من سهام ابليس ومنها انه لا بد للمؤمن من حجرة خالية حتى
ينجو عن اللغات ويعامل مع الله تعالى فى خلوته يروى عن عبد الواحد بن زيد
قال خرجت من طرسوس الى جبل لكام فدخلت شعبا من شعابها اذ سمعت
سمعا اخرتنى فاتبعت الصوت فرأيت شيخا مقطوع اليدين والرجلين
اعمى واصم وهو يقول الهى وسيدى ومولاى متعتنى بجوارحى حيث شئت

استلك البر والوصول فقلت فى نفسى اى بر من الله تعالى واى توصل
وهو على هذه الصفة فدنوت وسلمت عليه ولم يسمع فتقربت من اذنه
فسلمت فرد على السلام فقلت يا عبد الله اى بر من الله عليك ووصل
وانت بذى هذه الحال قال اليك يا بطال اليس بركك على قلبا اعرفه ولسانا
اوحده واذكره فى الخلوة فهو نعيم الدارين جميعا ففارقته وبكيت كثيرا
ومنها ان المؤمن اذا نظر الى كل جانب ينبغى له ان ينظر مع المراقبة ويأخذ
منه آية على وحدانية الله تعالى كما قيل شعر ولله فى كل تحريكة وتسكينة ابدا
شاهد * وفى كل شئ له آية تدل على انه واحد * فينبغى للمؤمن ان يكون على المراقبة
روى ان واحدا من الملوك كان له غلام يقبل عليه اكثر من اقباله على غيره
من غلمانه ولم يكن اكثرهم قيمة ولا احسنهم صورة فقالوا له فى ذلك فاراد الامير
ان يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فبينما من الايام كان راكبا ومعه
الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك الثلج اوطرق فركض
الغلام فرسه ولم يعلم القوم لما ذا ركض فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ومعه
شئ من الثلج فقال الامير ما ادريك انى اردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت
اليه ونظر الملوك الى شئ لا يكون عبثا فقال الامير انما اخصه باكرامى واقبالى
لان لكل احد شغلا وشغله مراعاة لحظاتى ومراقبة احوالى فالحصة منه
ان من راقب مخلوقا اذا اكرم فكيف لا يكون مكرما من راقب رضاء الله تعالى
سئل امير المؤمنين على بن ابى طالب رض هل رايت ربك حتى عبدته فقال
ما كنت لاعبد ربا لا اراه قالوا كيف رايته قال لا تراه العيون بمشاهدة
العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان ومنها ان يوسف عرف اكرام السيد
فامتنع عن المعصية فينبغى للمؤمن ان يعرف اكرام الرب ويمتنع عن عصيانه قيل
للمجنون اجننت قال جننت عن غفلة الله لا عن معرفة الله قيل كيف حالك
مع المولى قال ما جفوته منذ عرفته فقيل متى عرفته قال منذ سموني مجنونا

فالحصة

فالحصة انه عرف اكرام الله تعالى اياه فكان من الواصلين ومنها ان يوسف
لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه اكرمه الله تعالى بامداده بالعصمة
فى الحال ومكنه من مواصلتها فى المال على وجه الحلال واذا اريد التفسير
الا نفسى يراد ان مراودة زليخا عن نفسه وتغليقها الابواب عليه اشارة
الى ظهور النفس اللوامة بصفتها فان التلوين فى مقام القلب يكون بظهور
النفس كما ان التلوين فى مقام الروح يكون بوجود القلب وجذبها القلب
الى نفسها بالتسويل والاستيلاء عليه وتزيين صفاتها ولذاتها وسدها
طريق مخرجه الى الروح بحجبها مسالك الفكر ومنافذ الروح بصفاتها الخاصة
والتخلص منها انما يتيسر بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى سئل عن الشيخ الكبير
ابى عبد الله بن خفيف عن النفس ما هى فقال انها لا تعرف بذاتها ولكن بظهور
افعالها يستدل عليها وان من صفاتها الخلاف للحق وانها مائلة الى الشهوات
وشغل عليها العبادات وقال الواسطى النفس ظلمة وسرها ومعرفة الله
سراجها ومن لم يكن له سر فهو فى الظلمة ابدا وكما ان للروح اخلاقا محمودة
فالنفس لها اخلاق مذمومة والقلب اذا تعوذ بالله تعالى وذكر توفيقه
الى الايمان يسلم من مكائد النفس ولقد همت به وهم بها ولقد عزمت
زليخا وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم
عليه قبل ان يفعل من خير او شر ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه
ولم يرجع عنه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة على ما يقتضيه
الطباع البشرية لا القصد الاختيارى وذلك اى ميل الطبع مما لا يدخل
تحته التكليف اذ لا ضير للعبد فيما يخطر بالقلب بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفته
الهم اذ من شارف الاتصاف بوصفه يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته
لو لم اخف الله جعل نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف لما شارف

قلبه ان يقصد مخالطتها قال الله تعالى فى حقه وهم بها او قوله وهم بها معلق
بالشرط اما باعتبار التقديم والتاخير او بالشرط المحذوف والمذكور تفسير
او المعنى همت بالسفاح وهم بالنكاح ان لم يكن لها زوج او همت بالفرار وهم
بالقرار او همت به هم الارادة وهم بها هم دفع لكن هذه الوجوه الثلثة الاخيرة
يدفعها قوله لولا ان رأى برهان ربه وقد روى فى الخبر انه ليس من نبى الا وقد
اخطأ او هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا ولكنهم كانوا معصومين من الفواحش فان
قيل لم يحفظ من التحرك كما حفظ من الفعل قلنا لتعلم زليخا انه غير عنين لان
زوجها كان عنينا فلو تركها لقالت هو مثل زوجى انما تركنى عجزا لا دياثة
وقال بعضهم تم الكلام عند قوله ولقد همت به ثم قال وهم بها لولا ان رأى
الآية يعنى لما رأى البرهان لم يهم بها لولا اى رأى برهان ربه فى قبح الزنا
وجواب لولا المحذوف اى لخالطها وجامعها لشدة شهوة الشباب
وكثرة المبالغة من زليخا وقال الامام ابو منصور رح اما ما قاله اهل
التفسير انها دعته الى نفسها واستلقت له وهم بها انه حل سراويله وجلس
بين رجليها وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال والدليل على
فساد ذلك وجوه احدها قوله هى راودتنى عن نفسى والثانى قوله لنصرف عنه
السوء والفحشاء والثالث قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب والرابع قوله
ما علمنا عليه من سوء والخامس قولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه
فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شئ من ذلك وليس فى ظاهر الاية شئ مما قالوا
وقال الحسن لم يعصمك الله تعالى عليكم ما حكى عن اخبار الانبياء تعييرا لهم لكن
لئلا تقنطوا من رحمة الله لان الحجة للانبياء لزم فاذا قبلت توبتهم كان قبولها
من غيرهم اسرع وعدم ذكر توبة يوسف دليل على عدم معصية لانه تعالى ما ذكر
معصيته عن الانبياء وآن صغرت الا وذكر توبتهم منها كآدم ونوح وداود
وسليمان عليهم السلام وقال محى السنة فى المعالم وقيل ان الله تعالى ابتلاهم

بالذنوب

بالذنوب لينفرد بالطهارة والعزة وليلقاه جميع الخلق يوم القيمة على انكسار
المعصية وقيل ليجعلهم ائمة لاهل الذنوب فى رجاء الرحمة وترك الاياس من العفو
والمغفرة وقال بعض اهل الحقايق الهم هممان هم ثابت وهو اذا كان عزم وعقد
ورضاء مثل هم امرأة العزيز والعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث
النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير ماخوذ به مالم يتكلم
او يعمل عن ابى هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا تحدث
عبدى بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها
له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها مالم يعملها فاذا عملها
فانا اكتبها له بمثلها انتهى واختلف فى بيان البرهان قيل راى جبريل وقيل
مثل له يعقوب فى الحائط عاضا على شفتيه اوانامله وقيل تمثل له قطفير وقيل
ناداه جبريل يا يوسف يابن يعقوب اسمك فى الانبياء مكتوب فلا يكونن عملك
عمل الفجار وقيل نودى من السماء مهلا يا يوسف انك لو وقعت فى الخطيئة محى
اسمك عن ديوان النبوة وقيل نودى يا يوسف توافقها انما مثلك مالم توافقها
مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات وقع فى الارض
ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه لعب الصبيان وقيل تكلم الصبى فى المهد وهو
ابن اخ للعزيز او ابن عم زليخا فقال ايها الصديق تزنى وقيل مثلت له زليخا
فى صورة الخنزير قال محمد بن كعب القرظى رأى على سقف البيت مكتوبا ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وقال جعفر الصادق البرهان النبوة
التى اودعها الله صدره هى التى حالت بينه وبين ما سخط الله وقال مقاتل بن
حيان سمع صوتا اياك ومواقعتها فانك ان واقعتها صرت كالطير الواحد فى
الارض القفار بلا ريش وقيل نظر الى حائط فرأى قلما يكتب على الحائط بسم الله الرحمن
الرحيم ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فحول وجهه الى الحائط
الاخر فراى القلم يكتب بعد التسمية كل نفس بما كسبت رهينة فحول وجهه

الى الثالث فراى ذلك القلم يكتب بعد التسمية وان عليكم لحافظين فحول
وجهه الى الرابع فراى يكتب بعد التسمية يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
فنكس رأسه فراه يكتب على الارض انى معكما اسمع وارى فنظر الى السقف فراى
صورة ابيه ينظر اليه عاضا على سبحته مشيرا اليه بالهرب فبادر الى الباب
روى ان ابليس كان على سقف البيت ويصيح باعلى صوته حتى اجتمع عنده
اعوانه فقالوا مالك قال اوقعت الصديق بن الخليل فى معصية اذ جمعته مع زليخا
ومعها اسباب الشهوة كاملة فقالوا كم من امل يقرب من الوقوع ولا يقع وقد نفى
اللعين قول الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وروى ان زليخا سترت
صنما كان عندها فقال يوسف لم سترته قالت استحيى ان يرانى على معصية
فقال تستحيى ممن لا يسمع ولا يبصر فانا احق ان استحيى من ربى البصير السميع
الخبير كذلك الكاف فيه مفعول فعل محذوف اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه
او خبر مبتداء محذوف اى الامر مثل ذلك لنصرف متعلق بالفعل المحذوف
او بمحذوف آخر عنه اى عن يوسف السوء السوئى فى القرآن لمعان المراد
هنا الفعل القبيح وهو خيانة السيد اود واعى الزنا من المس والصبلة
والمعانقة ونحو ذلك والفحشاء الزنا انه يوسف من عبادنا
المخلصين بفتح اللام اى الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى قوله الالف
واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى قيل العبودية فى اصلاح الصوفية
الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضاء بالموجود والصبر على المفقود وقيل
هى معانقة المأمورات ومفارقة المنهيات ومن الحصن ان يوسف لما استعاذ
بالله بقوله معاذ الله عصمه الله تعالى فمن استعاذ به فهو يعصمه ومنها ان
الانسان مجبول على الميل الى الشهوات والمعصوم من عصمه الله تعالى ومنها ان من كان
فى موضع خال على عزم ذنب ووقع مانع يمنعه فهو كالبرهان من الله تعالى

ومنها

ومنها ان يوسف كان فى حيرة فاشير اليه بان يهرب الى الباب فالله تعالى
دليل المتحيرين كما قيل فى هذا المعنى شعر قد تحيرت فيك فخذ بيدى
يا دليلا لمن تحير فيك ومنها ان يوسف لما صبر ساعة يسيرة ظفر بالسعادة
الابدية ومنها ان المؤمن العاقل ينبغى ان يرى الله تعالى حاضرا ويجتنب عن
المعصية ويخاف مقام ربه يوم القيمة واذا اريد التفسير الانفسى يراد بهم
يوسف الى زليخا ميل القلب الى النفس لعدم التمكين فى الاستقامة وبرؤية
برهان ربه ادراك التلوين بنور البصيرة ونظر العقل والهداية فان كل
ذلك يمنع القلب عن مخالطة النفس واستبقا الباب يعنى ان يوسف
لما راى ما راى من برهان ربه هرب الى الباب وزليخا اسرعت ايضا اى تسابقا
الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتداء اى تبادرا اليه وذلك
ان يوسف قر منها ليخرج ويتخلص واسرعت زليخا وراءه لتمنعه عن الخروج
ولما هرب تطاير فراش النفل فتبعته فادركته قبل ان يخرج فتعلقت به
وتوحيد الباب على تقدير كونه سبعة لكونه جنسا او لارادة الباب الخارج
وقدت قميصه من دبر اما عطف على قوله استبقا او حال اى اجتذبته
من وراءه فانقد قميصه من دبر لانها كانت خلفه والقد الشق طولا والقط
الشق عرضا ومن الحصن ان المؤمن ينبغى ان يفر من الذنب كما يفر
من الاسد ومنها انه ينبغى ان يفر من الذى يدل عليه ويفهم منه ان يفر
بالجليس الصالح قطعه من عاشر الشرفاء شرف قدره ومعاشر السفهاء
غير مشرف انظر الى الجلد الحقير مقبلا بالثغر لما صار جلد المصحف
يشرف ومنها انهما فى الاستباق سواء لكن فى النية مخالف فعدوها
معصية وعدوه طاعة فالفعل واحد والمعنى مختلف من طرف النية
ومنها انه ينبغى للعاقل ان يرضى بالضرر المالى كقد القميص عند الفرار
عن الذنب لان الضرر الدينى اشد منه واذا اريد التفسير الانفسى

يراد بالاستباق الى الباب مبادرة القلب الى التوبة ومنع النفس اياه عنها
وقد قميصه من دبر اشارة الى خرقها لباس الصفة والنورية التى له من قبل
الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة بتأثيرها فى القلب بصفاتها
فانها صفة يكسبها القلب بالجهة التى تلى النفس المسماة بالصدر
وهو الدبر للمحالة وروى ان الابواب المغلقة والمقفلة كانت تتساقط
اقفالها ومغاليقها حتى يقرب من الخروج وادركته زليخا عند الباب
فاخذت بذيله وهو يجاذبها ليخرج وهى تجره من خلفه يرجع فانشق
قميصه من دبر والفيا صادفا ووجدا سيدها سيد زليخا وهو
زوجها قطفير عزيز مصر لدى الباب عند الباب جالسا او مقبلا
ليدخل والسيد الزوج بلفظ القبط وفى الحديث تفقهوا قبل ان تسودوا
اى قبل ان تتزوجوا فتشتغلوا قالت فلما راها سيدها مغتاظة
قالت منزهة نفسها وايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره اى اتباعه فى الغيرة على يوسف واغراءه به انتقاما لعدم
ما جزاء كلمة ما نافية اى ما عقاب من اما موصولة او نكرة موصوفة
ولم يصرح باسمه لقصد العموم وذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف
يوسف اراد باهلك سوء توهم انه قصد بها زنا ولم تتعمد صريح
الكذب اذ اتكلمت بالتعريض ثم خافت عليه اذ علمت فى زوجها
الغيرة فقالت الا ان يسجن حتما والا بمعنى غير اى ما عقاب به
غير ان يحبس فى السجن ثم علمت انه لا يرضى بهذا القدر من العقاب
اذا وقع عنده انها صادقة فضمت الى ذلك امرا اخر قد يصغر
وقد يكبر احتيالا للتسكين فقالت او عذاب اليم اى ان يضرب
ضربا وجيعا وذلك ان الزوج قال لها ما شانك قالت كنت
نائمة فى الفراش عريانا فجاء هذا الغلام العبرانى وكشف عن ثيابى وراودنى

عن نفسى

عن نفسي فدفعته عن نفسي فانشق قميصه وقيل قالت ارسلت
بينك لصا عاديا وقصد على اهلك مع غلق على الباب وانا نائمة
فلم اشعر الا وهو يريد ان يدخل فراشى فقمت اليه من نومى لاخذه فبادر نى
الى الباب فاراد ان يأبق منك من اجل ما فعل فلا تراه ابدا قال العزيز اختفنى
يا يوسف فى اهلى وغدرتنى وغررتنى بما كنت اى من صلاحك وما كنت تظهر
من امانتك وعفافك فلما سمع يوسف انها عرضته للهلاك وظن العزيز
فيه ظن السوء وعلم يوسف ان السكوت يفضى الى وقوع الوهم انه وجد
منه قصد الزنا وما ينبغى للمسلم ان يرضى لحوق هذه السمة اياه فكيف
الصديق بن الصديق والنبى بن النبى قال دفعا عن نفسه الهلاك
والضرر وتنزيها لنفسه عن السوء واظهارا لبراءة نفسه وتاسيسا
لقواعد دعوته اياهم الى التوحيد والشرايع هى راودتنى عن نفسى
اى طالبتنى بالموافقة ولم يقل يوسف ذلك فى اول الامر كراهة
لهتك سترها ولو لم تكذب عليه بالتعريض او التصريح لما قاله وفى
كتاب عصمة الانبياء انها لو كتمت ذلك لكان لا يفشى سترها فلما احالت
بالذنب عليه لم يجب ان يعرفه جانيا فيسوء ظنه به حتى اذا عرفت براءته
على ان امرأة لم تباشر الفعل فينفر طبعه عنها بل كانت منها المراودة لا
المباشرة ووجه آخر انها لو كتمت لكان يوسف يظهر تأديبها وطلبا
من زوجها التعيير عليها لتدوم صيانتها فى بيته ومن الحصص ان النشأ
كوامل فى المكر حيث اجابت زليخا على وجه يحصل البراءة لها ولا يلزم
منه قتل يوسف ومنها ان زليخا اشارت الى عقوبة يوسف فى صورة
الانتقام على وجه قد يطيعها فى المراودة فدفع الامر الماضى وتدارك
الامر المستقبل ومنها ان زليخا كانت مخبئة له فدلت على ان يسجن كما ان
يهوذا كان مخبأ له فدل على الالقاء فى الجب فصار عاقبة الجب كون

يوسف مكرما فى دار العزيز وصار عاقبة السجن كونه عزيز مصر
فكذلك الله تعالى يعذب عبده فى الدنيا بالآلام ليتوب ويصل الى الفوز
العظيم والنعيم المقيم ومنها انه ينبغى للمسلم ان يدفع التهمة والمضرة عن
نفسه وان كان يتضمن هتك ستر الغير ومنها انه ينبغى للمسلم ان يبين
سوء الغير اذا اراد اصلاحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا
الفاجر بما فيه والا فتعيير الغير بالمواجهة وغيبته فى القفاء غير جائز
روى ان عوفا قال دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج يعنى اغتبته
فقال ابن سيرين ان الله تعالى حكم عدل فكما تأخذ من الحجاج يأخذ الحجاج
منك فانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك
من اعظم ذنب اصابه الحجاج اراد بقوله كما تأخذ من الحجاج يأخذ الحجاج
منك انك كما اغتبته اليوم يأخذ الحجاج من حسناتك يوم القيمة واذا اريد
التفسير الانفسى يراد بقوله الفيا سيدها لدى الباب ظهور نور الروح
عند اقبال القلب الى باب التوبة بواسطة تذكر البرهان العقلى وورود
الوارد والقدسى عليه واستنباعه للنفس وهى تنازعه بالجذب الى
جهتها وبقوله ما جزاء من اراد باهلك سوء تلويح الى تسويل النفس اغراضها
فى صورة المصالح وتزيينها بحيث يشتبه مفاسدها بالمصالح العقلية
التى يجب على القلب مراعاتها والقيام بها وموفقتها فيها ومخالفته اياها
فيها ارادة السوء بها ومقابحها بالمحاسن التى تتعلق بالمعاش كمكرة النسا
بالرجال وميل القلب الى الجهة العلوية تكذيب قولها ودعواها وردى
ان يوسف لما قال هى راودتنى عن نفسى وجذبتنى حين وليت هاربا لم يصدقه
العزيز وشهد شاهد من اهلها من اقارب زليخا قيل ابن عمها
يقال له يمليخا وكان رجلا حكيما فقال قد سمعنا الاشتداء والجيلة
من وراء الباب فلا ندرى ايكما قدام صاحبه وقيل ابن خال لها صبيا

فى المهد

فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى م وقيل هو اخوها وكان زوجها
وابن عمه وكان عدلا اميناوانما الفى الله تعالى الشهادة على لسان من هو من اهلها
لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف م وانفى للتهمة عنه كذا فى الكبير
روى ان يوسف م اراد ان يتخذ وزيرا بعد ما صار عزيز امجاء جبرئيل وقال
ان الله يأمرك ان تتخذ فلانا وزيرا فنظر يوسف فكان حقيرا فسأل جبرئيل
عن السبب فقال ان له عليك حقا لانه هو الذى شهد بقوله ان كان قميصه
الاية والحصة منه انه ينبغى للعاقل مراعاة الحقوق السابقة والاحسان
الى صاحبها وان من شهد لمخلوق وجد وزارته فى الدنيا فمن شهد لله تعالى
بالتوحيد ألا يجد مغفرته فى العقبى وقيل كان رجلا من خواص الملك وقيل
كان رجلا له راى فقال برأيه ومن الحصص ان الشاهد لم يهتك الستر ولم يفتح
بمراودتها لانه تعالى ستار العيوب يحب الستر فتخلق بخلق الله والستر افضل
لقوله عليه السلام من ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والاخرة وقوله
عليه السلام للذى شهد عنده لو سترته بثوبك لكان خيرا لك ومنها انه لابد
للشاهد فى الامر الذى فيه هتك الستر ان يشهد على وجه يثبت به الحق ولا يلزم
الضرر الفاحش ولذا قيل يجب ان يشهد بالمال فى السرقة ويقول اخذ احيا الحق
المسروق منه ولا يقول سرق محافظة على الستر وصيانة من القطع ومنها ان
المرأة اذا فرت من مكر نفسه يفتح الله له ابواب المعقلة من الدنيا والشهوات
والهوى والوساوس النفسانية والشيطانية الانسية والجنية وغيرها
ويشهد الشاهد له وهو اعراضه عن الذنب فكانه قد تميصه من دبر
واذا اريد التفسير الانفسى يراد بالشاهد من اهلها الفكر الذى يعلم ان الفشا
الواقع من جهة الاعمال والاخلاق لا يكون الا من قبل النفس واستيلائها
اذ لو كان من جهة القلب وميله الى النفس لوقع فى الاعتقاد والعزيمة

لا في مجرد العمل او الطبيعة الجسمانية التي تدل على ان الميل الى السفل في النفس
الجاذبة للقلب من جهة الصدر المباشرة للفواحش اعلم ان الشاهد اما الصبي
الذي كان تكلم في البيت ليوسف او الرجل الحكيم وذو الرأي قال ان كان قميصه
قميص يوسف قد من قبل فصدقت زليخا وهو يوسف من الكاذبين
وذلك لان الرجل لا يأتيها الا مقبلا فيدل على انه كان مقبلا عليها وهو يريدها
وهي دفعت فقدت قميصه من قدام بالدفع عن نفسها او اسرع ليدركها فتعثر
بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت زليخا في قولها
وهو من الصادقين على العكس لانه يدل على انه كان هاربا منها وهي تبعته
وتعلقت بقميصه لتلحقه فاجتذبت قميصه فقدته فلما رأى اي زوجها
او الشاهد قميصه قد من دبر قال الزوج او الشاهد انه اي قولك ما جزاء
من اراد باهلك سوأ وهذا الامر او قد القميص من كيدكن ضيعكن ومكركن
والخطاب لزليخا وامثالها او لعاشر النساء ان كيدكن على الرجال اذا عملوا
بخلاف مراد كن عظيم يصل الى البرى والسقيم والطالح والصالح وقيل
نافذ غالبا للتمويه وكفت قصة آدم وحواء في هذا الباب فان ابليس لم يقدر على
اضلال آدم الا بواسطة حواء وفي الاية دلالة على القضاء بشهادة الحال جائز
عند عدم الوصول الى الدليل الحقيقة وعليه كثير من مسائل اصحابنا في مسائل
التحري وقبول قول الناس وقول من يشهد له الظاهر اذا اختلفا في متاع البيت ونحو
ذلك فان قيل ان الله تعالى سمى في سورة النساء كيد الشيطان ضعيفا وسمى
كيد النساء عظيما فما وجهه اجيب لان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة وذاك
وحده مع كيد الشيطان وذاك يقربا لاستعاذة وهذا لا تقر وذاك مع الله
وهذا معك وفي الخبر ان النساء حبائل الشيطان وانهن يتكلمن الكذب
كالصدق وروي انه كان لرجل جندي شجيع امرأة فاجرة اتخذت خليلا ومحبوبا

فظنت

فظنت المرأة ذات ليلة ان زوجها ببيت في موضع آخر ولا يأتي الى البيت فارسلت
الى خليلها واحضرته واكلا وشربا وباتا والشمع موقد وجاء الزوج بعد مضي
قطعة من الليل على غفلة وفتح الباب بحيله ودخل البيت وقعد على الكرسي
وقال للمرأة من عندك في الفراش فقالت خليلي كما انها تلاطفت زوجها وقال
الزوج لو كان من عندك في الفراش خليلك لقتلتك فقالت اني اقدر على التخليص
منك قال كيف قالت هكذا ورفعت اللحاف والقته على الشمع فانطفى وغمزت
الخليل مشيرة الى الهرب فهرب وخرج من البيت ثم قالت المرأة واوقدت الشمع
فقالت لزوجها انك مجنون لو كان من عندي في الفراش حدثني كيف اخبرتك
باني خدعتك انه كان بنت الجار وظننت انك لا تجيء الليلة الى البيت فدعوتها
لتكون رفيقتي فاطفئت الشمع حتى تذهب في الظلمة مستترة ومن الحصر
ان الله تعالى اذا جعل قميص يوسف علامة باعتبار احد جانبيه كذلك جعل
الكتاب باعتبار احد الجانبين علامة للسعادة والشقاوة كما قال فاما من
اوتي كتابه الى قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وكذا
جعل الوجه يوم القيمة علامة على الوجهين كما قال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ومنها ان زليخا استحيت عند اهل بيتها فينبغي للمؤمن ان يتذكر فضيحة يوم
القيمة وروي ان واحدا من الصلحاء كان يعتزل عن الناس قيل له في ذلك قال
حتى يقل معارفي من الناس ولما استحيى منهم يوم القيمة وروي ان واحدا
من الصلحاء يقول في مناجاته يا رب لا سالك بي الى اهل النار اهون علي من
ان اعاتب بين الخلايق ومنها ان جانب قميص ايمان المؤمن الذي هو اعتقاده
صحيح وجانبه الاخر الذي هو عمله مشقوق فالاول يدل على صدقه كما دل على
صدق يوسف ومنها ان اخوة يوسف لما جاؤا على قميصه بدم كذب صار صحة
قميصه شاهدا لحجته وهنا كونه مشقوقا صار شاهدا لصدقه فالله تعالى يقدر
على ان يجعل اي شيء يريد شاهدا على اعمال الانسان يوم القيمة كما قال اليوم نختم

على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ومنها ان كيد
زليخا كان عظيما ولكن الله تعالى عصم يوسف اذ عصمه الله اعظم من كيدها فلم يضره
وكذا ازلزلة الساعة شيء عظيم وفي النار عذاب عظيم ولكن من حفظه الله
لا خوف عليه ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هزم العسكر بكف
من التراب ولم يحتج الى ظهير من المخلوق وفي الغلبة على النساء احتاج الى الظهير
كما قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
والملائكة بعد ذلك ظهير ومنها انه ينبغي العاقل ان يطلب العون من الله تعالى
ويخاف من كيده والويل لمن مهله الله تعالى وهو غافل عن كيده كما قال واملي لهم
ان كيدي متين ومنها ان زليخا مكرت وكذبت والعزيز لم يعاقبها بذنبها
لانه كان رجلا عاقلا حليما وفي الخبر انهن يغلبن العاقل ويغلبن الجاهل
روي ان رجلا جاء الى عمر رضي يشكو زوجته فلما بلغ بابه سمع امرأته ام كلثوم
تطاولت عليه فقال الرجل اني اردت ان اشكو اليك من زوجتي والمن البلوى
مثل ما بي فرجع فدعاه عمر فسأله فقال اني اردت ان اشكو اليك من زوجتي فلما
سمعت من زوجتك ما سمعت رجعت فقال عمر اني اتجاوز لحقوق لها على
اولها انها ستر بيني وبين النار والثاني انها خازنة لي والثالث انها قصارة
لي والرابع انها ظئر لولدي والخامس انها جنازة وطباخة لي فقال الرجل ان
لي مثل مالك فاتجاوز عنها واذا اريد التفسير النفسي يراد برؤية الزوج ان
القميص قد من دبر وقوله انه من كيدكن اطلاع الزوج بنور الهداية على ان الحيل
وقعت في العمل لا في العقد والعزيمة وذلك لا يكون الا من قبل الداعية النفسانية
والجاذبة الشهوانية من النفس اعلم انه لما عاتب العزيز زليخا اقبل الى يوسف
فقال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض
عن هذا اعن هذا القول اي مجي واودتني عن نفسي يعني اكتمه ولا تذكره لاحد
وهو ستر لها ما وهو المستحب المندوب اليه ان لا يفشي ستر اهل بيته خصوصا

حرمه ومما يليكه او المعنى يا يوسف عن هذا التصريح فان زليخا ذكرت
بطريق التعريض واني لا احب افشاء السر واشاعة الفاحشة خصوصا
في اهل بيتي وبعبارة اخرى اي لا تبال به وطب نفسا فقد ظهرت لي براءتك
ثم اقبل الى زليخا فقال واستغفري يا زليخا لذنبك يعني توبي عن ذنبك
وضيعتك وهي وان كانت مشتركة فهم يقرون بان الله خالقهم وانهم يعبدون
الاصنام لتقربهم الى الله زلفى فيعتقدون استغفار الله من الذنوب وقيل
المراد من الاستغفار الاعتذار اي اعتذري الى يوسف لافترائك وقيلي
القائل لها الشاهد فالمعنى اعتذري من زوجك وسيلة ان يستر
انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين المتعمدين الذنب او
الخاسئين في حق الزوج ووجه جمع التذكير موضع الخاطئات التغليب
وقال الامام القشيري قدس سره ليس لاحد اهلة للبلاء ان البلاء للاربياء
الولاء والوفاء فاما الاجانب فيتجاوز عنهم ويخلي سبيلهم للكرامة لكن
ولكن لحقارة قدرهم هذا يوسف عليه السلام كان بريء الساحة
وظهر للكل طهارة جانبه فابتلي مع هذا بالسجن واما امرأة العزيز
فقد ظهر للعزيز سوء فعلها حيث قال انه من كيدكن واقتصر في حقها ان
تستغفر من ذنبها ولم ينزل بها شيء من البلاء يفعل الله ما يشاء انتهى
وفي البلاء ثواب عظيم يهدى به الى الاولياء روي عن جعفر بن سليمان
قال حدثني الفضيل بن عياض عن ابنة له توجعت كفها فعادها الفضيل
فقال لها يا ابنتي كيف كفك هذه قالت يا ابت ان الله تعالى قد بسط
لي من ثوابها ما لا يبتلي لي شكره ابدا قال تعجبت من حسن يقينها ومن
الحصص ان العزيز تكلم يوسف كانه يعتذر اليه لزليخا لان لها حق
الصحبة معه فالله تعالى يرضى خصم عبده يوم القيمة عن ابي هريرة رض
قال اتينا انس بن مالك بالطائف فقال لما جاء بكم قلنا بلغنا مرضك

فاتينا ان نعودك فقال بخ بخ ربحتم اما احدثكم بحديث سمعته
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهانى ان احدث به كل احد سمعته
يقول اذا كان يوم القيمة خرج منا دبحت العرش فنادى يا اهل التوحيد
ان الله تعالى قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعلى الله ثوابكم ومنها
ان الله تعالى يحب ستر العيوب وعفو الذنوب روى ان رسول الله صلعم
رأى ليلة المعراج فى الجنة قصرا اغلق ابوابه والملائكة عنده محزونون
فلما رجع رآه قد فتح ابوابه والملائكة مسرورون فقال ما شانكم قالوا يا رسول الله
هذا القصر لاحد من امتك اذنب ذنبا فامر الله تعالى ان تغلق ابوابه وهو
عمل الحين عملا خيرا فامرنا الله تعالى ان نفتح ابوابه ففتحنا قال عليه السلام
اخبرونى ما ذنبه ما طاعته قالوا يا رسول الله ان الله تعالى لا يخبرنا ذنبه
امتك ولكن يخبرنا ثوابهم فانه كان فى الفراش نائما فاستيقظ وقد توضع
احد جانبيه فانقلب الى جانبه الآخر وقال عند الانقلاب لا اله الا الله
فانظر الى فضل الله تعالى كيف يخفى ذنوب عباده ويعفو عنهم ومنها ان البلاء
والصبر عليه سبب التقرب فيوسف نال ما نال بالبلاء والصبر وان
الله تعالى امر نبينا عليه السلام بالصبر حيث قال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل فلا بد للسالك من تحمل البلاء والصبر عليه ومنها انى الله تعالى
اذا حكى شيئا لا بطريق الرد يدل على المشروعية والرضاء فالله تعالى لا يريد
ان يغشى اولياءه عيب اعدائه فانظر كيف يكون فضله على اولياءه روى
ان يحيى بن معاذ سمع قارئا يقرأ فقولوا له قولا لينا فبكى فقال الهى هذا
لطفك لمن قال انا ربكم الاعلى وكيف لطفك بمن يقول لا اله الا الله ومنها
ينبغى للمريد ان يأمر العاصى بالتوبة فانها اول منزل من المنازل السالكين
واول مقام من مقامات الطالبين ومنها انه ينبغى للمريد ان يستغفر الله
من خطيئته فانه كلما تاب العبد تاب الله عليه روى ان بعض المريدين

تاب ثم وقعت له فترة فتفكر وقتا لو عاد الى التوبة كيف حكمه فهتف به
هاتف يا فلان اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك فان عدت
الينا قبلناك واذا اريد التفسير الانفسى يراد بامر العزيز يوسف بالاعراض
وزليخا بالاستغفار اشراق نور الروح على القلب وانجذابه للنازل النورى
والخاطر الروحى الذى يصرف عن جهة النفس ويأمره بالاعراض عن عملها
ويذكر لملا يحدث الميل مرة اخرى وتأثير ذلك الوارد والخاطر فى النفس
بالتنوير والتصفية فان تنورها بنور الروح المنعكس اليها من القلب اعلم
ان العشق كالمسك بظهر نفسه ولذا فشا الخبر فى المصر وحدثت النسا
فيما بينهن كما بينهن كما قال الله تعالى وقال نسوة هى اسم لجميع امرأة وضم
النون لغة فيه فى المدينة ظرف لقال اى جعلن الحكاية شايعة فى
مصر وكانت زليخا اخبرتهن بسترها فاشعن بيت جوسرى كدنشت
ازميان دوتن برآكنده شد بر سر انجمن وفى هذا المعنى ما قيل كل جاوز
الاثنين شاع او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى
والخباز والسجان وصاحب الدواب وقيل اربعين او جماعة كثيرة من
النساء اجتمعن فى موضع وقلن فيما بينهن امرأة العزيز المضاف مبتدأ
تراود فتيها عن نفسه الجملة خبره اى تطلب مواقعة غلامها
اياها وتدعوه الى نفسها لتنال شهوتها منه والمراد بامرأة العزيز زوجة
خازن الملك وكان يسمى عزيزا لتلقيب الملك اياه او على انه عزيز عند الملك
مكرم لديه والمراد بالفتى عبد زوجها والعبد سمى فتى والامة فتاة قال
النبى صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدى وامتى ولكن ليقل فتاى
وفتاتى واضفن من اعتقدن عبد زوجها اليها لطاعته لها وتصرفه
فيما يصلح لها من اسباب المنزل وعلى هذا عرف الناس فى اضافة مماليك
احد الزوجين الى الآخر وقد يضاف الى جميع اهل البيت فيقال اهل البيت

فيقال عبدهم قال عمر رض في عبد سرق مرآة زوجة مولاه ولم يقطعه عبدك
سرق متاعكم قد شغفها بالغين المعجمة خبر ثان او استيناف او حال
اى اصاب شغافها كما يقال كبده ورأسه وبطنه وظهره اى اصاب هذه
الاعضاء او شق شغاف قلبها وغلافه وهو حجابه وجلده عليه اى دخلها
الحب حتى وصل الى فؤادها والمعنى دخل الحب تحت الشغافة واصاب القلب
وقال الحسن وهو باطن القلب ويقال وسطه وقال الجوهري الشغافة
بالفتح غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب ولذا قال الامام الرازي فحرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب ويقال له
لسان القلب حبا نصب على التمييز وهو تمييز منقول عن الفاعلية
اذ الاصل قد شغفها حبه صرف عنه الفعل واسند الى الضمير المبهم ثم فسر
ذلك الضمير بالتمييز لكون التفصيل بعد الاجمال اوقع في النفس والذ انا
لنراها في مراودة عبدها في ضلال مبين في خطاء بين من الرأى وعدل
وعن العقل اذ صارت في جلالتها وعلو حالها مع وجود زوجها عزيز
مصر تراود عبد زوجها بارتكاب الفاحشة او عشق بين لا تعقل غيره
لان لها قلبا واحدا شعر ولو كان لي قلبان عشقت بواحد وافردت قلبا
في هواك يعذب قيل اردن بهذا الكلام التوصل الى النظر الى يوسف اعلم
ان العشق في نفسه محمود لانه يشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي ذهن الغبي
وقيل اول من عشق هو الله تعالى عشق نفسه حيث لا سواه تجلى لنفسه بنفسه
على جماله وجلاله وجميع صفاته فعشق نفسه وقال في الحديث الذي
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف وقال
في كلامه يحبهم ويحبونه وكما ورد في الخبر من عشق وعف وكتم فمات مات
شهيدا وورد تعشقوا ولو بهرة قال قائل بيت عشق بازوى ذو الفقار
عليست عشق مقصود هر نبي ووليست قال يحيى بن معاذ لو جعلني الله على

خزائن

خزائن جهنم ما ادخلت العاشق فيها لانه في حرقة العشق حال حيوته فلا اجمع
بين العذابين واذا كان العشق متعلقا بالحرام فهو مذموم جدا روى ان
شابا امرد جاء الى الزاهد المشهور ببشر الحافي فقال اني اريد ان اصحبك
واصير صالحا قال انك تفسد الصالحين حتى تصير صالحا ومن الحصص
ان ارتكاب الفاحشة قبيح اذ النسوة مع غلبة شهوتهن اسندن العيب الى
زليخا في مراودة فتاها قال ابو سليمان الداراني المتقون هم الذين نزعوا من قلوبهم
حب الشهوات وزينوا باطنهم للحق كما زينوا ظاهرهم للخلق ولا يختارون
على الله سوى الله ومنها ان حب غير الله بحيث يشتغل به قلبه بكليته
عيب عظيم وسد شديد يمنع نزول الحكمة قال يحيى بن معاذ الحكمة تهوى
من السماء فتسكن في القلب ولا تسكن في قلب فيه اربع خصال قلب يميل
الى الدنيا وقلب فيه غل وقلب فيه حسد وقلب يميل الى الشرف والكبر
ومنها ان تلك النساء اسندن العيب الى زليخا ثم لما رأينه اكبرنه وصرن
مثلها فمن يعظ الناس ولا يعمل بموجب وعظه يستحق الشين واللوم
قال رجل لابن عباس رض اني اريد ان اعظ الناس قال اذا لم تفضحك الآيتان
من القرآن فافعل والا فابدأ بنفسك احديهما قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون والاخرى قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالنسوة في المدينة القوى في البدن فان يوسف
القلب اذا اتصل بالروح واستشرف من نوره وتنورت زليخا النفس بشعاع
نوره وتصفت عن كدورتها وكثافتها عشقته للاستنارة بنوره والتقرب
اليه وارادة الوصول الى مقامه لقضاء وطرها عنه باستخدامها اياه في تحصيل
اللذات الطبيعية كما كانت عند كونها امارة فيتأثر قواه حتى القوى الطبيعية
وذلك معنى قول نسوة المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها

فلما سمعت وسمع تستعمل على اربعة معان بمعنى قبل نحو سمع الله لمن حمده
وبمعنى اطاع نحو قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وبمعناه المعروف وبمعنى علم كما
فيما نحن فيه اى علمت امرأة العزيز ويحتمل ان يكون بمعناه المعروف بالتقدير من لفظ
الخبر وغيره بمكرهن باغتيابهن وانما سماه الله مكرا لانهن اخفوه كما يخفى الماكر
مكره ولان قولهن لم يكن على وجه النصيحة والنهى عن المنكر بل كان على وجه الشماتة
والتعيير او قلن لترينهن يوسف حتى ينظرن اليه لانهن عرفنا انهن اذا قلن ذلك
عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن اولانها اخبرت بمجيئهن اليها وطلبت
منهن كتمان سرها فاشتبنه فارادت ايقاعهن فيما كانت فيه وقيل فى هذا المعنى
شعر العين ترى وما الى الغمض سبيله والقلب يطبعه الى الحسن يميله من كان له
الكمال لا ينكر فيه ان ملت الى الجمال فانه جميله ولما غلبت عليها محبته لم تبال باذهاب
ماء الوجه وملامة الخلق فالحصة منه انه اذا كان حب مخلوق غلب على مخلوق
حتى صيرها لم تبال بذهاب ماء الوجه وملامة الخلق فاولى بالمحب الصادق
العارف ان لا يبالى بذهاب ماء وجهه وملامة الناس فى حب مولاه الجليل
الجميل جعلنا الله تعالى من المحبين الصادقين الواصلين الى جنابه الاقدس ارسلت
اليهن تدعوهن الى دارها للطعام كالمرأة تضيف حواجها وقيل دعت اربعين
امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت هيأت لهن متكئا ما يتكئ عليه
من الوسائد اكراما لهن ومكرا بهن لعلمها انهن اذا رأينه دهشن وافتتن به
روى ان الجارية قالت هن وقعن فيك ومن فتن عرضك وانت تكرمهن قالت
نعم لا اعذبهن بالضرب بل اعذبهن برؤية يوسف اعرضه عليهن ثم احجبه عنهن
حتى يعذبن من حسرته وذلك انها اتخذت ضيافة ودعت النسوة ووضعت
الوسائد لجلوسهن وقيل متكئا اى طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب تكبرا ولذلك نهى عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال انما
انا فلا آكل متكئا وفى رواية انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما يأكل العبد وقال عكرمة

المتكأ كل طعام يقطع بالسكين كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرأ مجاهد
متكا بسكون التاء بغير همز والمتك الاترج وقيل الزماورد وقال وهب اعتدت
لهن اترجا وبطيخا وموزا وآتت اعطت كل واحدة منهن اى النسوة بعد الجلوس
على المتكا سكينا حتى اذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن انفسهن فتقع ايديهن
على ايديهن لان المتكئ اذا ابهت بشئ وقعت يده على يده فيقطعنها فيبكتن بالحجة
او بجمال يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة فى ايديهن السكاكين
او حتى يستعملنها فيما يحتاج الى قطعه بما قدم اليهن من الطعام والفواكه وهكذا افعل
الاعاجم يوضع عند كل من على المائدة سكين يقطع به اللحم وغيره وامرت يوسف
بان يلبس احسن الثياب وزينته باحسن الزينة ثم امرته بالاكل فشرع ياكل
ويقطع الطعام بالسكاكين جزأ وقالت زليخا ليوسف اخرج عليهن
اى النسوة فخرج عليهن ولم يشعرن او كيلا يدخل عليه فلما رأينه اكبرنه
اى فخرج فلما رأينه اعظمنه وبهتهن حسنه الفايق وتحيرن وبقين مدهوشات
طائرة عقولهن لاشتغالهن بيوسف قال وهب كن اربعين امرأة وبلغنى ان سبعا
منهن مُتن وحدا بيوسف وحتاله وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف
ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى الازقة روئى تلألؤ
وجهه على الجدر وروى عن ابن مسعود رفه قال اوتى يوسف وابنه ثلث حسن الناس
فى الوجه والبياض وغير ذلك وانه اذا اكل البقل والشئ الاخضر من الفواكه يرى
حين يزدرده فى حلقه وكانت المرأة اذا اتت يوسف تغطى وجهه مخافة ان يفتتن
به وقطعن ايديهن جرحتها بالسكاكين من فرط الدهشة ولم يشعرن بذلك
اذ لما خرج عليهن بهتن من روعة جماله ما قطعن بالسكين الا ايديهن فما
احسسن الا بالدم ولا يجدن من حز اليد الما لشغل خاطرهن بيوسف وقلن
حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله او تنزيها له
ان يجرى على يوسف ما نقل عنه او معاذ الله ان نقول هذا بشر واصله حاشا

كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف من الحروف الجارة
يفيد معنى التبرئة والتنزيه في باب الاستثناء فنقل الى معنى المصدر اى التنزيه
واللام للبيان وقيل حاش فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اى صار في ناحية لله تعالى مما يتوهم فيه ما هذا بشرا ما هذا آدميا لان هذا
الجمال غير معهود للبشر ان هذا الا ملك كريم مكرم على الله تعالى لما شاهدن
من عفته مع حسنه قلن ان هذا الا ملك كريم بعد قولهن ما هذا بشرا لان الجمع
بين الجمال الزايد والكمال الفايق والعصمة الباقية من خواص الملائكة اولان جماله
فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ولانه لو كان بشرا لكانت له شهوة
فينظر الينا بنظرها والملك لا شهوة فيه قيل انهن لم تر من الملائكة فكيف
شبهنه بشئ لم تره بل قلن ما هو الا ملك مع علمهن ان البشر واجب ان
المعروف عند الناس انهم اذا وصفوا الانسان بالحسن يقولون هذا يشبه الملك
ويشبه الجن كما انهم اذا وصفوا امرا بالقبح يقولون هو كالشيطان وما ذكرنه بطريق
الحصر للمبالغة وقرئ ملك بكسر اللام واحد الملوك اى ليس بمملوك بل هو من الملوك
شعر غابت صفات القاطعات اكفهن في مشاهدة هو في البرية ابدع ففقدن
من اوصافهن فلم يكن من نعتهن تلذذ وتوجع ومن الخصص ان النسوة
لما رأينه تحيرن فكيف يكون حال العاشق وحيرته في رؤية الله تعالى وقوله
سلام عليكم يا اهل الجنة ومنها ان النسوة كن يضحكن من زليخا وصار الامر
هنا على العكس كذا حال المؤمن والكافر والفقير والغنى في الدنيا والاخرة
قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقال تعالى لا يسخر قوم
من قوم ولا بد للعاقل ان يبكى اولا ليضحك ثانيا قال محمد بن واسع اذا رأيت
رجلا في الجنة يبكى الست تعجب قيل بلى قال فالذى يضحك في الدنيا وهو
لا يدرى الى ما يصير هو اعجب ومنها ان النسوة لما رأين جمال يوسف ما
احسن لذة بنعم زليخا ولا الم قطع اليد فكذا حال المحب عند مشاهدة

جمال الله تعالى لا يذكر نعيم الجنة ولا عذاب النار ومنها ان في مشاهدة
يوسف عم قطع اليد وفي مشاهدة رسولنا صلى الله عليه وسلم قطع
النار وقطع القلوب عن سواه شعر لو امحى زليخا لورأين جبينه لآثرن
في قطع القلوب على الايدى ومنها انه لامت النسوة امرأة العزيز بمراودتها
يوسف وهى معه سبع سنين وحين لما نظرن اليه راودنه وكذا كثير
من الناس يطمعون بعض الناس بقليل من الشهوة وهم اذا وقعوا فيها يصيرون
اشد منهم حرصا عليها فلا ينبغى للمؤمن الاغترار قال خاتم الاصم لا يغتر
بموضع صالح مبارك فانه لا مكان اصلح من الجنة وقد لقى آدم فيها ما لقى
ولا تغتروا بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول العبادة لقى ما لقى ولا تغتروا
بكثرة العلم فان بلعم بن باعور كان يعلم الاسم الاعظم فالقى ما القى ولا تغتروا
برؤية الصالحين فليس احد اجل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينتفع
به بعض اقاربه ومنها ان النسوة لما رأين يوسف لم يدركن الالم فكذا المؤمن
وقت النزع يرى الملك ولا يحس الم النزع روى ان عبد الله بن المبارك
فتح عينيه عند الوفاة وضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فلا بد
للعاقل ان يعمل عملا يسهل الموت ومنها ان زليخا لو آذيت النسوة بما قلن
امرأة العزيز تراودفتاها لقلن ظلمتنا فلما قالت ليوسف اخرج عليهن
فرأينه وقلن وفعلن ما فعلن من فرط الدهشة ظهر عذرها عندهن
فكذا الله تعالى خلق الارواح فقال في حق طائفة هؤلاء في الجنة وفي حق
طائفة هؤلاء في النار ولم يعمل بعلمه الازلى بل اعطى يد كل واحد من الناس
سكين القدرة حتى يظهر الظالم لنفسه كما قال الله وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون روى ان رجلا من اهل البصرة كان في سفينة ومعه
جارية تضرب بالعود وكان في السفينة فقير صالح فاخرجوا الخمر وشربوا
وضربت الجارية بالعود وانشدت فطرب مولاها والتفت الى الفقير

وقال له تحسن مثل هذا قال احسن ما هو احسن منه وكان الفقير حسن الصوت
فقرأ قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا وقرأ اينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فقال الرجل اشهد ان هذا
احسن فهل غير هذا فقرأ انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فوقعت في قلبه ورمى الخمر وكسر العود ثم قال يا اخي هل هنا فرج قال نعم فقراء
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فتاب الرجل واذا اريد
التفسير النفسي يراد ان القلب اذا استولى على النفس بهيئته النورية
وحسنه الذاتي الفطري والوصفي الكسبي واعرضت النفس عن الغير
لاشتغالها به لانها القوى البدنية وانكرت اشتغالها به وتوجهها اليه
فالنفس تدعوها اليه واعطت يد كل منها سكين التدبر والتصرف وقوله
اخرج عليهن اقتضاؤها طلوعه عليها فلما رأين صفاه استنارت جميع
القوى البدنية بنوره فشغلت عن افعالها وتحيرت ووقفت عن تصرفاتها
في الغذاء وذهلت عن سكاكين تدبرها امر التلذذ وبقيت مبهوتة في متكآتها
التي هي محالها من اعضاء البدن وقطعن العلائق الدنيوية وتعجبن من حسن
القلب وكونه محل الفيض والالهام وهو كالملك وقلن ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم اعلم ان امرأة العزيز لما رأت انهن افتتن بيوسف وجدت
موضعا للعذر قالت زليخا للنسوة موبخة لهن فذلكن هذا خبر
مبتدأ محذوف اي هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الالتفات
به وقلتن ما قلتن قبل ان تتصورنه ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتني وقيل
فذلكن مبتدأ والموصول مع صلته خبره اي فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع
ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه وتعظيما له فلما قالت زليخا هذا
الكلام قلن انت معذورة من نحوه فان قيل ان النسوة لم تقطعن ايديهن برؤيته
دون زليخا قلنا لحصول انسها به فكذا حال المطيع والعاصي في رؤية الجمال

والجلال

والجلال يوم القيمة قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون واجاب بعضهم بان زليخا بعد ما احبت يوسف ما اخذ
بيدها السكين وقالت لا يليق بالاحباب ان يأخذوا بايديهم قاطعا
فالحصة منه ان من تدعي محبة الله ومحبة رسوله لا يليق له ان يفعل
ما يقطع محبتهما من المنكرات والافعال الغير المرضية وان ارتكبها يكون
من الكاذبين في دعواه جعلنا الله تعالى من الصادقين في محبته ومحبة حبيبه
فلما بان عذرها لهن اعترفت ببراءته وبانها راودته عن نفسه فقالت ولقد
راودته عن نفسه طلبت ان يكتنفني من نفسه اقرت لهن حين عرفت
انهن يعذرنها كي يعاونها على الائتمار بكيده فاستعصم فامتنع بنفسه
وتحفظ عن اجابتي طلبا للعصمة عن الله تعالى مبالغة في الامتناع لان في
استفعل معنى المبالغة فهذا يبطل قول من قال قصد اجابتها وحل ازاره
فالنسوة امرن يوسف بطاعة زليخا والحن وابرمن عليه فلما رأت زليخا
هذه الحال هتكت جلباب الحياء وعادت بحضرتهن الى مراودته اوالى ما
يشبه المراودة فقالت ولئن لم يفعل ما آمره كلمة ما اما موصولة اي ما آمره
من قضاء شهوتي فحذف الجار او مصدرية اي امري اياه بمعنى موجب امري
فيكون الضمير ليوسف اي وان لم يفعل يوسف امري اي مقتضاه ليسجنن
بالتشديد اي ليحبسن في السجن وليكونا بالتخفيف من الصاغرين
الاذلاء في السجن قالت النسوة قد استحق ذلك وانك متى سجنته قطعت
عنك مقالة السوء التي شاعت عليك قيل لما بغت عليه واتهمته
بما فيها ابتلاها الله تعالى بان هتكت بلسانها سترها وكشفت امرها
وقال الامام القشيري قدس سره كانت زليخا اتم حالا في امر يوسف وفي الائتمار
به من النسوة فاثرت رؤيته فيهن ولم يؤثر فيها كما اثرت فيهن حيث قطعن ايديهن
وذلك لانه قوى حالها بطول الصحبة فصارت رؤية يوسف غذاء لها فلم يؤثر فيها

والتغير صفة اهل البداية فاذا دام المعنى زال التغير قال ابوبكر الصديق رض وقد رأى
رجلا يبكي وهو قريب العهد بالاسلام هكذا كنا حتى قويت قلوبنا وصلبت وكذا
الخرف اول ما يجعل فيه الماء يسمع نشيش فاذا تعود تشرب الماء سكن فلا يسمع له
بعد ذلك صوت قال يوسف رب يارب وسيدى السجن مبتداء احب
الى خبره اى انزع عندى والمراد بالمحبة هنا المحبة الاختيارية والايثار فى الدين
لا المحبة الاضطرارية وميل النفس مما يدعونني اليه مما يدعونني النسوة من موافقتها
زنا نظرا الى العاقبة وان كان الزنا مما تشتهيه النفس والسجن مما تكرهه ولسند
الدعوة اليهن جميعا مع ان الداعية هى زليخا لانهن خوفنه عن مخالفتها بالسجن
والعذاب وزين مطاوعتها وقلن اطع مولاتك ولا تخالفها فان لها عليك
حقا وهى تحسن اليك وتحبك وتطلب هواك او دعونه الى انفسهن فانهن
شغفن به وكلمنه بسر ودعته كل امرأة منهن الى نفسها ويدل عليه قوله اذ راودن
يوسف عن نفسه قيل انما ابتلى يوسف بالسجن بقوله هذا وانما كان الاولى به
ان يسئل العافية ويقول اللهم عافنى او رب العافية احب الى ولو دعا به لعافاه
الله تعالى ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسئل الصبر ويقول
اللهم انى اسئلك الصبر فان الصبر على بلائك اصعب فالحصة منه انه لا بد للعاقل
ان يسئل العافية فى جميع الاوقات اذ هى مبنى الطاعات والذكر والفكر لان الانسان
اذا ابتلى بكروه ربما يشغله عن وظائفه من العبادات عصمنا الله تعالى عن جميع
الآفات ثم ان يوسف عم شرع الى ان توفيق الله تعالى لا بد له حتى يتخلص عن كيدهن
لان الانسان عاجز عن كل شئ لا سيما عن مكر النساء حيث قال والا تصرف
عنى وان لم تصرف عنى بالتثبيت على العصمة كيدهن فى تجليب ذلك الى
وتحسينه عندى اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى
ومقتضى بشريتى حذف الواو من اصبو للجزم لانه جواب الشرط والصبوة الميل
الى الهوى وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق وهذا عين التوحيد من حيث

ان المعصوم

ان المعصوم من عصمه الله وان النجاة بصرف الله تعالى لا بتكلف العبد ولما آثر
يوسف عم تحمل المشقة فى الله على لذة نفسه آثره الله تعالى على اخوته واهل عصره
حتى قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين من الشقاء بارتكاب
ما يدعونني اليه وباتباع الهوى فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعلمون
ما يعلمون فانهم والجهال سواء والا تصرف الاية سؤال من الله العصمة من كيد
النساء بالطف وجه ومن الحصص ان النسوة تكلمن فى زليخا فلما راين يوسف
صرن اشد منها فى الحب والميل الى الهوى فرب واعظ ولائم اذا جرب ظهر خلاف
مقاله من فعاله قال عمر بن الخطاب رض ليس الرجل من يأمر على غيره وينهى وانما
الرجل من يأمر على نفسه وينهى ولا يكون عبدا للشيطان فهو يلعنه بلسانه
ويطيعه بنفسه وقلبه كما قيل فى هذا المعنى شعر وغير تقى يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوى الناس وهو مريض ومنها ان النسوة تخيرن فى مقابلة يوسف
فلا بد للمؤمن ان يتخير فى مراقبة الحق قال ابو سليمان الدارانى خرج عيسى ويحيى
عليهما السلام فصدم يحيى امرأة فقال عيسى يا بن الخالة لقد اصبت اليوم ذنبا
ما احتسب ان الله يغفر لك قال يحيى وما هو قال امرأة صدمتها قال يحيى
والله ما شعرت بها قال له عيسى سبحان الله بدنك معى فاين روحك قال
معلق بالعرش ولو ان قلبى اطمأن حبر بل ساعة ما اعرف الله طرفة عين فلا بد
للمصلى ان يتحير فى مناجاة ربه قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ما
التفت ومنها ان النسوة خجلن عند زليخا وخشعن فرب واعظ يخجل
عند السامعين يوم القيمة وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله
دجالا كما قال يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث
ما لا تسمعوا بها انتم ولا اباؤكم ولا انزل الله بها من سلطان فاياكم واياهم
لا يضلونكم ولا يفتنونكم وانما قال دجالون لان الناس يقتدون بهم وقد قيل
زلة العالم زلة العالم ومنها ان يوسف عم امتنع عن امر زليخا فحبس

وان كان ما امرته حراما وشرا فكيف يكون حال من امتنع عن امر المولى الحقيقي
وما امره خير محض قيل رجل من العقلاء حسب عمره فكان اربعين سنة فحسب
ايامها فوجدها اربعة عشر الفا واربعمائة يوم فصاح صيحة وخر مغشيا عليه
فلما افاق قال وافضيحتاه هذا اذا كان كل يوم ذنب جميعه اربعة عشر الفا
واربعمائة ذنب فكيف بذنوب لا تحصى في كل وقت شعر تذكرت اياما مضت
ولياليا • خلت فجرى من ذكرهن دموعي • الا هل لها يوما من الدهر عودة •
وهل لي الى وقت الوصال رجوعي • وهل بعد اعراض الحبيب تواصل • وهل
لبدور قد افلن طلوعي • ومنها ان زليخا ارادت ان يصير يوسف ذليلا حيث
قال ليكونا من الصاغرين واراد الله تعالى ان يصير عزيزا فصار الامر ما اراده الله تعالى
كما ان رئيس المنافقين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
واراد الله تعالى عزة رسوله فاعزه كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ومنها ان من افترى بشيء على بريء ابتلي به قال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك ومنها ان الحب كان اختيار الله تعالى فنجا
منه يوسف في زمان قليل والسجن كان اختياره فلذلك لبث فيه سنين
فلا بد للعبد ان يفوض امره الى الله تعالى ولا يامن مكره ورد في الخبر انه لما جرى
لابليس ما جرى طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان زمانا طويلا فاوحى الله اليهما
ما لكما تبكيان قالا يا ربنا لا تامن من مكرك فقال لهما هكذا كونا لا تامنا مكري
ومنها ان المعتبر هو الحب الاختياري ولهذا قال عليه السلام لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين ومنها ان المباشر على
الاثم والمعين سواء ولهذا قال يدعونني بصيغة الجمع قيل كتب امير كتابا وكان
عنده رجل صالح فقال الامير له ائتني بتراب احثوه على المداد فقال الرجل ناولني
الكتاب اولا حتى اقرأه هل كتب فيه ظلم كيلا اكون معينا على الظلم ومنها
ان المعصوم من عصمه الله تعالى وانه يجيب المضطر اذا دعاه يروى عن مالك بن دينار

قال خرجت

قال خرجت حاجا الى بيت الله فاذا انا بغراب يطير في البادية آخذ خبزا
في منقاره فقلت ان لهذا شانا فتبعته حتى انظر الى اين يذهب فطار حتى
انتهى الى حظيرة شبه جدار من الحشيش فوقع فيه فدنوت منه ونظرت
فاذا انا برجل مشدود الايدي والارجل فجلس الغراب على صدره وجعل
يكسر الخبز كسرة كسرة فيجعلها في فيه حتى اطعمه ثم طار فاتى بملء فيه ماء
فصبه في فيه مرارا ثم طار فشققت الجدار ودخلت فقلت يا عبد الله
ما حالك فقال اني رجل من الحاج اخذني العرب فاخذوا مالي واوثقوا يدي
ورجلي وطرحوني هنا فبقيت ثلثة ايام جايعا عطشان فقلت الهي وسيدي
انك قلت امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فانا مضطر فاكشف
حالي فسبب الله تعالى هذا الغراب حتى يطعمني كل يوم ويسقيني فحللت
يديه ورجليه وخرجنا ومنها ان من لم يعمل بموجب علمه فهو من عداد الجهال
واذا اريد التفسير الانفسي يراد انه لما انخرطت النفس في سلك ارادة
القلب وقلت منازعتها اياه في عزيمة السلوك وتمرنت لمطالعته حان
وقت الرياضة بالدخول في الخلوة لتجرد القلب ح من علائقه وموانعه
وتجريد عزمه ببقاء التردد اذ ما يتردد العزم بانجذابه الى جهة النفس تارة
والى جهة الروح اخرى ولم يصح الخلوة لفقدان الجنسية التي هي من شرائطها
والرياضة المذكورة ليست رياضة النفس بالتطويع فانها لا تعلج بالخلوة
بل بارتكاب المخالفات والاقدام على كسرها وقهرها بالمقاومات من انواع
الزهد والعبادات وانما هي رياضة القلب بالتنزه عن صفاته وعلومه
وكمالاته وتشوقه في سلوكه طريق الفناء وطلب الشهود واللقاء وذلك
بعد العصمة من استيلاء النفس عليه كما قالت ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ولما
حبب اليه الخلوة كما حبب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند التحنث

فى حراء قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ودعا ربه ان يصرف عنه
كيدهن بقوله والا تصرف عنى الاية لانه فى طباع النفس والقوى البدنية
الميل الى الجهة السفلية وجذب القلب اليها بحيث لا يزول ابدا وتنورها
بنوره وطاعتها له امر عارض قابل للزوم والقلب يميل الى اعمالها دائما فانه
ذو جهتين ينزع باحديهما الى الروح وبالاخرى الى النفس ويقبل بوجه
الى هذه وبوجه الى هذه فلا شئ اقرب اليه من الصورة اليها بجهالته لو
لم يعصمه الله بتقليب الجهة العليا وامداده بانوار الملأ الاعلى كما قال صلعم
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قيل له اوتقول ذلك وانت
نبى يوحى اليك قال ان مثل القلب كمثل ريشة فى فلاة تقلبها الرياح
كيف شاءت ولما دعا يوسف ع وتضرع الى الله تعالى بالطف وجه استجاب
الله تعالى حيث قال فاستجاب فاجاب له ليوسف ربه اى اجاب
دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف اذ فى هذا الكلام معنى الدعاء
والسئوال بالطف وجه فصرف عنه عن يوسف كيدهن فعلهن
وشرهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن واثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه اى ربه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم ونياتهم وما يصلحهم ومن الخصص
ان يوسف فوض امره الى الله تعالى وطلب منه العصمة استجاب له ربه
فينبغى للعاقل ان يفوض امره الى الله تعالى وروى ان موسى ع لما ذهب
الى الطور لطلب الكتاب قال لاخيه هرون اخلفنى فى قومى فبعد
زمان قليل عبد اكثر قومه العجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فوض امر امته الى الله تعالى ولهذا لا يزالون على الخير ومنها ان من فتح
له باب الدعاء يفتح له باب الاجابة ولهذا ورد فى الخبر ان الله تعالى
اذا اراد ان يجرى حكما من احكامه قيد لسان عبد حتى لا يسئله لئلا

يسجنى

يستجيب ان يدعو عبده وهو لا يجيبه ومنها انه لا بد للداعى ان يدعو
بحضور القلب فى خلوة حتى يستجاب دعاؤه روى ان موسى ع كلما من
الى المناجاة راى رجلا يدعو ولا يستجاب دعاؤه فقال يا رب لم لا تجيب
دعاءه قال انه لا يدعونى بحضور القلب وفى قلبه حقد لاحد فاستنطقه
موسى ع قال كان رجل اذانى فى زمان شبابى وفى قلبى انه لو وجدت فرصة
لانتقمته ومنها ان دعاء يوسف استجيب فى الدنيا ودعاء نبينا صلعم
يستجاب فى الاخرة شفاعة لنا كما قال عليه السلام ان لكل شئ دعوة
مستجابة دعا لامته وانى اختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة يوم
واذا اريد التفسير النفسى يراد بقوله فاستجاب له ربه ايد القلب
بالتاييد القدسى وقواه بالالقاء السبوحى وبقوله فصرف عنه كيدهن
انه صرف وجهه عن جانب الرجس الى جناب القدس ودفع عنه بذلك
كيد النفس والقوى البدنية انه هو السميع لمناجاة القلب فى مقام النشر
العليم بما ينبغى ان يفعل به عند افتقاره اليه اعلم ان النسوة انصرفن عن زليخا
على ان يسجنن يوسف وتركنها وراودته عن نفسه واجتهدت عليه
ولم يزدد منها الا بعدا فلما يئست منه قالت لسيدها انه قد شاع
على فى امر هذا العبد مقالة قبيحة وقد فضحنى فى ذلك وقد كرهت قربه
وابغضت رؤيته فأذن فى سجنه حتى يكون سجنه فى تحت يدى فانه
اقطع للمقالة وابين للعذر وفى رواية قالت ان هذا الغلام العبرانى
لا يقلع عنى وقد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه
ولست اطيق بعدى فاما ان تأذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس اخبرهم
بحالى واما ان تحبسه حتى ينقطع حديثه فقال لها سيدها قد اذنت لك
فى سجنه قالوا كان مطواعا لها وذلولا حتى انساه ذلك ما راى من الايات
ولهذا قال الله تعالى ثم بدا لهم اى ظهر لهم من بعد ما راوا الايات

رأى بخلاف الاول لهم للعزيز وزليخا واهل المشورة من بعد ما رأوا
الآيات العلامات والشواهد الدالة على براءة يوسف وصدق
مقالته كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه
عنهن وفاعل بدا مضمر وهو السجن يفسره ليسجننه حتى حين اى
حلفوا والحين وقت مجهول اى الى يوم ووقت من الاوقات وذلك انها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه
او يحسب انه المجرم ويتقادم العهد فينسى هذا الحديث وينقطع
فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب بالعزيز
على التعظيم او العزيز ومن يليه وحتى بمعنى الى روى ان زليخا امرت
الحداد ان يجعل ليوسف الغل الثقيل قال الحداد ان جسم يوسف لطيف
كيف يتحمل الحديد الشديد قال يوسف قيدوني قيدوني فانا من اهل
بيت البلاء لكون البلاء كفارة للذنوب ورفعة للدرجات قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد البلاء على الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل روى ان ابرهيم بن ادهم كان في بعض شوارع بغداد
فاستقبله رجل وضغته قوية ثم دفعه حتى كاد ان يرميه الى الارض
فرفع رأسه وقال اللهم اغفر له فقال له الرجل كيف تدعو لي وقد
صفعتك قال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي
منك الخير ونصيبك مني الشر فاعذر له وروى ان يوسف اذا
ذهب الى السجن بلباس البذلة وهيئة الذلة يقول الناس انه مجرم
فيأتي يوسف انينا شديدا ويقول هذا جزاء المولى المجازي بلا جرم
فكيف جزاء المولى الحقيقي بالجرم نعوذ بالله من غضبه لعل البلاء في الدنيا
يصير سببا لدفعه في الاخرة روى ان اباعثمان خرج من بيته وقت
الهاجرة فجلس تحت حائط يستظل فالقي عليه من السطح طست رماد

فقام

فقام اصحابه وبسطوا السنتهم فقال لهم لا تقولوا شيئا فان من استحق
ان تصب عليه النار فصوابه بالرماد ولم يغضب من ذلك وروى ان النار
يقولون هذا عبد من كنعان والعزيز عليه غضبان فلما سمع يوسف
كلامهم قال هذا خير من غضب الرحمن وبقاساة النيران لانها اشد وامر
ومن يتذكرها لا يجد آلام الدنيا كلها ولا يتألم منها فانها ستزول واما
عذاب الله تعالى في الآخرة فاشد فالعاقل يبكي لهذا قال رسول الله صلعم
لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولسجد احدكم حتى
ينقطع صلبه ولصرخ حتى ينقطع صوته وروى ان زليخا جعلت كوة صغيرة
في السجن لتنظر اليه احيانا او ترسل اليه فكذا الله تعالى ينظر الى العبد في سجن
الدنيا ويرسل الملائكة كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون قال اهل الاشارة ان يعقوب احب يوسف فالقي في
الجب وزليخا احبته فحبس في ذنبه قيل لانه اخذ قلبهما بحسنه و
وشغلهما عن ربهما كما ان ابرهيم احب اسمعيل فامر بذبحه وكذا حال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الحسن والحسين رضي الله عنهما
قيل قال العزيز لندمائه قد صح عندي ان الذنب لها ولكنها اهلي اريد
ان ارد عليه ذنبها كيلا تفتضح فقال احدهم ما مرادك من هذا قال اردت
تأديب زليخا بالعذاب الشديد فان اشد العذاب على الاحباب حجاب
الحبيب فالحصة فالحصة منه انه اذا كان حال الاحباب مع الحبيب
المجازي كذلك فكيف حال العشاق مع الجليل الجميل عصمنا الله تعالى
عن فراقه بحرمة نبيه الحليم الكريم ومن الحصص ان العزيز لما سجن يوسف
مع ظهور براءته اتقاء على امرأته ان ينهتك سترها حول الله تعالى ملكه و
ملكه اليه ثم في اخر الامر جعلها امرأته وذلك جزاء الصابرين ومنها ان رؤية
الايات والمعجزات لا تجدي نفعا ما لم يقرن العبد بتوفيق الله تعالى ومنها ان زليخا

احبته فحبسته وكذا الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان نيل المراد بتركم
ومنها ان يعقوب احب يوسف فابتلى بفراقه وابتلى يوسف بالحب وان
زليخا احبته فابتليت بالملامة وابتلى يوسف بالسجن لان الحب لا يخلو
عن البلاء ومنها ان من احب غير الله حاله لانه تعالى غيور فلا بد للعاقل
ان لا ينظر الى غير الله ومنها ان العزيز حبس يوسف ولم يبعه وهذا نوع
من القبول فكذا الله تعالى اذا اذنب عبده ابتلاه كفارة لذنبه ولا يرده ومنها
ان زليخا التبست في حبها وحبسته حتى يضمحل سوء ظن الناس فيها ولا يعرفون
حبها فكذا الطائفة الملامية من الصوفية يستترون حالهم ومنها ان اهل مصر
كانوا يتعجبون من لباس يوسف وهيئته ومن السجن ومحنته ولا يتفكرون
في حال العصاة اذ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وان جهنم
اوقد عليهم ثلثة الاف سنة وهي سجن قبيح وورد في الخبر لو ان مثل خرة
ابرة فتح منها لاحترق اهل الدنيا عن حرها روى ان ابن مرثد كان لا ينقطع
دموع عينيه ولا يزال كان باكيا فسئل عن ذلك فقال لو ان الله تعالى اوعدني
بانى لو اذنبت ذنبا لحبسني في الحمام ابدا لكان حقيقا على ان لا ينقطع دموعي
فكيف وقد وعدني ان يحبسني في جهنم قد اوقد عليها ثلثة آلاف سنة واذا
اريد التفسير الانفسي يراد انه ظهر لعزيز الروح ونسوة النفس والقوى واعوان
الروح من العقل والفكر وغيرهما رأى متفق عليه من جميعها وهو ليسجننه اى
ليتركنه في الخلوة التي هي احب اليه اما الروح فلقهره اياه بنور الشهود ومنعه
عن تصرفاته واما النفس وسائر القوى فلامتناع عن استجذابه اليها من بعد
ما رأوا ايات العصمة وصدق العزيمة وعدم الميل اليها واما العقل فلتنوره
بنور الهداية واما الفكر فلحصول سلطانه في الخلوة ودخل معه مع يوسف
السجن ظرف دخل فتيان فاعل دخل اى دخل يوسف السجن واتفق
ان اد خل عبدان من عبيد الملك ريان شرابيه اسمه بونا وخبازه اسمه

مجلث

مجلث قيل ان مع بمعنى بعد كما في قوله تعالى ان مع العسر يسرا فالمراد اجتماعهم
في السجن لما افترانهم في الدخول قال الزجاج كانوا يسمون الملوك فتى شيخا كان
اوشابا قال وهب كان سبب وقوعهما في السجن ان جماعة من اهل مصر
خرجوا على الملك واراد والمكر به فارسلوا الى هذين وضمنوا لهما مالا ليسما
طعام الملك وشرابه فاجابا هم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز
الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر الطعام قال الساقي ايها الملك
لا تاكل فان الطعام مسموم قال الخباز ايها الملك لا تشرب فان الشراب مسموم
فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى
فجرب ذلك الطعام على دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بهما الى
السجن فكانا في السجن سنة وألفا يوسف والفهما وقيل اراد ملك اليمن قتل
الريان خفية فارسل رجالا بالاموال الكثيرة ليحتالوا لقتله وقيل اراد ملك الروم
قتله كذلك فارسل رجالا ضمنوا لهما الى آخرها ذكروا واطلعت امرأة على هذا
السر فاخبرت الملك وقت احضارهما الطعام والشراب فامر الملك بهما السجن
ولما دخل يوسف السجن فتح الله عليه عبارة الرؤيا فكان يعبر لاهل السجن
رؤياهم وكان يحسن اليهم ومن الخصص ان الله تعالى سماها باسم الفتى
لمقارنتهما يوسف ولم يؤمنا بعد فالمؤمن اولى ان يسمى بالاسم الشريف لمقارنته
الصالحين ومنها ان الله تعالى سماها باسم الفتى لقصدهما الايمان فالمؤمن
اولى ان يسمى به لايمانه عاجلا ومنها انهما سميا يوسف باسم المحسن حيث قال
انا نريك من المحسنين فسماهما الله تعالى باسم الفتى لاكرامهما اياه فالمؤمن اولى
ان يسمى بالاسم الشريف لاكرامه الانبياء عليهم السلام ولذكره المولى بالفتا
الرحيم والعفو الكريم فكيف يسميه الله تعالى بالاسم القبيح كالعاصي وان كان
مسرفا على نفسه ولهذا قال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ومنها ان الله تعالى ذكرهما باسم الفتى وذكر جميع الانسان

بالظلوم والجهول حيث قال وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لئلا يغتر
المطيع ولا ييأس العاصي ومنها ان الفقير احسن حالا من السلطان اذ لا خوف
عليه من التهم ولا هم من جهة المال والمآل ومنها ان كل من كثر ماله وملكه كثر
اعداؤه كالسلطان فان ابناءه واخوته اعداؤه ومنها ان المؤمن في الدنيا
كالمسجون واعماله وما يتصرف فيه كالرؤيا التي يراها النائم فلا بد ان يطلب
التأويل فيها من المرشد ويتفكر في مآل امره هل يخلص من السجن سالما ام لا
قيل للمؤمن اربعة حبوس بطن الام ثم المهد ثم الدنيا ثم القبر وهو سجن السكون
والسكوت وهو اول بيوت الاخرة وبابها فان كان له عمل صالح فيبعث الله تعالى
اليه المونسين الكريمين الكاتبين العادلين الذين كتبا اعماله في الدنيا
يبشرانه الله تعالى السلامة من كل سجن ومنها ان المجرم كان هو الخباز وحبس
الساقي لمقارنته ومنها انهما كانا في نعمة الملك فلما لم يشكرا ومالا الى اضلال الغير
بسبب حطام الدنيا وقصدا الضرر الى الملك ابتليا فلا بد للعاقل ان يشكر
للنعمة والا ابتلي بالمحنة ومنها ان ملك مصر امرهما الى السجن مع عدم يقينه
بجرمهما معا والله تعالى يجري معاصي العباد ولا يستعجل بعقوبتهم ومنها انه اطلق
اسم المحسن على يوسف حال كونه في موضع المجرمين لان السجن موضعهم فالعبرة
بالذات والعمل لا بالمحل واذا اريد التفسير الانفسي يراد بهما الفتيان اللذان دخلا
مع يوسف القلب في سجن الخلوة احدهما قوة المحبة الروحية وهي ساقية الملك
تسقيه خمر العشق والثاني هوى النفس التي لا تفارقها ايضا بحال وهو خباز
الملك الذي يدبر الاقوات وهما يلازمانه في الخلوة دون غيرهما اعلم انهما رأيا
الرؤيا اوارادا اختباره اورأى الساقي واختبر الخباز وعرضا على يوسف كما
قال الله تعالى قال احدهما اي الساقي اني اراني في المنام وهي حكاية حال
ماضية لانه وقع الرؤيا قبل نقل يوسف اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما
يؤل اليه اي اعصر العنب الذي يكون عصيره خمرا وقيل العنب يسمى خمرا

فلعنه

في لغة عمان او عند بعض العرب وحكى الاصمعي عن معتمر بن سليمان انه
رأى اعرابيا معه عنب فقال ما معك فقال خمر وتفصيل الرؤيا انه قال
رأيت في المنام كاني دخلت كرما فرأيت حملة حسنة فيها ثلث من القضبان
وفي القضبان ثلث عناقيد عنب قد نبع وبلغ فاخذته وعصرته في الكاس
ثم اتيت به الى الملك فسقيته قال عكرمة قال ذلك الفتى اني رأيت فيما
يرى النائم اني غرست حبة من عنب فنبتت فخرج منها ثلثة عناقيد
فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال تمكث في السجن ثلثة ايام ثم تخرج
فتسقيه خمرك وقال الاخر اي الخباز اني اراني في النوم احمل فوق رأسي
خبزا اي رأيت كاني اخرج من مطبخ الملك وعلى رأسي ثلث سلات
من الخبز واذا سباع الطير يأكل من السلة العليا كما قال تعالى تأكل
الطير منه تنهس منه نبئنا بتأويله ما يؤل اليه عاقبة المراد بهذه
الرؤيا انا نراك يا يوسف من المحسنين الذين يحسنون تأويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر
رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن اي تحسن الى اهله فاحسن الينا
بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه ليزول عنا شغل القلب قيل ان الفتيين
قالا له انا نحبك منذ رأيناك فقال انشدكما الله ان لا تحباني فوالله ما
احبني احد الا دخل على من حبه بلاء فالحصة ان المحبة مرض البلاء
اعلم ان يوسف كان كريما كما عرفت مرارا من حاله وستعرف من بعد
ومن جملة كرمه في السجن انه كان ينصر المظلوم ويعين الضعيف ويعود
المريض وكان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويأخذ قلب المكروبين
واذا ضاق المجلس على احد وسع له بصدر منشرح ويجتهد في عبادة
ربه وقال القوم في السجن انقطع رجاؤهم وحزنوا ابشروا واصبروا توجروا
فان لهذا اجرا فقالوا له بارك الله فيك ما احسن خلقك وخلقك

لقد احسنت الينا واذا احتاج احد قام وجمع له شيئا ويقال انا نريك
من المحسنين يعني من الصادقين في القول وكان اهل السجن يجتمعون عنده
ويسئلونه اشيئا فيجيبهم فقالوا انا نريك من المحسنين يعني نراك عالما وقد
احسنت علما فان قيل هل للرؤيا وعبارتها وجه معقول قلنا نعم لان الله تعالى
خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة
اللوح المحفوظ والمانع من ذلك اشتغالها بتدبير البدن ففي حالة النوم
يقل هذا الشاغل فتقوى على هذه المطالعة فاذا وقعت على حالة من الاحوال
نزلت اثار مخصوصة مناسبة لتلك الحالة الى عالم الخيال فاذا عرض على المعبر
يستدل بتلك الاثار الخيالية على تلك الادراكات العقلية ومن الحصص
ان السجن كان دار الحزن جعل الله تعالى ليوسف فيه رفيقين ليتسلى بهما
فكذا يجعل للمؤمن في القبر مونسا مع انه دار الوحشة ومنها ان السجن كان
موضع المجرمين ومحل من لقب باسم قبيح اعطاه الله تعالى الكرامة لاحسانه
حتى سماه اهل السجن باسم حسن وعدوه من المحسنين لان الله لا يضيع
اجر المحسنين ومن جملة الاحسان محبة الله عز وجل لانه احق بها عن يحيى بن
معاذ الرازي انه قال الا تحب من احبك من قبل ان تحبه وكتبك في اللوح
مؤمنا من قبل ان يخلقك وهيأ لك الانزال في دار الدنيا من قبل ان تلدك
امك وفي الجنة من قبل ان تدخلها فكيف لا تحب من بهذا من عليك
ومنها ان من كان حسن الخلق يكون حسن الخلق قال عليه السلام اطلبوا
الخير عند حسان الوجوه ومنها ان الله تعالى عظم يوسف حيث ذكر في لسان
اهل الكفر محسنا لتعظيمه امر الله تعالى ومنها ان الله تعالى يجزي المرء على فعله
روي عن جعفر الخلدي يقول رأى بعض الصالحين في منامه انه ادخل الجنة
فرأى رجلا على مائدة وملك يطعمه وملك يسقيه وآخر يقول كل يا من
لم يأكل من اجله والآخر يقول اشرب يا من لم يشرب من اجله ورأيت رجلا

شاخصا

شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن حورها وولدانها وقصورها
واشجارها واثمارها وهو لا يطرف فسئلت رضوان من الذي يطعمه
ملك ويسقيه ملك فقال ذلك بشر الحافي مات جايعا وعطشان
فوكل الله ملكا عليه يطعمه وملكا يسقيه ويقولان كل يا من لم يأكل من اجله
واشرب يا من لم يشرب من اجله فقلت من الذي يشخص ببصره نحو العرش
قال معروف الكرخي مات مشتاقا الى الله تعالى فاباحه الله النظر اليه فقد
اشتغل به عن الغير ومنها ان يوسف عمل اعمالا حسنة حتى سمي باسم المحسن
فلا بد للعاقل ان يعمل عملا يسمى بسببه باسم حسن واذا اريد التفسير الانفسي
يراد بمنام الشرابي اهتداء قوة المحبة الى عصر خمر العشق من كرم معرفة
القلب في نوم الغفلة عن الشهود الحقيقي وبمنام الخباز توجه الهوى بكليته
الى تحصيل لذات طير القوى النفسانية وحظوظها وشهواتها وشبهت بالطير
في جذب ما يجذبه من الحظوظ لسرعة حركتها نحوها قال يوسف ولما سمع
طلبهما تاويل الرؤيا وصل به قوله لا يأتيكما من عند الملك او من عند اهلكما
او من عند اصدقائكما طعام في اليقظة ترزقانه ذلك الطعام الا
نبأتكما بتأويله اخبرتكما بكشف الطعام يعني بيان ماهيته ولونه
وهو يشبه تفسير المشكل ولذا سمي بالتأويل قبل ان يأتيكما وانما وصل
به قوله هذا ليريهم ان علمه فوق ما يعلمه العلماء وجعل وصف نفسه
بالعلم الفايق وسيلة الى ذكر التوحيد وتأسيسا لدعوتهما اليه وتقريرا
عندهما علمه بعبارة الرؤيا وذلك لان جواب فتواهما قوله يا صاحبي السجن
اما احدكما الاية ولكن قدم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد لانها اول ما
يجب على الانبياء ولاجلها بعثوا وبها امروا وهذا القول منه يدل على علمه
بها فيوطن انفسهما لقبول ما يرد بعده من الجواب ونفي الشرك عن نفسه لكون
ذلك ابلغ في نصحهم وقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما

على صدقه فى الدعوة والتعبير وهذا مثل قول عيسى عم لقومه وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون فى بيوتكم وفيه اشارة الى ان العالم اذا جعلت منزلته فى العلم
فوصف نفسه بما هو بصدده وعرضه ان يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن
من باب التزكية ذكره الامام الرازى وفيه ايضا اشارة الى انه ينبغى للعالم اذا سئل
عن شئ استمر لما هو اهم منه فيكشفه ثم يجيبه عما سئل عنه وقيل المراد قبل
ان ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويل ما قصصتما على من الرؤيا اى اخبرتكما
بما يؤل اليه امره فلما قاله يوسف كانهما قالا له كيف تعلم ولست بساحر ولا عراف
ولا كاهن فقال ذلكما ذلك التاويل مما علمنى ربى بالالهام والوحى وليس
من قبيل التكهن والتنجم ومن الخصص ان يوسف علم ان رؤيا الخباز بتعبير
بكروه عنده اخرم وارشد الى الحق والتاخير فى امثاله ممدوح فالله تعالى
يؤخر العاصى ليتوب ومنها ان يوسف لم يرض ان يسمع قرينيه ما يحزنه فالله
لا يرضى بالمؤمن ان يسمع كلاما يسوءه ولذا قال لا تقنطوا من رحمة الله واذا
التفسير النفسى يراد بقوله لا ياتيكما طعام ؛ منع القلب اياهما عن
حظوظهما الا بعد تبيينه لهما ما يؤل اليه امرهما من شانهما الذى يجب لهما
القيام به بالسياسة والاصلاح ولما قال يوسف ذلك مما علمنى ربى كانهما
قالا لم خصك ربك بالتعليم دوننا فقال انى تركت استيناف وتعليل
لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة قوم دين قوم لا يؤمنون بالله ؛
لا يصدقون بوحدانيته وهم بالاخرة هم كافرون بالبعث جاحدون
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة والتعبير
بالترك وهو يوهم الدخول اولا لانه عبارة عن عدم التعرض راسا وقيل ان
يوسف كان عبد الهم بحسب زعمهم ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد فى
اظهر فكان كالترك ومن الخصص ان الله تعالى لا يحقق بهذا العلم والكرامة
من كفر به وجحده بل يكرم به من آمن به وصدقه ووحده وعبده قال ابرهيم

الخواص قدس سره دخلت البادية مرة فرايت نصرانيا على وسطه زنار
فسالنى الصحبة فمشيا سبعة ايام فقال يا راهب الحنفية هات
ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت يا رب لا تفضحنى فى هذا
الكافر فرايت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فاكلنا وشربنا
ومشينا سبعة ايام ثم بادرت فقلت يا راهب النصرانى هات
ما عندك انتهت النوبة اليك فاتكا على عصاه ودعا فاذا بطبقين
عليهما اضعاف ما كان على طبقى قال فتغيرت وابيت ان آكل فالح على
فلم اجبه فقال كل فانى ابشرك ببشارتين احديهما اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحل الزنار والاخرى انى قلت
اللهم ان كان لهذا العبد خطر عندك فافتح على بهذا ففتح قال
فاكلنا وشربنا ومشينا وحج معى واقمنا بمكة سنة ثم انه مات
فدفن ومنها ان العبرة بشرف الدين لا بشرف النسب ولذا غرق
كنعان بن نوح ونزل فى حقه انه ليس من اهلك قال الاصمعى كنت
بمكة فخرجت ليلة من الليالى الى الطواف سمعت صوت حزين فتبعته
فاذا هو شاب حسن الوجه وعلى اكتافه ذوابتان وهو متعلق باستار
الكعبة وهو يقول يا سيدى نامت العيون وازهرت النجوم وانت الملك
الحى القيوم غلقت الملوك ابوابهم وقامت عليها حجابها وبابك مفتوح
للسائلين فها انا سائلك ببابك مذنب فقير خائف وانشد شعر
يا من يجيب المضطر فى الظلم ؛ يا كاشف الضر والبلوى مع السقم ؛
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ؛ وانت يا حى يا قيوم لم تنم ؛ ادعوك
ربى وهو لاى ومعتمدى ؛ فارحم بكائى بحق البيت والحرم ؛ انت الغفور
وهب لى منك مغفرة ؛ ثم اعف عنى يا ذا الجود والكرم ؛ ان كان عفوك
لا يرجوه ذو زلل ؛ فمن يجود على العاصين بالنعم ؛ ثم رفع راسه وجعل

الخواص

يقول الهى وسيدى اطعتك بمشيتك فلك المنة على وعصيتك
بجهلى فلك الحجة على اللهم اغفر لى ذنوبى ولا تحرمنى رؤية جدى
صفوتك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامتك وما زال
يدعو حتى سقط قدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن الحسين بن على رض
فوضعت رأسه فى حجرى وبكيت لبكائه ففتح عينيه وقال من ذا الذى
شغلنى عن ذكر مولاى قلت حبيبى انا الاصمعى فاهذا البكاء والخوف
وانت من اهل بيت النبوة فقعد وقال يا اصمعى ليس قال الله تعالى
فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون يا اصمعى
خلق الجنة لمن اطاعه ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصاه ولو
كان شريفا قرشيا ولما قال يوسف انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
فكانهما قالا اذا لم تكن انت فى هذه الملة فعلى اى ملة انت فقال
واتبعت ملة ابائى ابراهيم وهو الجد جد الاب والجد
يسمى أبا لانه ابو ابى الاب واسحق وهو ابو الاب ويعقوب
هو ابوه حقيقة فكانما قالا كيف كانت ملتهم فقال ما كان لنا ما
جاز لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان
من ملك اوجنى او انسى فضلا عن ان نشرك به صنما لا يسمع
ولا يبصر لان معاشر الانبياء معصومون من الشرك من مزيد ولما
قال هذا فكانما قالا وبم اهتديتم اليها فقال ذلك الاسلام او العلم
او الارسال اى النبوة من فضل الله علينا بذلك وعلى الناس
المؤمنين بارسالنا اليهم لارشادهم وتثبيتهم عليه يعنى ذلك الفضل
على الرسل والمرسل اليهم جميعا لا على احدهما ولكن اكثر الناس
يعنى اهل مصر او المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله او الخالق على
نعمه بالطاعة له فى امره ونهيه وقيل لا يعلمون النعم من الله فيشكروا له

عليها انما ذكر يوسف اباءه لان الناس كانوا عرفوهم واعتقدوا
فى تعظيمهم وكانوا لا يعرفون يوسف فبين انه من صلبهم ليعتقدوا
كلامه ويقبلوا دعوته الى الدين الحق يعنى وصف يوسف نفسه
بما وصفها به من كونه من اهل بيت النبوة لاجل ان يقوى رغبتهما
فى الاستماع منه والوثوق عليه ولم يكن ذلك من قبيل التزكية
التى نهى عنها بقوله تعالى ولا تزكوا انفسكم ولذلك جوز للعالم
المجهول ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه قيل سافر عالم
واعظ وقرب من بلدة عظيمة وارسل واحدا من تلامذته اليها ليخبر
اعيان البلد بقدومه ليستقبلوه ويعظموه فانكر عليه واحد
من رفقائه فاعتذر الواعظ بانى اريد ان اعظ الناس فيها فاذا عرفنى
عوام الناس بالمنزلة يسمعوا قولى وانما اريد تعظيمى لانتفاع الناس
بموعظتى ومن الخصص ان الاية تدل على ان الكفر ملة واحدة ومنها
ان قوله انى تركت ملة قوم الخ يدل على بطلان قول المعتزلة فى ان
الفاسق يخرج من ملة الاسلام ولا يدخل فى ملة الكفر فانه لا واسطة
بين الايمان والكفر ومنها انه لا ينبغى للمؤمنين ان يشركوا بالله من شئ
بل ينبغى ان يخلصوا لله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قال اصحابه وما الشرك الاصغر يا رسول
الله قال الرياء ومنها ان الشيخ فى قومه كالنبى فى امته فارشاده
فضل الله عليه وعلى الناس ثم دعاهما يوسف الى الاسلام ليصل
الشر ابى الى سعادة الدارين والخبار الى سعادة الاخرة لئلا يكون ممن
خسر الدنيا والاخرة فقال يا صاحبى السجن يا ساكنيه كاصحاب
الجنة والنار فالاضافة من باب الاضافة الى المفعول به او يا صاحبى
فيه فالاضافة من باب الاضافة الى الظرف على الاتساع ثم ان يوسف

لما ادعى النبوة فى الاية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات الالوهية
شرع فى تقريرها وفساد عبادة الاصنام فقال ءَ اَرْبَابٌ جمع رب اى الآلهة
والاصنام وعبادتها مُتَفَرِّقُونَ متفرقة هذا من ذهب وهذا من فضة
وهذا من حديد وهذا اعلى وهذا ادنى وهذا اوسط كلها لا يضر ولا ينفع
ولا يدفع الضر عن نفسه فضلا عن غيره قيل ان راعيا كان يضع صنم فى
المخلاة ويعبده فى المفازة فبال الكلب فلما رأى ذلك انشأ يقول قطعة
اَرَبٍّ يبول الثعلبان برأسه • لقد ذل من بال عليه الثعالب • ولو كان ربا
كان يمنع نفسه • ولا خير فى رب يزدريه المطالب • برئت من الاصنام
والشرك كله • فامنت بالله الذى هو الغالب ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
فاسلم خَيْرٌ اَمِ اللّٰهُ وعبادته الْوَاحِدُ المتوحد بالالوهية لا شريك
له فيها ومعنى الاحد هو الذى لا تركيب فى ذاته والاستفهام بمعنى النفى
اى عبادة الرب الواحد خير من عبادة الارباب المتفرقة ثم انه دلهم بهذا
على ان الخالق واحد والمعبود واحد وان الالهة لا بد ان يكون بينهم
تفرق فى الارادات فانا ان يلزم العجز كلهم او بعضهم والعاجز لا يجوز
ان يكون الها وهو معنى قوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض وقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولان الالهة اذا تفرقت
لم يمكن ارضاء جماعتهم بالعبادة وارضاء الواحد يمكن بالمداومة على
عبادته والعمل بطاعته اَمِ الْقَهَّارُ الغالب الذى لا يعادله لا يقاومه
غيره مَا تَعْبُدُونَ ما نافية والخطاب لها ولمن على دينهما مِنْ دُونِهِ
من الالهة اِلَّآ اَسْمَآءً اى اشياء مسماة مجازا مرسل ذكر الاسم واريد
المسمى لان الاسم لا يعبد او المضاف مقدر اى الا ذوات الاسماء سَمَّيْتُمُوهَآ
الهة اَنْتُمْ تاكيد لصحة العطف وَاٰبَآؤُكُمْ ما نافية اَنْزَلَ اللّٰهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ اى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق

مستحقا نا

مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة لا معانى لها
من اله ورب والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاق الالهية عقل
ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اِنِ الْحُكْمُ
ما القضاء فيكم او فى امر العبادة بل فى جميع الاشياء اِلَّا لِلّٰهِ لانه المالك
للامر والمستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل
اَمَرَ بلسان انبيائه اَلَّا تَعْبُدُوٓا اِلَّآ اِيَّاهُ الذى دلت عليه الحج
ذٰلِكَ التوحيد الدِّينُ الْقَيِّمُ المستقيم والحق وانتم لا تميزون
المعوج عن القويم هذا الكلام من يوسف تدرج فى الدعوة والزام الحجة
اذ بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطاب
ثم برهن على ان ما يسمونها الهة لا يستحق العبادة فان استحقاق العبادة
اما بالذات وهو الواجب تعالى واما بالغير وهو ما امر وكلا القسمين
منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى
العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ اهل مصر لَا يَعْلَمُونَ
دين الله وهو الاسلام او ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب فيجبطون
فى جهالاتهم فلما سمع الشرابى والخباز كلام يوسف اسلما ومن الحصر
ان النصح اذا كان لوجه الله تعالى يكون اثر وازجر ومنها ان العبادة لا بد
وان تكون لله يعنى مع الاخلاص ومن الرياء روى عن بعض الحكماء انه قال
ينبغى للعاقل ان ياخذ الادب فى عمله من راعى الغنم قيل وكيف ذلك
قال لان الراعى اذا صلى عند غنمه فانه لا يطلب بصلوته محمدة غنمه كذلك
العامل ينبغى ان لا يبالى من نظر الناس اليه ويعمل لله تعالى عند الناس وعند
الخلاء بلا تفرقة بينهما ولا يطلب محمدة الناس ومنها ان الله تعالى قهار
وقهره انما يظهر بقهره الاقوياء دون الضعفاء فيرجى من لطفه ان لا يجعل
الضعفاء مظاهر قهره ومنها ان العبرة ليست باسم العبادة بل العبرة

بالحقيقه ومنها ان الجهل لس بعذر ولذا قال الامام ابو منصور لو تفكر الناس
فيه لعلموا وهذا يدل على ان العقوبة تلزم وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه
ومنها ان عبادة الله تعالى هو الصراط المستقيم كما قال تعالى فاعبدوني هذا
صراط مستقيم فينبغي للعاقل ان يتخذه سبيلا ويعرض عن الدنيا روى
ان ميمون بن مهران لقي الحسن البصري في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال
عظني فلم يزده على تلاوة الآية التي في سورة الشعراء وهي قوله تعالى افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون فقال ميمون لقد وعظت واتممت الوعظ فالحصة انه ينبغي للصحاح
الدولة والاموال لا يغتروا بها ولا يعتمدوا عليها بل لا بد لهم التوسل
بها الى الاخرة الباقية الدائمة الترهدية واذا اريد التفسير الانفسي
يراد بقوله اني تركت ملة قوم لا اظهار التوحيد من يوسف القلب الى قوة
المحبة والهوى وحثهما على القيام بالامر الالهي وترك الفضول والامتناع
عن تفرق الوجهة ونشتت الهم فان خاصية الهوى التفرق والتوزع
وتعدد الشهوات المختلفة للقوى المتنازعة وخاصية المحبة في البداية
وقبل الوصول الى النهاية التعلق بحسن الصفات والتعدد لها دون
جمال الذات فدعاهما التوحيد بقوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله اي المشركين العابدين للاوثان صفات النفس بل لوجود القلب وصفاته
وهم بالاخرة اي وهم عن البقاء في العالم الروحاني محجوبون وبقوله ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء وبقوله ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار اي اذا كان لكل منكما ارباب كثيرة كما قال تعالى شركاء متشاكسون
بامره هذا بامره وهذا بامره منما نفين في ذلك عاجزين اما للمحبة فكالصفات
والاسماء واما للهوى فكالقوى النفسانية اهذه خير ام رب واحد للامر
واحد قهار قوي يقهر كل احد لا يمانعه في امره شيء ولا يمتنع عليه واجبرهما

بالسياسة على توحيد الوجهة فان القلب اذا غلب عليه الوحدة
امتنعت محبته عن حب الصفات وانصرفت الى الذات واذا تمرن في
التوحيد انقمع هواه عن تعدد الحظوظ والشهوات والتفرق في تحصيل
اللذات واقتصر على الحقوق والضرورات بامر المحبوب لا بطاعة الشيطان
اعلم ان يوسف لما قرر امر التوحيد والنبوة عاد الى تاويل رؤياهما التي
سبق تقريرها فقال يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي
فيسقي ربه اي سيده وهو الملك خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود
الى ما كان عليه اذ ما رأيت من حسن الحبلة هو حسن حاله واما الاخر من
الثلثة فثلثة ايام توجه الملك اليك عند انقضائهن فيرد الى عملك
فتصير كما كنت بل احسن واما الاخر اي الخباز فيصلب اي يخرج
بعد ثلثة ايام من السجن اذ السلال الثلث اشارة اليه فيصلب فتاكل
الطير الطيور من رأسه من لحمه فقال كلاهما كذبنا ما رأينا شيئا
انما كنا نلعب او قال الخباز كذبت ما رأيت الرؤيا فقال يوسف قضي
الامر فرغ منه وقطع الذي فيه في معناه تستفتيان تسألان
رأيتما او لم تريا ه قلتما لي وقلت لكما فكذلك يكون والمراد بالامر ما يؤل
اليه امرهما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما اراد
استبانة عاقبة ما نزل بهما وروي ان الخباز قال ليوسف غير هذا التعبير
اعطك ثلثة الاف درهم قال يوسف ان الله لا يكذب قول نبيه وان النبي
لا يسئل اجرا وروي ان الخباز كان بخيلا فهلك والشرابي كان سخيا
فنجا وقال يوسف للذي ظن انه ناج منهما من الشرابي والخباز
قوله ظن يجوز ان يكون فعله للذي ويكون على حقيقة الظن انه رجا
بهذا التاويل ان يكون كذلك ويجوز ان يكون فعله ليوسف اي للذي
ظن يوسف انه ناج ويكون في معنى العلم واليقين كما في قوله يظنون

بالسياسة

انهم ملأوا الله لانه علم ذلك بتعليم الله اياه وكان لا يشك فيه
اذكرني حالي عند ربك ملكك اي صفني عند الملك بصفتي وقص
عليه قصتي لعله يرحمني فاني مظلوم فقال له في السجن غلام محبوس
ظلما حال حبسه ولعله ان ينظر في امري ويخرجني من السجن روي
انه بعد ما مضى ثلثة ايام امر الملك ان يصلب الخباز على الجذع ونصب
الشرابي مقامه الاول فسكر الشرابي من خمر الدولة فنسي تلك المواعدة
حيث قال تعالى فانسيه الشرابي الشيطان ذكر ربه ان يذكره
لربه فلم يذكره له فان قيل كيف يقدر الشيطان على الانساء قلنا ان
الشيطان يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشئ من اسباب النسيان
فلبث يوسف في السجن بقوله اذكرني عند ربك ونسيانه بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع وعن ابن عباس رض من الثلاث
الى العشرة وقال وهب لبث في السجن بعد ذلك ثلث سنين وكان لبثه
قبل ذلك سبع سنين فتمت عشر سنين روي ان جبريل اتاه في السجن
فلما راه يوسف عرفه فقال يا اخا المنذرين مالي اراك في منزل الخاطئين
فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب
العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين
فوعزتي لاطيلن سجنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو بعد ذلك
عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف
ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله
قال فمن البسك في البئر قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال
فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال ومن عصمك من القتل قال الله قال
ومن عصمك من الفاحشة قال الله فقال انه يقول فكيف وثقت بمخلوق
ورفعت حاجتك اليه ولم ترفعها الي قال يوسف كانه ذلتني قال يقول الله

عفوها

عفوها ان تبقى في السجن بضع سنين وفي رواية قال جبريل يقول
الله تعالى احسبت اني انسيتك في السجن حتى استغثت بغيري ادمي
مثلك وانا اقرب اليك واقدر على تخليصك لتلبثن فيه بضع سنين
قيل فيه دليل على ان الانبياء يعاتبون على الصغائر معاتبة غيرهم
على الكبائر وتلك الصغيرة غفلة بكلمة صدرت من يوسف عليه السلام
فالحصة انه لابد للعاقل ان يسئل الحاجات كلها من الله تعالى ولا يستعين
من غيره روي ان بعض العارفين دعا بعرفات وقال يا ربنا الناس
يطلبون منك ضروب الحاجات بانواع اللغات فتعطي ما سئلوا
وحاجتي لك ان تذكرني عند طول البلى اذا نسيني اهل الدنيا وروي
ان يوسف قال لجبريل ما حال ابي قال هو في بيت الاحزان كظيم قال لم
لحتبات قال هل له اجر من اجل همه والمه قال نعم له اجر تسعين شهيدا
قال الشيخ الامام الاجل ابو منصور الماتريدي رح لم يستعن يوسف
بغير الله وانما استعمل الاسباب كاستعمال العبد في معاشه الاسباب
التي هو بها متعبد من نحو المكاسب واخذ الاسلحة وسائر ما تعبد
المرء باستعمال تلك الاسباب فهو وان امره بالذكر عند سيده اتاه سببا لخروجه من السجن وهو معتقد بان الله هو المخرج لكن ربما يجري
على يدي ملكه فلذا قال اذكرني عند ربك وما به باس وبوجه آخر
انه كان اظهر رسالته في السجن فاحب ان يبلغ امره الى سيدهم
ليتدبر ان حابس نبيا رسولا فيخرجه حتى يبلغ رسالته اليه رجاء
اجابته منه حتى اذا اجاب هو اجاب اتباعه ولا تكون رسالته مقصورة
على اصحاب السجن بل تكون نافذة في القوم كلهم وربما وقع عند يوسف
ان سجنه من غير علم الملك فاذا اخبر بحاله اخرجه ليس هذا منه
استعانة بغير الله ولكنه اجتهاد لمصالح العيش كسائر المكاسب

وقال الامام البشاغري ره ويحتمل قوله اذكرني عند ربك اي اذكر علي
الذي علمني الله من تاويل الاحاديث وحكم الرسالة لعله يرغب
فيخرجه من السجن حتى يتخلص ويجوز شفقته منه عليه اذ هو كان
عالما بان الفراعنة المتقدمين كيف اهلكوا بضيعهم على الانبيا
فاحب ان يقف على حاله فيخرجه لتزول محنته فلا يهلك
كما هلك من تقدمه من معذبي الانبياء ودليل انه لا يجوز صرف
الآية الى استعانة يوسف بغير الله انه لو كان هكذا لم يتكلف الشيطان
انساءه اذ الاستعانة بغير الله من غير رؤية تسبيب الله اياه شرك
والشيطان يعين على اقامة الشرك فلما انساه علم انه يذكره التوحيد
ويجعله رسولا الى الملك باخباره عن دينه الخالص لله فاحب الشيطان
ان لا يعلم الملك من حاله ودينه فيجيبه فانساه وحقيقة الانساء
من الله اذ هو المقدر لكنه اضيف الى الشيطان لان القباح تضاف
اليه لتكلف في تحصيلها وقد يضاف الشئ الى متكلفه وان لم يكن
هو المحصل في الحقيقة وما روى في الخبر ان جبريل قال للرفي السجن
يقول الله تعالى اما استحييت حتى استعنت بغيري فقد حكمت عليك
بالسجن بضع سنين وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي يوسف لو لم يستعن بصاحب السجن لما اغاث عليه باب السجن
ساعة ان صحت هذه الاخبار فانا لا نشهد عليها بصحتها اذ ليس
في القران شاهد لهذه الاخبار فان صحت فمعناها انه عوتب
بالتقصير في التقصير في الدعوة كان الكلام في دعوة قصيرا لم يقف
عليه الذي نجا من السجن وتوهم انه يستعين بسيده وان كان هو
محملا اياه رسالته اليه في التوحيد فعوتب انك لم تشرح عليه الكلام
فقصرت الدعوة لانك اخطات موقعها دليله قول جبريل بان الله

عنك

عنك راض بعد سجنك بضع سنين ولو كان في باطنه وظاهره مستعينا
بغير الله لم يكن الله عنه راضيا واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يوسف
حيث حمل الناجي من السجن دعوة حملها غير مكشوفة حتى فهم منه الناجي
الاستعانة بسيده لتخليصه واخراجه فعوتب لقصور الدعوة للخطا
من جهة الاستعانة ومعنى قوله عليه السلام لو لم يستعن لو لم يتكلم
بكلمة الاستعانة وان لم يكن مستعينا في الحقيقة اذ الانبياء كانوا
مطالبين بافضل الاعمال واشرفها واطيب الكلمات واحلاها
والله الموفق كذا ذكره النسفي في التيسير ومن الخصص ان الله تعالى لا يكذب
نبيه يوم القيمة فمن يشهد له النبي صلى الله عليه وسلم فهو اهل السعادة
عند الملك المتعال كالشراتي ومنها ان التسخي يجود والبخيل يهلك قال الله تعالى
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومنها ان عبارة
يوسف رؤياهما كانت غيبا يجب الايمان به اذا اخبر النبي به فلا بد
للمؤمن ان يؤمن بالغيب الذي يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان الشراب
والخباز كانا عبدين للملك فحبسا في السجن ثم اخرجا فاحدهما صار
مقبولا والاخر مصلوبا فكذلك عباد الله بعد ما حبسوا في سجن القبر
يخرجون يوم القيمة فمنهم من يكون في جنات ونهر ومنهم من يكون في عذاب
وسعر كما قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير ومنها ان الرؤيا
وجدت من كل منهما وهي امر واحد وحكم رؤياهما مختلف فكذا الطاعة
من حيث هي واحدة يقبل من واحد ولا يقبل من آخر روي عن عامر بن
عبد الله انه كان يصلي في يوم وليلة الف ركعة وكان يجتهد كثيرا
فلما دنت وفاته بكى فقيل له ما يبكيك قال آية في القران وهي قوله تعالى انما
يتقبل الله من المتقين فلا ادري تقبل العبادة مني ام لا فجعلت التقوى

شرطا لقبول العبادة فكما لا تصح الصلوة الا بالطهارة لا يصح العبادة الا
بالتقوى لانه قدوس لا يصعد اليه الا الاعمال المقدسة ومنها ان جزاء الزلات
للانبياء يكون في هذه الدنيا لانه اذا احب الله عبدا عجل عقوبته ليطهره
من ذلك فالويل لمن اخر جزاءه الى يوم القيمة ومنها ان للانبياء والاولياء
ملكا قويا وهو الله تعالى فينبغي ان يطلبوا منه العون لا من المخلوق العاجز
ومنها ان بعض اهل الاشارة قال ان قوله اذكرني عند ربك اثنى عشر حرفا
فلبث بكلامه هذا في السجن اثني عشر سنة وان قولنا بسم الله الرحمن الرحيم
تسعة عشر حرفا فمن يتكلم به يخلصه الله تعالى عن زبانية النار وعددهم
تسعة عشر كما قال تعالى عليها تسعة عشر واذا اريد التفسير الانفسي يراد
بقوله اما احدكما فيسقي ربه تعيين شان قوة المحبة بعد السياسة بالمنع
عن الشرك وهو تسليط حب الذات على الروح ويراد بقوله واما الاخر فيصلب
بيان لما يؤول اليه امر الهوى وصلبه منعه عن افعاله بنفسه ومنعه عن مقتضاه
وتثبيته وتقريره على جذع القوة الطبيعية النباتية وذلك هو اماتة الهوى
فتاكل بعدها طير قوى النفس عن رأسه بامر الحق وهو الوقوف مع الحقوق ويراد
بقوله قضي الامر اي ثبت واستقر امركما على هذا وذلك وقت وصوله
وتقربه من الله واوان ظهور مقام الولاية بالفناء في الله فاذا تم له الفناء استوى
امر القوتين وانتهى زمان الخلوة بابتداء زمان البقاء بالوجود الحقاني لكن لم يتم
بعد وجود البقية المشار اليه بقوله اذكرني عند ربك اي طلب الوجود في
مقام الروح بالمحبة والاستقرار فيه فان المحبة اذا اسكرت الروح بخمر العشق
ارتقى الروح الى مقام الوحدة والقلب الى مقام الروح فيستقي الروح في ذلك المقام
خفيا والقلب سرا وهو ليس بالفناء لكونهما موجودين مع معمورين بنور الحق
ومن الوقوف في هذا المقام ينشأ الطغيان والانانية فلذا قال انسيه الشيطان
ذكر ربه اي انسى شيطان الوهم المقهور المحجوب عن جناب الحق رسول المحبة

المقرب

المقرب عند ارتفاع درجته واستيلائه واستعلاء سلطانه والتحير
في الجمال الالهي والسكر الغالب ذكر يوسف القلب في حضرة الشهود لان
المحب الشاهد للجمال حيران ذاهل عن الخلق كله وتفاصيل وجوده بل نفسه
مستغرق في عين الجمع حتى يتم فناؤه وانقضى سكره ثم يرجع الى الصحو فيذكر
التفصيل اعلم انه روي ان مدة اللبث في السجن لما انتهت ضاق على يوسف
وقته فليلة بكى ورفع راسه الى السماء وقال يا ربنا انت المعبود وانا العبد
وانت الخالق وانا المخلوق وانت العزيز وانا الذليل اسئلك بحق ابرهيم
خليلك وبحق اسمعيل في بيحك وبحق يعقوب اسرائيلك ان تعينني
وترحمني يا ارحم الراحمين فاذا هو بشاب جميل نقي الثياب بين يديه يقول
له السلام عليك يا يوسف فزده وقال من انت ومن ادخلك السجن فوالله
ان جدار الحصين وبابه لوثيق ينبغي لمثلك ان يحبس قال انا الروح الامين
ورسول رب العالمين قال يوسف يا اطيب الطيبين وراس المقربين ورسول
رب العالمين ما ادخلك مدخل المذنبين ومنزل الخاطئين وقال جبرئيل
كيف يكون منزل الخاطئين وانت فيه يا اطهر الطاهرين وقرة عين الصديقين
قال يوسف تشبهني بالصالحين وتعدني من الصديقين وقد ادخلت
مدخل المذنبين وشبهت بالظالمين وحبست في سجن المجرمين قال جبرئيل
بحبك رب العالمين وصبرك على كيد المفترين سماك من الصديقين
والحفك بابائك الصالحين واوجب لك ثواب الصابرين وهذا وقت
فك عتقك وزوال رقك وتصديق رؤياك ويهب الله لك مصر ويلقي
لك المودة في قلوب اهله ويزكيك ربك حتى يبلغك برحمته ما بلغ
آباءك الصالحين ويرى الملك الرؤيا فيفزع منها وتعبر انت رؤياه عليه
وابشر ايها الصديق انك صفي الله وابن صفيه وابن خليله وبين له تمام
الرؤيا تأويلها وانصرف عنه فلم يلبث يوسف في السجن الا ذلك اليوم

فلما جن الليل نام الملك فرأى تلك الليلة رؤيا فلما اصبح جمع ملأً عظيماً
من قومه فقصها عليهم كما قص الله تعالى وقال الملك رتان اني ارى
رايت في المنام سبع بقراتٍ سِمانٍ جمع سمين او سمينة وتلك
خرجن من نهر يابس او نهر مصر ثم خرج من بعدهن سبع بقرات عجاف
يأكلهن اى البقرات السمان سبع عجاف مهازيل فابتعلت الهازيل
السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيئا وسبع سنبلات خضر
قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا آخر يابسات قد ادركت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها يا ايها الملأ اشراف
الناس والمراد عارفوه ومنجموه وكهنته وسحرته افتوني في رؤياي
عبروها وفسروا الى رؤياى ان كنتم للرؤيا اللام للبيان او لتقوية
العمل فان الفعل بتأخيره عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل
تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية
الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة ومن الحصص
ان يوسف لما قرب فرجه دعا وقبل الله دعاءه ولم يدع قبل ذلك لانه
ما جاء وقت الاجابة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان
يجري حكما من احكامه عقد لسان عبده ومنها ان يوسف طلب الخلاص
من السجن باظهار انه نسيه الشيطان فلما جاء وقته جعل الله تعالى رؤيا الملك
سببا ومنها انه كان ابتداء بلاء يوسف في رؤيا رآها فاظهرها فجعل الله
سبب نجاته ايضا في رؤيا راها الملك واظهرها ليعلم الجميع ان الله تعالى
ما يريد ومنها ان من عادة الله تعالى اذا اعطى نبيا معجزة يكون الاكمل من
جنسها اكثر فكان معجزة يوسف عبارة الرؤيا والمعبرون في زمانه كانوا
اكثر كما ان في زمان نوح كان السباحون اكثر وفي زمان موسى كان السحرة
اكثر وفي زمان عيسى كان الاطباء اكثر وفي زمان نبينا صلى الله عليه وسلم

كان

كان الفصحاء اكثر واذا اريد التفسير الانفسي يراد ان يوسف القلب لما
انتهى فناؤه بالانغماس في بحر الهوية وانقضى زمان السجن احياه الله تعالى بحيوة
ووهب له وجودا من ذاته وهو الملك فاراه صورة التبديل في صفات النفس مدة
اعتنى له عنها بالخلوة والسلوك في الله بصورة اكل البقرات العجاف السمان
وفي صفات الطبيعية البدنية استيلاء السنبلات اليابسات على الخضر
اعلم ان الملك لما رأى ما رأه قلق بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف استولى
على الكامل القوي فتنبهت فطرته بان هذه الرؤيا صورة شر عظيم في مملكته
فاشتاق ورغب في تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع المعبرين من العلماء
والحكماء ثم انه تعالى اعجز المعبرين الذين حضروا عنده ليظهر شرف يوسف
ويكون سببا لخلاصه من السجن كما قال سبحانه عز وجل قالوا اى الملأ اضغاث
احلام خبر مبتداء محذوف والاضافة بمعنى من اى هذه اضغاث من احلام
اى تخليطها واباطيلها والاضغاث جمع ضغث واصله ما جمع من خلاط
النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام
وسكونها الرؤيا باطلا كان او حقا وقد يخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام
الباطل كما في قوله عليه السلام الرؤيا من الله والحلم من الشيطان واير اد لفظ
الجمع مع كون رؤياه واحدة للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان او لتضمنه
اشياء مختلفة متباعدة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون
بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل
للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله فاللام في الاحلام
للعهد والمعهود ما صرحوا به من قولهم اضغاث احلام كانهم قالوا الاحلام على
قسمين منها ما يكون منتظمة ومنها ما يكون مختلطة اخبروا انهم غير عالمين
بتعبير الثاني وان جهله ليس بشين ولا حكم له قال وهب فلما لم يدر الملأ
تأويلها وعجزوا قالوا ايها الملك ان الاحلام ليست تصدق كلها واكثرها

كذب ونحن نرجو ان يكون حلمك اضغاثا ومن ذا الذى يخاف ان يدخل
عليك فى ملكك وسلطانك اعز من ذلك وخولك اكثر ورجالك اقوى
واحفظ عليك وكان الشرابى الذى كان مسجونا مع يوسف واقفا على رأسه
فتذكر يوسف فقال ايذن لى ايها الملك ادخل سجنك وائتك منه بتاويل
رؤياك فان فيه رجلا عليما حكيما من آل يعقوب فان يك عند احد من اهل
الارض علم من رؤياك فهو عنده فان الناس اليوم يقولون انهم لم يروا مثله علما
وحلما وحكما وقد كنت انا وصاحبى الذى قصصته وكنا رأينا فى السجن
حلما فعبر لنا وصار كما قال اما انا فنجوت واما صاحبى فقتل فارسلنى
اليه آتك بتاويل رؤياك وأفرج عنك هذا الغم فقال الملك لئن
فعلت ما تقول لاكرمنك ولاعطينك مالك من العز والشرف فانطلق
هذا معنى قوله تعالى وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن وهو الشرابى
واذكر بدال مهملة وذال معجمة اصله اذتكر اما حال من الموصول او عطف
على نجا او اعتراض بعد امة بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة
طويلة يعنى سبع سنين وقرئ إمة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم
عليه بالنجاة وامَهٍ مخففا مصدرا اى نسيان ومقول القول قوله
انا انبئكم اخبركم وقرئ آتيكم بتاويله بتعبير ما رأيته من الرؤيا
باخذى اياه من عند من يعلمه فارسلون ارسلنى ايها الملك الى من عنده
علمه او الى السجن وانما خاطبه بلفظ الجماعة للتعظيم لان الملوك
والكبار يخاطبون به فارسله الملك فانطلق حتى دخل على يوسف فى السجن
فاعتذر اليه بما انسيه الشيطان ذكر ربه وعظم يوسف فاخبره بخبر
الملك وقص عليه رؤياه وقيل لما استعبر الملك فعجز واتذكر الشرابى
يوسف وتعبير رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه ان يذكر عند ربه فقال
ايها الملك ان رؤياك لا يعلم تاويلها الا العلام العبرانى المحبوس

فتغير

فتغير وجه الملك فقال انى ما ذكرته منذ سنين قال الشرابى انا
مثلك وقال الملك اذهب فذهب ودخل عليه ووضع كمه على
وجهه استحياء منه فقال يوسف ارفع كمك فان الشيطان انساك
فقص عليه رؤيا الملك فعبرها له يوسف كما حكى الله سبحانه يوسف
يا يوسف ايها الصديق ايها البليغ فى الصدق انما وصفه به وهو
المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه ولم يجر عليه كذب
افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اجبنا فى تلك الرؤيا التى رآها
الملك لعلى ارجع الى الناس بفتويك اى اعود الى الملك من عندك
او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون
تاويلها فانهم غير عالمين به او فضلك ومكانك فيخرجوك من السجن
من السجن وانما لم يبت الكلام فيها لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما
يموت قبل الرجوع او فى الطريق ولا من علمهم قال الامام ابو منصور
الماتريدى فى قوله لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يحتمل وجوها
يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة وليست كما قالوا انها اضغاث
احلام ويحتمل يعلمون فضلك على غيرك من الناس ويحتمل يعلمون انك
تصلح لحاجاتهم فيرفعونها اليك كما صلحت لتعبير رؤياهم انتهى فعبرها
يوسف وهو فى السجن فقال اما السبع البقرات السمان فهى سبع سنين
مخصبات واما السبع العجاف فهى سبع سنين شداد واما السبع السنبلات
الخضر فهى كثرة الزرع فى ارض مصر واليابسات هى القحط وسيجئ تفصيله
ومن الخصص ان الحلم لعب الشيطان فى النوم وكذا الاحتلام والصبى
محفوظ من الشيطان فاذا قرب البلوغ يبتلى ببلائه بالاحتلام فالشيطان
يلعب بابن ادم اولا فى النوم بالاحتلام وفى اليقظة بالشهوة ومنها

ان جوابهم كان على مقتضى العقل حيث لم ينسبوا الجهل الى انفسهم ولم يقولوا
للملك لا عبرة لرؤياك ولكنهم قالوا فى حق الحق باطلا وهو مذموم ولذا قال
صلى الله عليه وسلم اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل
باطلا وارزقنا اجتنابه ومنها ان من عادة المعاندين ان يطعنوا العلم الذى
لا يعلمونه كما ورد ان المرء عدو لما جهله فكتموا جهلهم بالطعن فى رؤيا الملك
ومن عادة المتصفين ان يعترفوا بعدم علمهم سئل عالم مسئلة قال لا اعلم
قيل له هل يضع لمثلك ان يقول هكذا قال ان ملائكة الله قالوا لا علم لنا
وسئل عن ابى حنيفة بعض المسئلة فقال لا اعلم روى عن على رض انه قال سلونى
عما اعلم وعما لا اعلم قالوا لم نسئلك عما لا تعلم قال حتى اقول لا اعلم ويكون
تعليما لمن لا يعلم ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم ومنها ان الله تعالى افرد يوسف
من بين الناس بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله سبب بلائه
وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره ولهذا قيل العلم يعطى
وان كان ينظى ومنها اهل التسجين رأوا فى المنام ان يوسف جلس على السرير
ولبس التاج فعرفوا ان له دولة وخرجوا من عندهم فبكوا على فراقه فللعاقل
ان يعرف قدر صحبة الصلحاء ويبكى على فراقهم واذا اريد النفسيس الانفس
يراد بالملإ الذين قالوا اضغاث احلام هى القوى الشريفة من الفكر والعقل
المحجوب بالوهم والوهم نفسه المحجوب عن سر الرياضة والتبديل كما ترى
المحجوبين بها يعدون احوال اهل الرياضات من الخرافات ورسول المحبة
الذى اذكر بعد امة انما تذكر بواسطة ظهور ملك روح القدس وانجاته
واراءته تفاصيل وجوده بالرجوع الى الكثرة بعد الوحدة اعلم ان يوسف
لما عبر الرؤيا ارشدهم الى مصلحتهم وتدبيرهم فى هذا الامر حيث حكى الله
قال تزرعون تحرثون فهذا الكلام نصيحة خارجة عن عبارة الرؤيا
سبع سنين زراعة متوالية فى هذه السنين دأبا بتحريك الهمزة

وسكونها وهو حال من المأمورين بمعنى دائبين بجد واجتهاد على عادتكم
المستمرة فى الزراعة او مفعول مطلق لفعل مقدر اى تأدبون دأبا والجملة
حال وقال الرازى خبر فى معنى الامر تحريضا منون بالله واليوم الاخر والدليل
على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله والمعنى ازرعوا اخرجه فى صورة الخبر
مبالغة لقوله فما حصدتم ما قطعتم من الزرع فذروه فى سنبله
اتركوه فى كعبره فلا تدوسوه ولا تذروه لانه ابقى له لكم لكى لا يأكله السوس
الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين فلا بد من دياسته وتذريته
وتنقيته ثم يأتى من بعد ذلك بعد ما مضى سبع سنين فى الخصب
سبع سبع سنين شداد صفة سبع اى سبع سنين مجدبة فيها الضيق
والشدة يعنى القحط يأكلن يأكل اهلهن اسند الى السنين على المجاز لان
اكل الناس يكون فيها ووجه آخر ان معناه يفنين كقولهم اكلهم الدهر اى
افناهم ووجه اخر انه لما كان فى الرؤيا سبع بقرات عجاف كان سبع بقرات
سمان وكانت البقرات مثلا للسنين اخرج الجواب فى العبارة مطابقا للفظ
السؤال مراعاة للبلاغة ما قدمتم لهن ما ادخرتم لاجلهن مما كان حصل
فى ايديكم من فضل ما زرعتموه فى السبع الماضية الا قليلا مما تحصنون
تحرزون فى الحصن لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك القحط عام فيه
يغاث الناس يعطون الغيث يعنى يمطر الناس اذا الغيث المطر وقيل يعطون
الغوث يعنى يغاثون ويخلصون من القحط وفيه فى ذلك العام يعصرون ما يعصر
كالعنب والزيتون والسمسم لكثرة الثمار فهو بيان كثرة النعم وانتفاع الناس
بها وقيل يحلبون الضروع وهذه بشارة من يوسف بشرهم بها بعد ان اول
البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى
السنين المجدبة ولعله علم يوسف ما بشره بالوحى او بان انتهاء الجدب

وسكون

بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم
ومن الحصص ان الله تعالى ذكر من هذا الساقي ادبا فانه لم يذهب الى السجن للسؤال
الا باذن الملك فلا بد للخادم ان يستاذن من المولى ومنها انه تعالى ذكر من
يوسف كرما فانه عجل جواب سؤاله ولم يعاتبه على ما كان منه من نسيانه انظر
الى صبره وكرمه فانه لم يقل اخرجوني من السجن لا فسر المنام الذي عجز علماؤكم
عن تفسيره ومنها ان يوسف زاد على العبارة حيث دلهم على الخير وارشدهم
الى المصلحة في العاقبة فلا بد للعالم ان ينصح الغير ويرشد الى الخير وانه يرى المآل
كما يرى الحال ومنها انه لا بد للعاقل ان يدخر من الاعمال والزاد للاخرة ومنها ان
البشارة امر مستحب فان الانبياء مبعوثون للتبشير كما انهم مبعوثون للانذار
واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالزراعة سبع سنين العمل في ايام الصحة وان
يدخر حاصل عمره للاخرة وان يصرف قليلا الى الاكل او نبعد الخصب ايام شداد
من زمن المرض والموت ثم يأتي بعد ذلك فرج من الله تعالى روى ان رجلا قال
لعالم عظني موعظة جامعة قال من ضيع ايام حراثته ندم ايام حصاده اعلم
ان الساقي لما سمع من يوسف عبارة الرؤيا ورجع الى الملك واخبره بالذي
ذكره يوسف استحسنه الملك وانكشف عنه كربه وحزنه فطلب ان يحضر
وقال ائتوني بهذا الرجل الحليم العليم اكرمه واشرفه وارفع منزلته مني فانه ليس
مثله بصنيع ويهاون ولا يعذب كما قال الله تعالى وقال الملك ربان ائتوني به
احضروا يوسف فلما جاءه الرسول اتى الساقي الى يوسف ليخرجه
واخبره بذلك وادى رسالة الملك قال كيف ارجو كرامته وقد لبثت
في سجنه عشر سنين وهو يعرف عذري وبراءتي فلم يرحمني ولم ينصرني
ولم ينصفني ممن ظلمني لا آتيه ابدا حتى يجيء النسوة اللاتي كدنني وافترين
علي وظلمنني فيوبخهن بكيدهن ومكرهن ويقررن له بذلك على انفسهن
ويبرئني ببراءتي وعذري قال وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحم الله

رحم الله اخي يوسف اذ دعي الى الخروج من السجن فلم يفعل انه كان
لحليما ذا اناة ولو كنت انا المحبوس لبادرت الباب فالحاصل ان يوسف
ابى ان يخرج من السجن الا بعد ان يتفحص الملك عن حاله مع النسوة كما قال
الله تعالى قال يوسف للساقي ارجع الى ربك الى سيدك ربان فاسأله
ربك ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما ابى في الخروج وقدم
سؤال النسوة وتفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما
فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وقال ابن عباس رض لو خرج
يوسف لم يزل في قلب الملك منه شيء فان قيل لم قال فاسأله ما بال النسوة
ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن قلنا فاسأله ما بال اه تهييجا على
البحث وتحقيق الحال وذلك ان فعل السؤال على بكلمة ما التي للسؤال
عن الحقيقة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن من
حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشيء قيل انه لم يتعرض
لن ليخا مع انها ضعفت به من الجد في دخوله السجن كرما ومراعاة للادب
ولذا اقرت زليخا بذنبها بقولها انا راودته ومن الحصص ان العلم سبب
النجاة والعزة ومنها ان كمال العقل يقتضي الصبر باظهار الفضل الا بعد
الحبس سنين لم يستعجل في الخروج ومنها انه ينبغي للعاقل ان يجتهد في نفي
التهم ويتقي مواقعها قال عليه السلام اتقوا مواضع التهم وفي رواية من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقف مواقف التهم ومنها ان الصبر محمود
وصاحبه ممدوح ولهذا قال تعالى وبشر الصابرين الاية ومنها ان الكريم يقتضي
ان يحسن الى المسيء ولا يهتك ستره ومنها ان زليخا كانت احبته وانعمت
عليه فيوسف لم يرض الشكاية عنها ومنها ان زليخا اتهمت بسبب حبه
فلم يرض يوسف ان يذكر تهمتها مرة اخرى فالله تعالى لا يرضى ان يفشي
عيب عبده يوم القيمة ومنها ان يوسف لم يرض ان يخرج من السجن معيبا

فينبغى المؤمن ان لا يرضى بالخروج من سجن الدنيا بعيب الذنب ومنها
ان يوسف بذل علمه ولم يطلب العوض والخروج ومنها انه تسلى نفسه
بانه وقع فى مكر النسوة وبان الله تعالى بمكرهن عليم وهو برئ من التهمة
ولهذا قال ان ربى الله بكيدهن عليم قيل اراد به سيدى
وهو العزيز اى ظاهر عند العزيز فاحبت وضوح ذلك عند الملك الاعظم
ايضا واذا اريد التفسير الانفسى يراد بالملك العقل المعاد وهو يطلب
حضور يوسف القلب وهو لا يرضى به الا بعد ان تبين ان النسوة اى
القوى النفسانية اضلته فان مكرهن عظيم اعلم ان الشرابى لما رجع
من عند يوسف الى الملك واخبره بما قال ارسل الى النسوة وجمعهن ثم
سالهن كما حكى الله تعالى قال الملك لهن ما خطبكن ما شانكن وحالكن
والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
هل وجدتن منه ميلا وليكن الخطاب للنسوة اولزليخا والجمع للتعظيم
قال وهب قال لهن ما حملكن على ما فعلتن بيوسف اذ ما لأتن عليه
سيدته وامرتنها ان تسجنه وتهينه وتعذبه ودعوته الى نفسكن
فلما ابى واستعصم قلتن فيه الكذب والزور قلن اى النسوة تعجبا
من عفته وصيانته حاش لله معاذ الله تنزيه له وتعجب من قدرة
على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب ولقد قلنا
فيه الكذب والزور انه لهو البرئ التقى النقى المكذوب عليه المظلوم
فلما رات امراة العزيز ان النسوة شهدت عليها اعترفت بذلك فذلك
قوله تعالى قالت امراة العزيز زليخا الان حصحص الحق ظهر
الحق وزالت الشكوك عنه انا راودته عن نفسه يوسف وانه
لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى وهذا من بركة علم
يوسف وطهارته وصدقه فكل من عمل بعلمه وتشبث بذيل الصدق

ينجو من سجن الدنيا وسجن القبر ولما عاد الشرابى الى يوسف واخبره
بما جرى بين يدى الملك من شهادة النساء قال ذلك اى التثبت فى
التسجن ليعلم العزيز انى لم اخنه فى امراته بالغيب بظهر الغيب
وهو ظرف فاذا ظهرت براءتى عند العزيز ظهرت عند غيره وعند
الملك وقيل اى ليعلم الملك انى لم اخن الملك لان خيانتى لخازنه
وخادمه خيانة له وان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده او لا يرضى او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل
على الكيد مبالغة فيه وهذه الجملة عطف على قوله لم اخنه وفيها
تعريض زليخا فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه
بقوله وما ابرئ نفسى لا ازكى نفسى مع براءتى من هذه الخيانة
وقيل لا انزهها من الخطأ والزلل وانما قال هكذا تنبيها على انه لم يرد
بذلك تزكية نفسه والعجب لحاله بل اظهارا لما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق ان النفس جميع النفوس البشرية لامارة كثيرة الامر
والدعوة بالدعوة بالمعاصى وشهواتها ونهمتها يعنى من حيث
انها مائلة الى المعصية والشهوات فتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح
فى اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربى كلمة ما مصدرية والمصدر المؤول
فى محل النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء فى كل
الاوقات الا وقت رحمة ربى او موصولة على انه مستثنى من المستتر فى
امارة والتقدير الا ما اى نفسا رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك
وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحم ربى يسلم عن طاعتها ان ربى
غفور يغفرهم النفس ويستر عيوب عباده رحيم يرحم من يشاء
بالعصمة وبمواصلة البراهين والتنبيهات وفى كتاب عصمة الانبياء
فى قوله قال ارجع الى ربك ان يوسف عم اظهر السكينة والوقار فى الخروج

من السجن لاكالضجر القلوق اذا وجد الخلاص بادر للخروج ليتميز الراضي
بالقضاء والمسلم للحكم والمفوض للقدر من الساخط المتسوم المكاره
والثاني جرى على انتظار الوحي لئلا يكون مستبدا برايه والثالث
انه علم استخلاص الملك اياه فاحب ان لا يبقى اثر تهمة من تلك الحادثة
التي كانت جرت حتى ينظر اليه بعين الامانة وبعده من اهل الضيانة
فيصفو له استخلاصه قال اهل الاشارة وكذلك حكم الامانة والصيانة
عند مالك الملوك من ظهر ثامنه جعله من خاصة واستخلصه لذاته
وقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو كنت انا مكانه
لبادرت الباب اي ما كنت منتظرا للعذر بل كنت ارى الادخال والاخراج
من الله فتكلم عن مقامه من الفراغ عن الافكار في المخلوقين مدحا منهم
وذما وان كان ليوسف هذا المقام لكن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اعلى واكمل فليس هذا منه عيبا على يوسف وانما هو ابانة لمقدار
لمقدار وسع يوسف في التسليم للحكم والثاني ان يوسف احب ظهور
براءته ونظافته ليكون زوج المرأة ملاحظا له بعين الاجلال لا بعين
الاستثقال كالمسجون من جهة انسان يخرجه السلطان لحاجته
اليه وخصمه كاره لخروجه فالخارج من السجن يكون قلبه متقسما
وخاطره متوزعا بما يتفكر من استثقال خصمه وكراهته لخروجه
واحتياله ثانيا للاعادة الى السجن اذا اخرج بغير رضاه فاراد ان
يكون خاطره لاقامة ما يفوض اليه من الامانة بغير تشويش يقع
في فكرته ولانه كان كريم بن الكريم وكان لا ينكر صنايع زوج المرأة
فاحب ان يصفو قلبه اذا خامره بشئ من مقالات امرأته بظهور صفوة
مشاهدة وهذا في المروة والانسانية مندوب اليه وما قاله الرسول
صلى الله عليه وسلم فهو من اعلى درجات العبودية واشرف مقامات

الاكتفاء

الاكتفاء بالله بارضاء عباده عنه من غير تكلف وكل جرى على ما كشف
له وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فيه دليل على ان الخصم يحب
ارضاؤه وان كان الله عنه راضيا وان ارضاءه باظهار ما جرى بينه
وبين الخصم فاحب ان يرضى الرجل فلا يدا خله شئ من حديثها تكرما
من يوسف عليه واستعظاما لحقه وقوله وما ابرئ نفسي الاية ابانة
منه ان امتناعه عن اجابتها لم يكن من قوة نفسه وانما الحول والقوة بالله
وقوله الا من رحم ربي اي لو تركت انا وطبع البشرية لكنت عاملا بطبعي
كما عملت هي لكن لما اقيم مقام العصمة عامله الله بالرحم فزالت طباع
النفس الامارة بالسوء وهو ذكر منة الله تعالى عليه في التوفيق
والعصمة واقامته مقام العز الذي يترا اي للناس انه عزيز وفيه
دليل على ان معاملة الناس على الاستقامة مستتبع الرفعة والعز والثناء
الجميل وذلك نعمة من الله وليس بنقص في مقام النزاهة والصفوة
وان الاستقامة في المعاملة افضل منها في الخلوة ذكره النسفي رحمه
ومن الحصص ان الملك عاتب النسوة لاجل يوسف وكان ذلك
عناية له ولذا قيل العناية الازلية هي الكفاية الابدية ويقرب من
هذا ما قيل عناية القاضي خير من مائة شاهد ومنها ان زليخا لم تكن
متناهية في محبة يوسف في الابتداء فجعلت ذنبها عليه فقالت
ما جزاء من اراد باهلك سوء فلما تناهت في محبته اقرت بالذنب
على نفسها فقالت الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه والمتناهي
في الحب لا يبالي بانهتاك الستر وظهور ذكره الشبري قدس سره
ومنها انه لم يرد افتضاح زليخا او النسوة والعقوبة بل اراد به براءة ساحته
فلا بد للعاقل ان يتفكر في مثل هذه الحالة ويعمل بما عمله ذلك الكريم ومنها
ان يوسف اراد به شكر الله بان عصمه تعالى اذ تنبه مما وقع منه من الغفلة

كما روى عن انس بن مالك رض ان الله تعالى اوحى الى يوسف لقوله للشرابي
اذكرني عند ربك كما مر تفصيله ومنها ان يوسف لم يرض الخيانة في حق
المولى المجازي فينبغي للعبد ان لا يخون المولى الحقيقي ومنها ان الله تعالى
لا يهدي كيد الفاسقين وكيد اهل الرياء كما لا يهدي كيد الخائنين كما مر
ومنها ان زليخا لما اعترفت بذنبها طلقها العزيز وهذا في الصورة
فراق وفي المعنى وصلة اذ به وصلت الى يوسف فكذا الموت فراق صورة
ووصلة معنى والصدق يوصل الطالب الى مطلوبه ومنها ان زليخا
قالت في حق يوسف كلمات ثلث احديها قولها الآن حصحص الحق والثانية
قولها انا راودته عن نفسه والثالثة قولها وانه لمن الصادقين فاعطاها
الله تعالى ثلث فضائل المعرفة والعزة والوصلة وكذا يعطي الله المؤمن
المعترف به فضائل كما قال تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون ومنها ان تزكية النفس منهي عنها كما قال تعالى فلا تزكوا
انفسكم ولذا قال يوسف وما ابرئ نفسي وقال آدم وحوا ربنا ظلمنا
انفسنا ولذلك تاب الله عليهما ومنها ان النفس لامارة بالسوء
فلا ينبغي للمؤمن العاقل ان يحسن اليها روي ان واحدا من الصلحاء
كان ياكل خبز الشعير والملح ولا يتناول غيرهما وسئل عنه فقال ان
نفسي لا ترحمني فان رحمتها تصيب الضرر الي فهي اعدى عدوي
فلا ينبغي ان احسن اليها واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقول النسوة
وامراة العزيز تنور النفس والقوى بنور الحق واتصافها بصفة الانصاف
والصدق وحصول مكة العدالة بنور الوحدة وظهور المحبة حالة
الفرق بعد الجمع وكمال طمانينة النفس لاقرارها بفضيلة القلب وصدقه
وذنبها وبراءته فان من كمال اطمينان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها
عما فرط منها حال كونها امارة وتمسكها بالرحمة الالهية والعصمة الربانية

اعلم

اعلم ان يوسف لما لم يبا الخروج من السجن حتى يظهر براءة ساحته
وظهر ذلك زاد حبه في قلب الملك فاراد ان يجعله خاصة نفسه كما حكى
الله تعالى فقال وقال الملك ريان وقيل اي ملك مصر وهو الوليد بن ريان
بعد هذا كله ائتوني به جيئوني بيوسف استخلصه لنفسي اجعله
لنفسي دون غيره وافوض اليه امور مملكتي لما ظهر من علمه وصلاحه روي انه
بعث اليه لباس الملوك وتاج الملوك فلبس الثياب وارسل اليه سبعين حاجبا
وسبعين مركبا لاستحضاره فلما خرج ليركب قام اليه اهل السجن يبكون لفقده
وكانوا انسوا به والقوا بره واحسانه فدعا لهم وقال اعطاكم الله الصبر واليقين
وثواب الشاكرين وطهركم من الذنوب وآمنكم من الهوام والعقارب والحيات
وقال حين خرج اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار وقصر عليهم النهار
ولا تقطع عنهم الاخبار ومن ثم يقع الاخبار عند اهل السجن قبل ان يقع عند عامة الناس
ولما خرج كتب على باب السجن هذه منازل البلوى وجهنم الدنيا وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولما سجن يوسف كانوا اركبوه على حمار اعجف
وقيدوه بالسلسلة وكان ينظر الناس اليه بالحقارة ولما خرج من السجن ركب الفرس الغارة
وكان بين يديه حجاب الملك يقولون طرقوا وكان الناس يتعجبون من حاله
وسئلوا بعضهم عن سبب عزته فيجاب انه اجاب تاويل رؤيا الملك وبهذه الحال
جاء الى دار الملك فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره
واعوذ بعزتك وقدرتك من شره فلما كلمه وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا
فكلم يوسف بكل فاجابه يوسف بكل ذلك حتى اذا فرغ دعا له يوسف بالعبرانية
ولم يكن الملك يحسنها فقال ما هذا اللسان يا يوسف قال لسان ابائي ابرهيم
واسحق ويعقوب فلما اراد الخروج من عنده سلم عليه بالعربية ولم يكن الملك
يحسنها فقال ما هذا اللسان يا يوسف قال هذا لسان عمي اسمعيل وازداد
الملك عجبا مما سمع من يوسف واعجبه علمه وحلمه وحكمه ولما راى الملك

نور وجهه ضمه الى نفسه وكذا المؤمن يكرم بنور وجهه كما قال تعالى نورهم
يسعى بين ايديهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل انه كيف يعرف
امته يوم القيمة قال امتى غر محجلون يوم القيمة من اثار الوضوء ثم ان الله تعالى
حكى ما جرى بين يوسف والملك حيث قال فلما كلمه فيه مضمراى فلما اتى
بيوسف وكلم الملك يوسف اوكلم يوسف الملك شفاها وشاهد منه
الرشد وجودة الراى قال الملك انك اليوم لدينا عندنا مكين
ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ قال الامام القشيرى قدس سره
لما اتضح للملك طهارة جيبه ونزاهة غيبه استخصره لاستصفائه
لنفسه واختصاصه لانسه فلما كلمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه
وضمن بره واحسانه فقال انك اليوم عندنا ذو جاه وحال امين على خزائن
الاموال روى ان الملك قال ليوسف اقصص رؤياى فانى احب ان اسمعها
منك فقال يوسف رأيت سبع بقرات سمانا عظاما شهبا غرا كشف لك
عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئة تنشحب اخلافهن لبنا فبينا
انت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا
يبسه فخرج من حمأته ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات
البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاحتلطن بالسمان فافترسنهن
افتراس السباع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع
اخر سود فى منبت واحد وعروقهن فى الثرى والماء فبينا انت تقول فى نفسك
انى هذا وهولاء خضر مثمرات وهولاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن
فى الماء اذ هبت ريح فذرت من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت
فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا مغبرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا

ثم انتبهت

ثم انتبهت من نومات مذعورا مرتاعا فقال الملك والله ما شان هذه
الرؤيا وان كان عجبا باعجب مما سمعت منك فما ترى فى رؤياى ايتها
الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام فى سنى الخصب وتبنى الاهراء
والخزائن فتكبسه فيها بقصبه وسنبله فيكون قصبه وسنبله علفا
للدواب وكيفيك واهل مصر ومن حولها الطعام فى سنى الجدب فيأتيك
الخلق من النواحى ممتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما
لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ومن يبيعه ويكفى
الشغل فيه يوسف ان الله اوحى الى انى اقوم به واكفى الشغل فيه قال
الملك ومن احق به دونك وذلك قوله سبحانه قال يوسف اجعلنى
على خزائن الارض ولنى على خزائن الاطعمة والاقوات والعلوفة التى
فى ارض مملكتك وهى مصر وكانت اربعين فرسخا فى اربعين فرسخا وقوض
الى احرازها وتفريقها وتقدير ذلك منها انى حفيظ لما سبيله ان
يحفظ ان يجرى فيه خيانة او نسيان عليم بوجوه التصرف
فيها حتى لا يضيع شئ ولا يوضع فى غير اهله وقيل حفيظ للحساب
عليم باللسن وقيل كاتب حاسب قيل لم طلب يوسف الجاه وهو مذموم
كما روى ان حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء
البقل واجيب لعله لما راى يوسف ان الملك يستعمله فى امر لا محالة
اكثر ما يعم فوائده ويجل منافعه فانما سأل ذلك ليتوسل به الى امضاء
احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء
عليهم السلام الى الخلق ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك
الامر فطلب ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وكان الظلم فى ذلك
الزمان كثيرا فاراد العدل وهو اقرب للتقوى سئل سفيان الثورى رح
ان اعز الخلق اى شخص قال اعز الخلق عند الحق خمسة رجال عالم زاهد

وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر واميرعادل قال بعض اهل التفسير
في الاية دليل على انه يجوز للرجال ان يصف نفسه بالصلاح والكناية ولا يكون
بمعنى تزكية النفس لكن ان يصف نفسه بما فيه من علم وفضل لمن جهل
امره وفيها ايضا دليل على جواز طلب الولاية واظهار انه مستعد لها
ويعلم ايضا انه يجوز التولي من يد الكافر والفاسق اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وبتمكين الملك
الكافر او الفاسق وعن مجاهد ان الملك اسلم على يوسف وفي الاية يجب
ايضا حيث اعطاه الله النبوة من غير طلبه ولم يعطه الدنيا الا بطلبه
لان الدنيا للاعداء فاذا طلبها الاحياء منعهم منها فاذا جاءهم غنم
وهم يقول تعالى هذا اختياركم قيل ان مدح النفس مذموم فلم مدح
يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم واجيب بان هذا ليس بمدح
بل تحديث نعمة وهو واجب كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث قيل ان الملك
لا يعترض على يوسف في كل ما رأى وكان في حكم التابع والمطيع فيوسف ما
طلب التصرف الا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فرض سيما اذا كان
نبيا والولاية منحصرة فيه قال وهب فلما قال يوسف اجعلني على خزائن
الارض الاية قال الملك ليوسف فدونك هذا السرير والخاتم والتاج
وقد تحلبت لك منهن وانا حتى بهن مني قال يوسف اما السرير فاشتد
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباس ابائي ولا من
لباسي قال الملك فقد وضعته على رأسي اجلالا لك واقرارا بفضلك فاتخذ
الملك الاطباء والخزائن وامر بجميع الطعام انتظارا لسني الخصب فلما اتت
جاءت بشيء لا يقدر قدره كثرة وسعة وروي ان جبريل نزل على يوسف
فقال ان الله يقرأك السلام ويقول اني خلصته من الجب والسجن وجعلته
خاصة الملك ومتصرفه فلا تغفل فلما سمع يوسف كلام الله تعالى من لسان

جبريل

جبريل الفى التاج من رأسه وشق جيب لباسه الذي لبسه الملك فلما
اخبره الملك قال صدر منه جرم عظيم ولكن قلت قبله استخلصه لنفسي
وكذا المؤمن اذا صدر منه الذنب يقول الله تعالى اني قد قلت قبله ان الله يغفر
الذنوب جميعا وروي ان الملك لما سمع قول يوسف اجعلني على خزائن الارض
قال هذا طلب شركة في الملك لكن قد قلت انك اليوم لدينا مكين امين فلا
اخاف كلامي فاعطيه ما يطلبه فكذا المؤمنون اذا طلبوا شيئا يعطيهم الله تعالى
اياه لانه قال ادعوني استجب لكم فنحن نقول ربنا اغفر وارحم فنرجو ان يغفر لنا
ومن الخصص ان المؤمن اذا خرج من سجن الدنيا يبكي لفراقه الاقرباء وهو
يضحك بدعوة المولى حكي انه لما توفي هرون الرشيد واشتد مرضه
قال اجعلوني على جنازة واحملوني الى المقابر واحفروا لي قبري حتى اراي فحملوه
كما يحمل الميت الى المقبرة ثم حفروا قبره وهو ينظر ويبكي ثم قال وسعوا من
هذا الجانب قليلا فوسعوه ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا من لا يموت ارحم
من يموت يا من لا يزال ارحم من زال ملكه فبكى ثم ذهبوا به الى البلد ومات
بعد ثلثة ايام ومنها ان المؤمن اذا خرج من الدنيا الى سجن القبر يركب على
مركب من الاحشاب مقيدا واذا خرج منه يلبس الحلة ويركب براقا والملئكة
بين يديه يقولون طرقوا طرقوا وينظر الحور والغلمان اليه ويقولون انه اجاب
في القبر وظهر صدقه وقد قال تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ومنها
انه روي ان يوسف تفكر في قرة ابيه وتذكر حاله فبكى وكذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين يلبس الحلة ويركب البراق يذكر حال امته ويضطرب
ويشفع لهم ومنها ان الملك راجع الى يوسف بقوله فما ترى ايها الصديق وامر
يوسف بالزراعة ولذا قيل السلاطين حكام على الناس والعلماء حكام
على السلاطين فينبغي للعلماء ان يسددوا امور السلاطين ويذكروا لهم
ما هو المستقيم الموافق للشرع ومنها ان يوسف سافر من عند ابيه الى الجب

ومنه الى مصر ومنها الى السجن ومنه الى محضر الرحمان فكذا المؤمن يسافر من
الرحم الى الدنيا ومنها الى القبر ومنه الى موضع الحشر ومنه الى الجنة ولقاء الله
ومنها ان ادم عم بجسب قول الله وعلم ادم الاسماء كلها صار مسجود الملائكة بعلم
ويوسف بسبب تعليم الله تعالى اياه من تأويل الاحاديث صار عزيز مصر فالعلم
سبب العزة والنجاة والسعادة قال عليه السلام من اراد الدنيا فليتبحر ومن
اراد الاخرة فليتزهد ومن اراد كليهما فليتعلم ومنها ان السجن صار موضع
عبادة يوسف وبه نال العزة قال علي بن محمد بن اسحق ما ضحك يوسف
بعد مفارقة ابيه الا في ثلثة مواطن احدها وقت القائه الجب فقال اخوانه
جن الغلام فقال ما جننت ولكن من لعب في خدمة مولاه يصير قعر الجب ماواه
وثانيها وقت ما باعوه فقيل جن الغلام فقال ما جننت ولكن من لم يرض بالمولى
القديم بدل مولى حادثا وثالثها وقت ما سجن فقالوا جن الغلام فقال ما جننت
ولكن من لم يخدم حبيبه مطلقا قيد وحبس ليخدمه مقيدا ومنها ان الملك
لما راى فضائل يوسف اختاره وقال انك اليوم لدينا مكين امين كما قال تعالى
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ومنها ان يوسف
علم مجيء القحط فجمع الاطعمة في الخزائن للمحتاجين فكذا الله تعالى يعلم حال المحتاجين
يوم مخمصة العمل وقلة الثواب وهو يوم القيمة فيجمع لهم المغفرة ليغفرلهم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة انزل رحمة واحدة بين الجن والانس
والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين
رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ومنها انه ينبغي للعاقل ان يدبر امر الاخرة قبل وقوعها
والعجب من الناس انهم غافلون عنها واذا وقعوا فيها يندمون ولا ينفعهم الندم
واذا اريد التفسير الانفسي يراد باستخلاص الملك اياه لنفسه استخلاف
الروح القلب على الملك بعد الكمال التام كما ورد في القصة ان الملك اعتزل من
الملك وجعله في يده وتخلى بعبادة ربه وتوفي العزيز اشارة الى وصول القلب الى كماله

وتزوجه

وتزوجه بامرأة العزيز اشارة الى تمتع القلب من النفس واستنباط اصول العلم
والعلم وهما الابنان اللذان جاء في القصة انها ولدت لهما منه وهما افرائيم
وميشا وسوال التولية على خزائن الارض ووصف نفسه بالحفظ والعلم اشارة
الى ان القلب يدرك الجزئيات المادية ويحفظها دون الروح فيقتضي قبول ذلك
المعنى من الواهب الذي هو ملك روح القدس اعلم ان الله تعالى يحكي عن الملك
انه قال قد فعلت ما التمسته مني لان مالك الملك ومعطيه حقيقة هو
الله تعالى ولذا قال سبحانه وكذلك مثل ذلك التمكين الظاهر الذي التمسه
يوسف من الملك مكنا ليوسف بامر الملك في الارض ارض مصر روي
انها كانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة والحكاة
يتبوأ حال اي ينزل منها من ارض مصر اي بلادها حيث يشاء حيث يهوى
لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكه وسلطانه وكانت خزائن جميع
بلادها بيده وتحت حكمه بعد ما كان ضيق عليه بالرق والحبس نصيب
برحمتنا بنعمتنا وفضلنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم
وفي الاخرة من الدرجات الرفيعة والرضوان كما اصبنا بها يوسف من نشاء
مفعول نصيب ولا نضيع لا نبطل اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا
وآجلا كما لم نضيع اجر يوسف وكان يحسن الى اهل السجن فيمرض المضعفا
ويقوم بمصالح المرضى وغير ذلك وكان يحسن الصبر عن المحارم وايثار طاعة الله
والقيام باحياء دينه والنصح لعباده في كل حال وقال الامام القشيري قدس سره
لما لم يمكن يوسف دواعي الشهوات من نفسه مكنه الله من ملكه وهو كما قال
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا وقال ولا نضيع اجر المحسنين
ثم اخبر عن حقيقة التوحيد وبين ان ما يولي عباده من الطافه فبفضله
لا بفعلهم وبرحمته لا بخدمتهم فقال نصيب برحمتنا من نشاء وقال ابن
عباس رض يعني الصابرين قال وهب وذلك بصبره في الجب والرق وعماد عنه

خير للذين امنوا الايمان الغيبي وكانوا يتقون بقية الاثانية اعلم
انه لما فوض الامر الى يوسف امر ان يزرع اضافة الحبات في جميع الارض
سبع سنين وجميع الغلات في الخزائن ولما مضى تمام سنى الخصب امر الله
جبرئيل سحرا فقال يا جبرئيل الا تنظر الى عبادي وامائي من اهل مصر
وغيرهم كيف ياكلون رزقي ويعبدون غيري اهبط فقد سلطت عليهم
الجوع والقحط سبع سنين فهبط جبرئيل وصاح في الهواء يا اهل مصر جوعوا
سبع سنين فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع وكان
الملك ياكل في كل يوم نصف النهار فلما كان الليلة التي قضى بالقحط فيها
امر يوسف حتى اتخذ طعام الملك بالليل فلما اصبح الملك قال الجوع الجوع
فاتى بطعام الهنيا فقال وما يدريكم ذلك قالوا امرنا يوسف بذلك قال
ابن عباس رض لم يكن في تلك السنين اليابسة مطر ولا نبات ولا ريح
تهب ولا نهر يجري ولا حمار تنهق ولا ثور يصيح ولا دابة تحمل ولا طير يخذ
عشا ولا تفرح وجاءت سنو الجدب بامرها ولم يعهد الناس مثله حتى
اكلوا جميع ما في ايديهم واحتاجوا الى ما عند يوسف وقصد الناس مصر
من كل اوب وناحية ممتارين فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان
كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وكان يوسف عم
لا يمتلئ شبعا من الطعام في تلك الايام فقيل تجوع وبيدك خزائن
الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجايع كذا في الوسيط فتراحم
اهل مصر عليه فباعهم اول سنة بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار
ولا درهم وباعهم السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في ايدي
الناس منها شئ وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب والانعام
حتى جمعها اجمع وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد
ولا امة في يد احد وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور

حتى

حتى احتوى عليها وباعهم السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم
وباعهم السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا
وامة له وقال الناس تالله ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم من يوسف ثم قال
يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي وما خولني من الملك فما ترى لي قال
الملك الراى رايك ونحن لك تبع وانا خول لك فقال يوسف فاني اشهدك
اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم اموالهم واملاكهم ورددت
عليك ملكك وروى ان يوسف لما راى ان الناس باعوا انفسهم تذكر بيعه
وبكى فوقع عليه الوحي انما صيرتك عبدا لتعرف حال العبد فاعتقهم شكرا لما
اعطاه الله تعالى من الملك بعد الرق ومن الخصص ان يوسف احضر ايام الخصب
زاد ايام القحط فلا بد للمؤمن ان يحضر في خصب القدرة والصحة زاد زمان
القلة والعجز ومنها ان ترك الشكر يورث زوال النعمة كما قال الله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومنها ان كثرة الاكل من الابتلاء وانها
مذمومة بيت حيف باشد كه عمر انسانى چو بهايم بخواب وخور كذرد ٥
ومنها ان نسيان احوال المحتاجين نقصان ومنها ان اهل مصر لما ارادوا
ان يشتروا يوسف ويجعلوا عبدا لهم وقت العرض على البيع جعلهم الله
عبيدا له جزاء لما اراد وا بيوسف فالله تعالى اذا اراد بعبد خيرا عجل عقوبته
في الدنيا ومنها ان يوسف حين نظر الى نفسه باعوه بثمن بخس وحين نظر
الى ربه صار اهل مصر كلهم ما لكه ليعلموا ان العبد اذا تكبر احتقر واذا نظر
الى ربه وتواضع يصير عزيزا ومنها ان الله تعالى امتحن يوسف بالبلاء ثم
بالرخاء ليعرف الناس ان بعد عسر يسرا فالمومن يبتلى بالبلاء في الدنيا
ويكرم عند الله تعالى ومنها ان يوسف الكريم اعتق عبيد الذين اعترفوا
بكونهم ارقاء له فكيف لا يعتق اكرم الاكرمين وارحم الراحمين عبيد المقرين
بالرق ومنها ان الله تعالى سلط على الناس القحط بسبب معصية بعضهم

خير للذين امنوا الايمان الغيبي وكانوا يتقون بقية الانانية اعلم
انه لما فوض الامر الى يوسف امر ان يزرع اضافة الحبات في جميع الارض
سبع سنين وجميع الغلات في الخزائن ولما مضى تمام سني الخصب امر الله تعالى
جبرئيل سحرا فقال يا جبرئيل الا تنظر الى عبادي وامائي من اهل مصر
وغيرهم كيف ياكلون رزقي ويعبدون غيري اهبط فقد سلطت عليهم
الجوع والقحط سبع سنين فهبط جبرئيل وصاح في الهواء يا اهل مصر جوعوا
سبع سنين فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع وكان
الملك ياكل في كل يوم نصف النهار فلما كان الليلة التي قضى بالقحط فيها
امر يوسف حتى اتخذ طعام الملك بالليل فلما اصبح الملك قال الجوع الجوع
فاتي بطعام المهيأ فقال وما يدريكم ذلك قالوا امرنا يوسف بذلك قال
ابن عباس رض لم يكن في تلك السنين اليابسة مطر ولا نبات ولا ريح
تهب ولا نهر يجري ولا حمار تنهق ولا ثور يصيح ولا دابة تحمل ولا طير يتخذ
عشا ولا تفرح وجاءت سنو الجدب بامر هو لم يعهد الناس مثله حتى
اكلوا جميع ما في ايديهم واحتاجوا الى ما عند يوسف وقصد الناس مصر
من كل اذن وناحية ممتارين فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان
كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وكان يوسف عم
لا يمتلئ شبعا من الطعام في تلك الايام فقيل تجوع وبيدك خزائن
الارض فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجايع كذا في الوسيط فتزاحم
اهل مصر عليه فباعهم اول سنة بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر دينار
ولا درهم وباعهم السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في ايدي
الناس منها شيء وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب والانعام
حتى جمعها اجمع وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد
ولا امة في يد احد وباعهم السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور

حتى

حتى احتوى عليها وباعهم السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم
وباعهم السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا
وامة له وقال الناس تالله ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم من يوسف ثم قال
يوسف للملك كيف رايت صنع الله بي وما خولني من الملك مما ترى لي قال
الملك الراي رايك ونحن لك تبع وانا خول لك فقال يوسف فاني اشهدك
اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم اموالهم واملاكهم ورددت
عليك ملكك وروي ان يوسف لما راى ان الناس باعوا انفسهم تذكر بيعه
وبكى فوقع عليه الوحي انما صيرتك عبدا لتعرف حال العبد فاعتقهم شكرا لما
اعطاه الله تعالى من الملك بعد الرق ومن الحصص ان يوسف احضر ايام الخصب
زاد ايام القحط فلا بد للمؤمن ان يحضر في خصب القدرة والصحة زاد زمان
القلة والعجز ومنها ان ترك الشكر يورث زوال النعمة كما قال الله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومنها ان كثرة الاكل من الابتلاء وانها
مذمومة بيت حيف باشد كه عمر انساني چو بهايم بخواب وخور گذرد •
ومنها ان نسيان احوال المحتاجين نقصان ومنها ان اهل مصر لما ارادوا
ان يشتروا يوسف ويجعلوا عبدا لهم وقت العرض على البيع جعلهم الله تعالى
عبيدا له جزاء لما ارادوا بيوسف فالله تعالى اذا اراد بعبد خيرا عجل عقوبته
في الدنيا ومنها ان يوسف حين نظر الى نفسه باعوه بثمن بخس وحين نظر
الى ربه صار اهل مصر كلهم مماليكه ليعلموا ان العبد اذا تكبر احتقر واذا نظر
الى ربه وتواضع يصير عزيزا ومنها ان الله تعالى امتحن يوسف بالبلاء ثم
بالرخاء ليعرف الناس ان بعد عسر يسرا فالمؤمن يبتلى بالبلاء في الدنيا
ويكرم عند الله تعالى ومنها ان يوسف الكريم اعتق عبيده الذين اعترفوا
بكونهم ارقاء له فكيف لا يعتق اكرم الاكرمين وارحم الراحمين عبيده المقرين
بالرق ومنها ان الله تعالى سلط على الناس القحط بسبب معصية بعضهم

فكذا عادة الله تعالى يسلط العذاب على الجميع بسبب ذنب بعضهم
قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة شكى بعض
الصالحين بلاء وقع فيه الناس الى رجل عارف فقال ما ارى ما الناس فيه
الا شوم ذنوبهم فالشوم فى الحقيقة هو المعصية فمن اصر عليها هلك وكذا الخطأ
قال ابرهيم بن ادهم من اراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة العصاة
فالعاصى مشوم على نفسه وعلى غيره فانه لا يأمن ان ينزل عليه عذاب فيعم
الناس خصوصا من لم ينكر عليه عمله اعلم انه اصاب الشام وارض كنعان
ما اصاب مصر من القحط فقال يعقوب لولده ان بمصر طعاما يباع وان هذا
الرجل الصالح الذى هو ملكهم بلغنى عنه خير وصلاح وحسن سيرة
وسياسة فامتاروا منه فان له سيرة تشبه سيرة آل يعقوب وسيجمع
اليكم ان شاء الله تعالى قيل قال يعقوب يا بنى اذا حضرتم عنده فاشتوا عليه
واذا امركم بالجلوس فاجلسوا وان لم يأمركم فقفوا الى ان يأذن لكم واذا قعدتم
فلا تسبقوا بالكلام ولا تحولوا ظهوركم اليه اذا خرجتم ولا تذكروا لاحد ما
جرى بين يوسف وبينكم فان مجالس الملوك لا تساعد ثم مسك يعقوب
بنيامين اخا يوسف من امه وارسل اخوته العشرة الى مصر لطلب الميرة
فانطلقوا فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون كما حكى الله تعالى
وجاء اخوة يوسف اى اخوته العشرة فدخلوا عليه على يوسف
فعرفهم عرف يوسف اخوته انما عرفهم لانه تعالى قد اخبره عين ما القوه
فى الجب لتنبئنهم فى امرهم هذا وهم لا يشعرون فلذلك كان مترصدا
لوصولهم اليه فظهر بذلك انهم اخوته وكلموه بالعبرانية فارسل يوسف
الى الترجمان وهو يعلم لسانهم ولكنه اراد ان يشتبه عليهم وروى انه
كان يوسف نصب فى الطريق عيونا ليخبروه لمن يجىء ولما جاء اخوته من طريق
كنعان اخبروه بسببهم فعرفهم وان يوسف كان لم يقطع الرجاء من لقائهم

ولذا

ولذا عرفهم واخوته يئسوا منه ولذا لم يعرفوه فطالب لقاء الله تعالى
لا يخلو عن المعرفة وان مطلب الاخوة هو الطعام ولذا لم يعرفوه ومطلب
يوسف هو اللقاء وعمل لاجله فوصل اليه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وغلب عليهم هيبة يوسف
فلم يعرفوه للحيرة فكذا يوم القيمة اذا قيل للناس ماذا اجبتم المرسلين
تحير الناس وهم له منكرون واخوته لم يعرفوه لطول العهد كما قيل
فى هذا المعنى شعر نبست مودتى اذ طال عهدى ٭ نعم قد قيل طول العهد
منسى ٭ او لمفارقتهم اياه فى سن الحداثة ولذهابه عن قلوبهم وتوهمهم انه
هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه اى كان يوسف
عن زى الملك بخلاف ما كانوا رأوه فى الصغر ولقلة تأملهم فى حلاه
من التهيب والاستعظام وقيل انما لم يعرفوه لانه كان متنقبا وقيل
لم يعرفوه لانهم كانوا جياعا وعين الجايع تخار فلا تعرف ما يبصر وقيل
لانهم جاؤا طامعين والطمع يغطى العين وقيل لانهم كانوا جفوه والجفاء
يزيل المعرفة وقيل لان الله تعالى اخفى عليهم ذلك بلطفه وكان له
فيه سر وقيل لانهم نكسوا رؤسهم محزونين فلم ينظروا اليه فلذلك
لم يعرفوه وروى ان يعقوب قال لابنائه حين ارسلهم اطلبوا يوسف
فى كل موضع فتعجبوا من كلامه ظنا منهم انه هلك وروى ان يوسف
ارسل الى ابيه من مصر حين كتابا ما وصل اليه كتاب لحكمة الله تعالى فيه
وروى ان يوسف عم اراد عقوبتهم جزاء عملهم فنزل جبرئيل وامره بالاحسان
وقال انك كريم فينبغى لك ان تحسن اليهم فالله تعالى يكرم عباده العاصين
لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وانما لم يظهر يوسف نفسه لئلا يلحق بهم
الخجلة وينكوا عرض حاجتهم عليه فالله تعالى لا يظهر عيب عبده وذنبه ليطلبوا
منه حاجتهم بسبب الغفلة قال وهب ولما عرفهم امر فتيانه بانزالهم

فى منزل واكرامهم ومكث ثلثا لا يكلمهم ثم قال لهم من انتم قالوا نحن اولاد
يعقوب بن اسحق بن ابرهيم من اهل كنعان فنظر اليهم فاكثر وادام فيهم
النظر وصعد وانزل فيهم البصر ونظر اليهم جميعا واشتانا كلما فرغ من
واحد نظر الى الذى يليه ثم قال اعتزلوا عنى حتى افرغ لكم وكان لا يضع ذلك
باحد وكان يعجل سيارع للممتارين فلما اعتزلوا عنه استرابوا من نظره
اليهم وقال بعضهم لبعض لقد نظر الينا هذا الملك ما نظر الى غيرنا كذلك فاما
ان يكون نظره على وجه الغبطة لنا لنبوة ابائنا ابرهيم واسحق ويعقوب
او الغبطة لابينا بما رأى من عددنا وقوتنا وجماعتنا واما ان يكون تفرس
فينا النبوة من بعد ابائنا والوراثة لهم من بعدهم واما ان يكون بلغته
فعلتنا باخينا وتلك قصمت ظهورنا ولما راوا لطف يوسف قال
يهوذا ائته يوسف قالوا لو كان يوسف ما احسن الينا بل عاملنا بالعذاب
الشديد فكرم يوسف اغفلهم فكذا لطف الله يغفل العصاة ويمهلهم
كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
وانهم سكنوا فى منزل يوسف واكلوا نعمه ولم يعرفوه كما ان بعض الناس
يسكنون فى ملك الله ويأكلون رزقه ولا يعرفونه كما قال تعالى لهم قلوب
لا يعقلون بها ثم انهم دخلوا على يوسف يوما فقال لهم من انتم قالوا
قد اخبرناك اول يوم سألتنا انا اولاد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
قال يوسف والدكم ثلثة انبياء الخليل والذبيح والصديق قالوا انهم
قال ما انتم لذلك اشباه وما انتم موسومون بسيماهم وما ارى من
احلام ولا وقار ولا سكينة ظاهرة ولا خشوع ولا انتم بان تكونوا
لصوصا اشبه اوجاسيس دستكم بعض الملوك فجئتم مرتادين تنظرون
لهم فى العدة والقوة ثم تاتونهم بخبر ذلك فتسيرون البنا فتقاتلونا
حسدا لما انعم الله علينا ولايم الله لا تنفكون من حبسى ابدا حتى اعلم

عملكم فاشفقوا ان يبحث عنهم حتى يبلغ به البحث فعلتهم التى فعلوا بابيهم
فقالوا والله انا نسئلك ايها الملك بالذى بلغك هذه المنزلة لما عجلت سراحنا
الى ابينا فانه اليوم اعظم اهل الارض حقا فلا تستخف بحقه ولا تقصر
فى شئ من امره فانك لو تعلم علمه وكبره وضعفه وحزنه على ابن له هلك
منذ حين وكان احب الناس اليه واقرهم لعينه وعلم مايمون ويعول ويتصدع
ويضيف اذا لاشتددت له رحمتك ولدمعت له عينك وحزن له قلبك
قال يوسف ما احد اليوم اعظم حقا على وعلى جميع اهل الارض من يعقوب
ولو مرة على ظهرى مقبلا ومدبرا حتى عينه وعياله ما بلغت بذلك حقه
ولا حق ابائه على فحدثونى ما الذى احزنه وهو فى منزل الفرج والغبطة ليس
نبى الله وابن انبيائه اوليس ينظر اليكم فى مثل عددكم وجمالكم وجلدكم ليسر
الجنة مع ذلك بشراه ونصب عينه يأملها فما الذى يحزنه بعد هذا
فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجفائكم قالوا حاش لله ما نحن كذلك
ولكن كان له ابن وكان اصغرنا واحبنا اليه فهلك فلم يزل بعده واهن
العظم باكيا محزونا قال يوسف اوكلكم لام واحدة قالوا لا قال فما الذى
حمل اباكم على ان ارسل كلكم هلا احتبس رجلا منكم يسكن اليه ويأنس
قالوا قد فعل قد احتبس منا ولد أهو اصغر ولده واحبهم اليه بعد الاول
قال يوسف لولا مخافة ان تكونوا صادقين لحبستكم حبسا اطول من هذا
ولعذبتكم عذابا شديدا فان كنتم صادقين فارجعوا الى ابيكم فبلغوه منى
السلام وقولوا له فليخبرنى ما الذى احزنه وابكاه وليبعث الى جواب
سؤالى مع ابنه الصغير الذى احتبسه حتى اصدقكم واتركوا احدكم عندى
وأتونى باخيكم حتى انظر اليه قالوا اختر ايتنا شئت فاختار شمعون
اوساهما فخرج فرعته وهو اشد عداوة من غيرهم وامر يوسف بوفاء كيلهم
كما قال الله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر

ركابهم بما جاؤا لاجله واعطى كل واحد منهم حمل بعير واصل الجهاز ما يعد
من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به المرأة
الى زوجها فيوسف اعطاهم الطعام فى مقابلة بضاعتهم كان بضاعتهم
الجواهر فكذا الله تعالى يعطى المؤمن المخلص اكثر مما يعطيه غيره وكان بعير لاخيه
بنيامين ولم يعطه طعاما فقالوا ان بضاعته حاضرة قال ليس العبرة عندنا
بالبعير والبضاعة بل العبرة بصاحبه **قال ائتونى باخ لكم من ابيكم**
وهو بنيامين فيل لم يقل باخيكم وهو اخصر مبالغة فى عدم تعرفه لهم فان
العرب فرقوا بين قولك مررت بغلامك وغلام لك فان الاول يقتضى عرفانك
بالغلام وانما قيده بقوله من ابيكم لانه ليس اخاهم من جهة الام واعلم ان الامر
باتيان الاخ كان تكليفا وانعاما فى الظاهر لكن مقصوده ايصال الخير فكذا
يكلف الله عباده وليس الحكمة انعامهم بل الاحسان اليهم **الا ترون انى**
اوفى الكيل انمه مع عدم صدور الخدمة منكم والامتثال بامرى **وانا خير**
المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فاذا صدر
منكم الخدمة والاطاعة بامرى ازيدكم فضلا **فان لم تاتونى به** بالاخ **فلا كيل**
لكم عندى فلا طعام لكم عندى يكال فيما تستقبلون **ولا تقربون**
لا تقربونى ولا تدخلوا بلادى مرة اخرى وهو اما نفى او نهى معطوف على الجزا جمع
يوسف بين الترغيب والترهيب اما الترغيب ففى قوله الا ترون انى اوفى الكيل
واما الترهيب ففى قوله فلا كيل لكم عندى ليمتثلوا امره وهم فى نهاية الحاجة الى
الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من قبله وان يوسف لم يطلب منهم مالا
بل الاخ الصالح فالله تعالى لا يطلب من عباده الا الاخلاص ومن الحصص ان يوسف
استقصى اولا فى حالهم ثم تسامح فالله تعالى بنا قش فى امر المؤمن يوم القيمة ثم يغفر له
ومنها ان يوسف استفسر امرهم وهو عالم بحالهم وكذا الله تعالى يفتش احوال
العباد وهو اعلم باحوالهم وفيه حكم ومصالح **ومنها** ان يوسف منع الطعام

من اخيه بنيامين ابتداء وكذا الله تعالى يمنع النزوة من الاحباب ويوخر
فضله الى الاخرة **ومنها** ان العبرة عند الله تعالى ليس بنفس العمل بل بحضور
قلب صاحبه وخلوصه **ومنها** ان دعوة يوسف اخاه للاحسان لا للانتقام
وكذا الله تعالى يدعوكم ليغفر لكم **ومنها** ان الله تعالى قبل ان يصدر العمل منا
احسن الينا كما قال الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا
واذا صدر العمل منا فكيف احسانه الينا كما قال تعالى ان المتقين فى مقام امين
وقال وزوجناهم بحور عين وقال يلبسون من سندس واستبرق متقابلين
وقال ولحم طير مما يشتهون وقال تعالى وسقيهم ربهم شرابا طهورا ولهذا
يقال العباد الحمد لله الذى صدقنا وعده **ومنها** ان يوسف الكريم مع كونه
محتاجا الى الطعام انعم عليهم والله تعالى اكرم الاكرمين وغنى عن العالمين
فكيف يكون انعامه على العباد **ومنها** ان الجمع بين الوعد والوعيد مقتضى
الحكمة ولذا قال تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو
العذاب الاليم واذا اريد التفسير الانفسى فالمراد بمجئ اخوة يوسف مجئ القوى
الحيوانية بعد طول مفارقة القلب اياهم فى سجن الرياضة والخلوة بمصر الحضرة
القدسية والاستغراق فى عين الجمع فدخلوا عليه مستقرين بوسيلة التاديب
باداب الروحانيتين لاطمينان النفس وتنورها وتنور تلك القوى بها وتدربها
بهيئات الفضائل والاخلاق ممتازين لاقوات العلوم النافعة من الحكم والشرايع
فعرفهم من حسن حالهم وصلاحهم بالزكاء والصفاء وفقرهم واحتياجهم
الى ما يطلبون منه من المعانى وهم له منكرون لارتقائه عن تبتهم بالتجرد واتصافه
بما لا يمكنهم ادراكه من الاوصاف ولهذا استحضر القوة العاقلة العملية
بقوله ائتونى باخ لكم من ابيكم اذ المعانى الكلية المتعلقة بالاعمال لا يدركها
الا تلك القوى واما جهازهم الذى جهزهم به فافادته من الجزئيات التى يمكنهم
ادراكها وان لم تاتونى بالقوة العاقلة فلا كيل لكم من المعانى الكلية الحاصلة

ك لاجله

عندى ولا تقربون لبعد ربتكم عن ربتبى الا بواسطة ذلك الاخ قالوا اى
قال اخوته سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه من ابيه ان يبعثه معنا
وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقولهم لفاعلون انما بمعنى الاستقبال
يعنى وانا لصانعون ذلك فنطلب منه ليبعثه قالوه تاكيداً للوعد ويحتمل
ان يكون بمعنى الحال على ان يكون مجازاً عن القدرة اى انا لصامنون ذلك
وقال يوسف لفتيانه جمع فتى كالاخوان جمع كثرة ليوافق قوله اجعلوا
بضاعتهم دستوا ثمانهم فى رحالهم فى جواليقهم فانه وكل بكل رحل واحداً
يعنى اى يخفى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام اذ الرحال جمع رحل وهو
الوعاء الذى يجعل المسافر اسبابه فيه وان رحال الاخوة ليس اقل من عشرين
غرارة وكانت بضاعتهم نعالاً وادماً وانما فعل ذلك توسيعاً فى زمان
القحط وتفضلاً عليهم وترفعاً من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفاً من
ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به وقرئ لفتيانه جمع فتى ايضا اى قال للكيالين
لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها اولكى يعرفوها يعنى كرامتى عليهم
اذا انقلبوا رجعوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل
معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع اى يعودون الينا ويردون البضاعة
علينا وتكلموا فى معنى رجاء الرجوع بذلك قيل معناه انهم ان عرفوا انها
بضاعتهم نحرجوا عن امساكها وتوهموا ان فتيان يوسف وضعوها
فى رحالهم غلطا فعادوا لردها وقيل لخوف ان لا يكون عند ابيه ما
يرجعون به وقيل ليرجعوا اليه بما يظهر لهم من كرمه فى ردها عليهم فى زمان
الجدب فيكون ذلك ادعى لهم الى الرجوع وقيل انما ردها ليصرفوها الى ابيه
واخيه ومن بلزمهم نحمل مؤنتهم لئلا يشق عليهم تكليف السفر وايتان
الماء فان قيل صلة اخبرهم بحاله وعرفهم عن نفسه ليعظم سرورهم بوجوده وقد علم
انه ادخال السرور فى قلب المؤمن افضل خصوصا فى قلوب اخوته وفى ذلك صلة الرحم

ايضا

ايضا ايصال الخير الى ابيه ليتفرغ عن حزنه والجواب عنه بوجوه الاول
انه لم يقدر ان يفعل من غير وحى والثانى انه علم ان انقضاء المحنة بعد
لم يات وقته فلذلك تربص واخر الى وقته وقال فى وقته هل علمتم ما فعلتم
بيوسف والثالث انه لو اخبرهم ساعة دخولهم عليه وكان يلاطفهم
فى المعاملة ويسامحهم فى تلك الميرة ويرد عليهم بضاعتهم وربما لم يستطيعوا
ضبعه بمكانهم معتلين بالاخوة انها موجبة لخصايص المعاملة فاحب
ان ينصرفوا والسنتهم رطبة بالثناء عليهم متعجبين من حسن معاملته
فى عام القحط خصوصا والرابع ان عام السنة لم يكن منقضيا بعد
وحوايج الناس الى الطعام قائمة فلو احتسوا بمكانه رجعوا بنشر الخبر الى ابيهم
فكان منقطع المعاملة فلغلبة الاشفاق على الناس احب ان لا يحبس
بمكانه حتى ينقطع السنة ويتفرغ قلبه عن هموم الحايعين ثم يستوفى
حظه من السرور والاجتماع مع ابيه واخوته ومن الخصص ان الله تعالى
امر يوسف ان يطلب اخاه ليعظم اجر ابيه على فراقه ففعله ذلك بالوحى
فكذا الله تعالى ياخذ ولد عبده ليعظم اجره بفراقه فينال الى المقامات
الرفيعه ومنها ان اخوته لم يريدوا ان يفعلوا اتيان الاخ بغير اذن
ابيهم ولم يريدوا خدعته والضرر بالاخ فجعل الله تعالى عاقبتهم حميدة
بخلاف ما سبق من انهم لما اراد وا يوسف منه كان عزمهم الخدعة
والضرر بيوسف ومنها ان يوسف تلطف بالمسيئين اليه واراد
احضار الاخ باللطف فهذا صنع الكريم فكيف يكون صنع اكرم الاكرمين
ومنها ان يوسف اعان اخوته لمجيئهم فجاؤا بعونه فكذا توفيق الله تعالى
وعنايته يعين العبد الضعيف فيحضر ويجد فضله واذا اراد
التفسير الانفسى يراد ان القوة العاقلة العملية اذا لم تفارق مقام
العقل المحض الى مقام الصدر لم يمكنها مرافقة القوى الحسية والقاؤها

المعانى الجزئية الباعثة اياها على العمل وتحريك القوة الشوقية
نحو المنافع العقلية ولذا قالوا سنزاودعنه اباه اى بتصفية الاستعداد
لقبول فيضه وقوله لفتيانه اشارة الى امر القلب فتيانه اى القوى النباتية
عند تمتيع النفس حالة الاطمينان بايراد مواد قواهم التى يتقوون بها
ويقتدرون على مكاسب كمالاتهم اذهى بضاعتهم التى يمكنهم بها الامتيان
ورحالهم آلات ادراكاتهم ومكاسبهم لعلهم يعرفون قواهم وقدرهم على الاكتساب
اذا انقلبوا الى اهلهم من سائر القوى الحيوانية كالغضبية والشهوانية وامتيازها
لعلهم يرجعون الى مقام الاستراباح والامتياز من قوى المعانى والعلوم النافعة
بتلك البضاعة روى ان يوسف يرتهن شمعون وحبسه وهو يبكى وقت
وداع اخوته ويقول انما ابكى لحزن ابى بسبب فرقتى ولفراق اهلى واخوتى
وانما حبسه يوسف ليرى جزاء عمله فانه قد فعل ما ذكره فى حق يوسف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا عجل عقوبة
ذنبه فلما ذهب اخوته اخرجه من السجن فان شان الكريم هو الاكتفاء
بقليل من العقوبة ثم ان الله تعالى اخبر ما جرى بين اخوته ويعقوب عليه السلام
حيث قال عز وجل فلما رجعوا اخوة يوسف الى ابيهم يعقوب قالوا
يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل اى حكم بمنع اعطاء الطعام
كيلا بعد هذا ان لم يذهب بنيامين حيث قال العزيز فان لم تاتونى
فلا كيل لكم عندى وذكروا احسانه وانه قد ارتهن شمعون فارسل
معنا اخانا بنيامين نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج
اليه ولما شق عليه ذلك وخاف ضياعه قالوا وانا له لحافظون
عن ان ينالوه مكروه قال ابوهم يعقوب هل آمنكم عليه استفهام
بمعنى النفى اى لا اتكل على حفظكم وان قلتم وانا له لحافظون الا
كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم فيه وانا له

لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امره اليه
وهو ارحم الراحمين فارجوان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين
روى انه قال ذلك قال الله تعالى وعزتى وجلالى لارد ن عليك كليهما
فلما ايسوا من ابيهم ان يرسله معهم شرعوا فى فتح متاعهم ولما فتحوا
متاعهم المتاع اسم ما يصلح لان يستمتع به والمراد به هنا اما
الطعام اووعاؤه وجدوا بضاعتهم اثمان طعامهم ردت اليهم
بان وضعت فى رحالهم قالوا يا ابانا كلمة ما اما استفهامية تنبغى
اما من البغية اى ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا العزيز واحسن
مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا اونافية اى لا نطلب وراء ذلك احسانا
وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى اذ ردت الينا بضاعتنا اومن البغى
بمعنى الطغيان والكذب اى لا نبغى فى القول ولا نكذب فيما نتكلم فى وصفه
بمكارم الاخلاق وقرئ ما تبغى على الخطاب اى اى شئ نطلب وراء هذا
اومن الدليل على صدقنا ومن الحصص ان يعقوب لم يعتمد على قولهم لما
راى منهم خلف الوعد قال عليه السلام لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين
ومنها ان اخوة يوسف ذكروا وصفه اولا ثم شرعوا فى حال استعتهم فينبغى
للمؤمن ان يقدم حق الله على امر معاشه ومنها ان رد متاعهم كان رد انى الصورة
وكرامة فى الحقيقة ودعوته اليه مرة اخرى فالله تعالى قد يرد دعاء العبد
ليرجع الى حضرته ويتضرع اليه هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف
موضح لقوله ما نبغى اى حصل الطعام لنا مجانا ونمير اهلنا عطف على
محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك
اى ناتيهم بالميرة وهى الطعام من بلد الى بلد هذا اذا كانت ما استفهامية
اذ لا تعطف الجملة الخبرية على الجملة الاستفهامية لاختلافهما خبرا وانشاء
وانما اذا كانت نافية احتمل ذلك ان يكون الجملة معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى

فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا بنيامين عن المخاوف فى
ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير اى حمل بعير زائدا على وساق
اباغرنا اى نصيب لاخينا معناه ابعثه معنا لكى نحمل الطعام لاهلنا
ونحفظه من الضيعة ونزداد حمل بعير لاجله وعده الملك لنا فيه دليل
على ان يوسف لم يطلق لاحد ان يشترى اكثر من كيل بعير ولولا ذلك
لما اشترى الناس جملة ما فى مصر فى مدة يسيرة وقيل كان وعد ذلك
بغير ثمن ذلك حمل البعير كيل يسير مكيل قليل لا يكفينا يجوز ان
يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك
ولا يتعاظم وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير
لا يخاطر لمثله بالولد ومن الحصص ان العاقل ينبغى ان يستقلل
ثواب الاخرة ويقول هذا القدر لا يكفينا ويجتهد فى تكثيره ومنها ان
مغفرة الله كثيرة فينبغى للعاقل ان يطلبها ويقول لا يضايقنا الملك
الكريم الجواد البر الرحيم ومنها ان العمر جوهر شريف لا ينبغى للعاقل
ان يخاطر لحطام الدنيا به ولما طلب اخوة يوسف اخاهم بنيامين
من ابيهم واستتم هو فقالوا ما قالوا مال الى كلامهم ولان قلبه فاراد
ان يحلفوا له كما قال تعالى قال يعقوب لن ارسله اخاكم بنيامين معكم
اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون حتى تعطونى موثقا ما اتوثق به
من الله من عنده اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتننى به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتننى به اى لترد ونه الى وانما جعل الحلف
بالله موثقا منه لان الحالف به قما يؤكد به العهود وتشدد الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
فيكون عذرا والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتننى به
على كل حال الا حال الاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم فلما اعطوه هذا العهد

قال يعقوب

قال يعقوب الله على ما نقول من طلب الموثق وايتائه وكيل رقيب
مطلع روى ان يعقوب قال لابنائه ان تحفظوا فى امر اخيكم انتم بريئون
من النبى الذى يأتى فى اخر الزمان وهو افضل الانبياء وخير البشر
وحبيب رب العالمين وامته خير الامم وانه سيد يوم القيمة وشفيع الناس
قالوا نعم وفيه بيان لشرف محمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فالسعادة
لامته ومن الحصص ان يعقوب قبل وقوع الجرم من ابنائه اشار الى جوابهم
حيث قال الا ان يحاط بكم كانه ذكرهم للعذر كما ذكر الله العذر بقوله
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ومنها ان هذه القصة صدقت
المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب قال اولا فى
حق يوسف اخاف ان يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال
ههنا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فابتلى ايضا بذلك
فينبغى ان يجتنب عن الكلمات الضائرة لا سيما للاباء على الابناء ومنها
ان المقدر كائن فتدبير العبد لا يفيد فى دفع تقدير الله تعالى كما روى
الحذر لا يغنى من القدر وروى ان يعقوب امر وبنيه ان يكتب كتابا
الى عزيز مصر اعنى يوسف من جانبه ويقول ان الشيب ادركه قبل اوانه
من خوف يوم القيمة وضعف بصره للبكاء على فراق ابنه يوسف
وان البلاء موكل عليه وابائه ويريد ان يبيع العزيز الطعام ليكون قوة
للطاعة وفيه اشارة الى انه لابد للعاقل ان يخاف يوم القيمة لانه يوم لا ينفع
فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والى انه اذا طلب من الكبائر شئ
ينبغى ان يعد كلمات باعثة الى الشفقة والمرحمة واذا اريد التفسير الانفسى
يراد ان القوى لما رجعوا الى العقل او الروح بالتصفية وكمال الاستعداد
طلبوا منه ارسال القوة العاقلة معهم لامدادهم فى فضائل الاخلاق
ومعنى نكتل نستفيد من اخينا وانا نحفظه بالتعهد له ومراعاته فى طريق

الكمال واخذ العهد منهم فى ارساله معهم واستيثاقه عن تقديم الاعتقاد
الصحيح والايمان على العمل اعلم ان ابناء يعقوب لما اراد والخروج وصيهم
كما حكى الله تعالى وقال يعقوب يا بنى ابنائى اذا وصلتم مصر لا تدخلوا
من باب واحد من سكة واحدة ومن طريق واحد وادخلوا من ابواب
من سكك او طرق متفرقة اوكان لمصر اربعة ابواب انما قال ذلك لانهم
كانوا ذوى جمال مشتهرين فى مصر بالغربة والكرامة عند الملك فخاف ان
يدخلوا كوكبة واحدة وجماعة كثيرة فتصيبهم عين قيل لم يوصهم بذلك فى المرة
الاولى اجيب لعلهم كانوا مجهولين ج اوكان الداعى الى التوصية خوفه على بنيامين
قيل اليس هذا بمنزلة الطيرة وقد نهى عنه واجيب لا اذا مر العين حق لان للنفس
اثرا من العين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ويقول فى
دعائه اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين ولامة وكان يعوذ الحسن والحسين من العين قال بعضهم وجه اصابة العين
ان الله تعالى يحدث عند النظر الى الشئ الحسن والاعجاب به نقصانا فيه
وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى وامتحانا لعباده
حتى قيل سم الانسان فى عينيه وسم الحية فى نابها فالدافع لتلك البلية كالدافع
بالمشية فلا بد لكل احد اذا نظر الى شئ حسن عجيب ان يقول ماشاء الله
فاذا قال كذلك يكون مصونا عن آفة العين كذا قال بعض الفضلاء وقيل
انما امرهم بالدخول متفرقين لانه كان عام الجدب فلو دخلوا من باب واحد
مع الرواحل ممتارين شق على اهل البلد اذا رآهم مجتمعين فامرهم بذلك
شفقة عليهم لئلا يدخل وحشة فى قلوب الناس بسببهم وقيل اخاف ان
لا يتفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم وهو دليل على عطفه وميله
الى كل اولاده وانه لم يكن له حقد عليهم بما سبق منهم فى حقه وهو مع هذا
كله كان ناظرا الى حكم الله تعالى فيه وانه يصل الى العبد ما قدر الله تعالى

ولا ينفع

ولا ينفع حذره ولذا قال وما اغنى عنكم ما ادفع عنكم من الله من
شئ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فلا بد للانسان ان يجمع بين رعاية
الاسباب وبين ان لا يعتمد عليها وان لا يراعيها الا لمحض التعبد
ان الحكم الا لله ما القضاء الا لله وبصيبكم لا محالة ان قضى عليكم
سوء ولا ينفعكم ما اشرت اليكم عليه توكلت فوضت امرى وامركم
اليه وعليه فليتوكل المتوكلون فليثوق الواثقون ومن الحصص
ان العبد ينبغى ان يراعى احواله واحوال اولاده بحسب تدبير عقله
فانه لا ينافى التوكل اذا علم ان الامر بتقدير الله تعالى ومنها ان الله تعالى
حاكم فى الخير والشر ومنها انه ينبغى للعبد ان يتوكل على كل الامور ومنها
ان يعقوب كان يحب ان الكتمان ويعلم نفعه ولذا قال ليوسف
من قبل لا تقصص رؤياك على اخوتك ومنها ان ابناءه غدروا قبل ذلك وهو
لم يترك الفضل والاحسان اليهم فكذا الله تعالى لا يترك فضله واحسانه وان
عصوا عباده فهذا مع هذا فكيف بالمطيعين ومنها ان الطرق الى الله تعالى
كثيرة ومختلفة كما قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق فلا بد من السلوك
بالطرق المختلفة ومنها ان الاب لا يقدر على شئ سوى النصح للاولاد وكذا
المرشد لا يقدر على اولاد الطريقة سوى النصح لهم والفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء لكن لا بد للسالك التسليم التام والاستقامة والخلوص حتى يكون
مظهر الفيض ويقطع المسافة وينال مرامه جعلنا الله تعالى من الواصلين
بحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله
لا تدخلوا من باب واحد لا تسلكوا الطريق بفضيلة واحدة كالسخاء مثلا
دون الشجاعة ولا تسيروا على وصف واحد من اوصاف الله تعالى فان
حضرة الوحدة هى منشأ جميع الفضائل والذات الاحدية مبداء جميع الصفات
فاسلكوا طرق جميع الفضائل المتفرقة حتى تتصفوا بالعدالة وتسيروا على جميع

الصفات حتى يكشف لكم عن الذات الحجاب ويراد بقوله وما اغنى عنكم من الله
من شئ لا ادفع عنكم شيئا ان منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب بين كالامكم
فان العقل ليس اليه الا افاضة العلم لا اجازة الاستعداد ورفع الحجاب
ثم ان الله تعالى اخبر بان الحكم بيد لا بيد خلقه ولا يكون الا ما اراده وانما
الخلق يصرف قدرته ولا يدرى ما لال الامر حيث قال عز وجل ولما دخلوا
اخوة يوسف من حيث امرهم ابوهم من سكك وابواب متفرقة ما كان
يغنى يدفع عنهم دخولهم كذلك اوراى يعقوب واتباعهم له من الله
من شئ مما قضاه عليهم كما قال ابوهم فنسبوا الى السرقة واخذ بنيامين
لوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة
فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته
عليهم واحترازه من ان يعاقبوا قضيها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم
لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ
ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما يعلم يعقوب اوسن
القدر او ان الحذر لا يغنى عن القدر روى انهم لما بلغوا مصر تفرقوا ودخل
كل اخوين من باب واحد وبقى بنيامين عند باب الشام ولم يدر اين يذهب
ولم يجد احدا يعرف لسانه فنزل ملك الى يوسف وقال يا يوسف قم والبس
ثياب الغرباء واركب على ناقة بحيث لا يعرفك احد واقصد باب الشام
فان اخاك بنيامين واقف على ناقة وهو يسئل عن السبيل ولا يعرف الناس كلامه
فخرج يوسف ووصل اليه وقال بهوشامين وانا بيل معناه من اين الى اين
وما تريد قال له مين انون وهو اسوهم معناه جئت من الشام طالبا للغيرة
قال فمن انت ما فهم كلامى سواك قال كنت فى ديارهم ايا ما فتعلمت العبرانية
ثم دخلا فلما دنى يوسف ورأى اخوته ركبانا فقال امض بنحو اخوتك فبكى وقال
لا اريد ان افارقك وقد مال قلبى اليك قال يوسف انا عبد لا حد لا اقدر

على ان اوافقك الا باذنه فذهب بنيامين نحو اخوته لدى باب يوسف فالعبد
اذا تحير فى سبيله وكان طالبا لوصاله فصاحبه يهديه ويرشده لانه دليل
المتحيرين جعلنا الله من المحبين الصادقين الواصلين الى جنابه الاقدس
ومن الخصص ان النبى لا يدرى ما يكون عاقبة الامر الا ان يعلمه الله تعالى
ومنها ان الامتثال بامر الاب اهم والزم فى غير معصية الله تعالى وان لم يظهر
نفعه فان الامر بيد الله تعالى ومنها انه ينبغى للاب ان ينصح ابنه وان لم يقدر
على ايقاع الخير ومنها ان من وكل امرا وفوضه الى التقدير يمدح شعر كنت
عبدا كانا فى خدمته ان ليشا يختضى من رحمته ومنها ان العلم ممدوح
اذا كان العالم عاملا بموجب علمه ومنها ان اعظم القضاء على العبد الموت
ولا مدفع عنه ومنها ان الحاجة مرجعها الى علم ولهذا قيل من العلم ان يبذل
الانسان مجهوده طلبا للاصلح ثم يتوكل ومنها ان العالم بالقضاء قليل
ثم ان الله تعالى اخبر ما جرى بين يوسف واخوته من الاحوال والاقوال حيث
قال عز وجل ولما دخلوا اخوة يوسف على يوسف فى مصر وقالوا له قد
جئناك باخينا قال احسنتم قال وهب قال لهم يوسف هل بلغتم اباكم
ما قلت لكم قالوا نعم وقد ارسل اليكم الجواب مع ابنه هذا قال يوسف بما
ذا ارسلك ابوك قال انه يقرأ السلام ويقول انك سألتنى عن حزنى
وحزنى وكبرى وشيبتى ووهن عظمى وانى اطول الناس حزنا واحقهم
بذلك واخوفهم لربه واذكرهم لمعاده وانما كبرنى قبل اوان الكبر
تذكر يوم القيمة وشيبنى قبل اوان الشيب تذكر النار واوهن عظمى قبل
اوان الضعف الحزن على يوسف واضعف بصرى بكائى له وانا من اهل اكرمنا
الله بالبلاء وشرفنا ورفعنا به فنحن مخصوصون بعصمته فلا تصفولنا الدنيا
ولا تزال فيها مجتمعين مرزوعين وقد بلغنى تحزنك فى واهتمامك بامرى
وعرفت حقيقة ذلك حين سألتنى عن حالى وسألت عنى فكفى بالله جازيا

ومشيبا واعلم انك لن تكرمني بكرامة اعظم في صدري وابلغ في سروري من
ان تعجل لي ما تشبع به عيالي ثم تعجل الي سراح ولدي فتصل بهم وحدتي وتونسني
بهم وحشتي فلما سمع يوسف قول ابيه ورسالته بكى سرا فاشتد بكاؤه وحزنه
فاشتد حزنه وعن ابن عباس رض ان بنيامين كان كتب على ثوبه في مواضع
يوسف شوقا اليه وتسليا بالنظر الى اسمه مكتوبا في ثوبه فقال له يوسف
ما هذا قال اسم اخ لي اكله الذئب وتجتمع به فجعلت اسمه تذكرة لي وتسكينا
لقلبي فقال هل كنت هناك اذ اكله الذئب قال لا ولكن هؤلاء الاخوة ذكروا لي
ذلك فقال لهم اهو كذلك قالوا نعم قال سمعت ان فيكم من قلع الشجرة باصلها
ثم يضرب بها برجله فيجعلها قطعا قطعا اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا
واشاروا الى روبيل فقال يوسف اكله الذئب وانت فيهم هذا محال ثم قال
سمعت ان فيكم من يدرك الاسد بعدوه ويشق لحييه اهو كما سمعت
قالوا نعم هو هذا واشاروا الى شمعون قال اكله الذئب وانت فيهم وهذا محال
ثم قال سمعت ان فيكم من لو صاح على باب المدينة وضعت كل ذات حمل حملها
ولو صاح اخرى وضعت كل بهيمة حملها اهو كما سمعت قالوا نعم هو هذا
واشاروا الى يهوذا قال اكله الذئب وانت فيهم هذا محال فسكتوا وخجلوا
كذلك العاصي في القيمة اذا الزمته الحجة اوى اليه جواب لما اي ضم
الى نفسه اخاه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم
مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي
فاجلسه معه على مائدته في الخلوة ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا
لما ثاني له فيكون معي فبات عنده قال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فلما قال كذلك قال يوسف اني اخوك يوسف وقال اني انا ابدل اخيك
المفقود الهالك ولا تبتئس فلا تحزن اولا تبال اولا تكترث وحقيقته

لا تظهر

لا تظهر من نفسك البؤس اي الشدة بما كانوا يعملون بنا
فيما مضى فقد احسن الله تعالى الينا وماضى ناسعيهم فلا تعلمهم بامرنا
روي ان زاهدا رأى اربعة صبيان يتنازعون في جوز فقال انا اكسوه
واقسمه بينكم قالوا رضينا فلما كسره وجده خاليا وسمع هاتفا يقول
انت القسام فاقسم فعلم ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه
ممن يشاء ومن الحصص ان يوسف انزل اخوته الذين اساؤوه ضيفا
لان شان الكريم العفو ثم الفضل وكذا الله تعالى يعفو عن سيئات
العاصي فيتفضل عليه كما يعتق السيد عبده ثم ينزله في داره لانه للدار
للعبد المؤمن سوى الجنة كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم ومنها
ان الله تعالى يكلم عبده بعد ما وضع عليه كنفه ويقول اتعرف ذنب
كذا ثم يغفر ومنها انه ينبغي ان يكتب العبد اسم الله تعالى على قلبه بان
يكثر ذكره حتى يحصل له ولد القلب بحيث لا يغفل عن ذكره طرفة
عين لا حال اليقظة ولا حال النوم ومنها ان الله تعالى يخجل العاصي
بالحجة ثم يعفو ومنها ان الله تعالى جليس المنفرد وانيس المنقطع كما ورد
في الحديث القدسي انا جليس من ذكرني وانيس من استانسني ومنها
ان بنيامين لما سمع كلام يوسف اني انا اخوك سكن روعه كما قال الله تعالى
سلاما قولا من رب رحيم فان اسم الرحيم يفيد الراحة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا راحة للمؤمن دون لقاء الله اعلم ان بنيامين
لما عرف يوسف قال اذ وجدتك فلا افارقك ولا ارجع مع اصحابي
فقال يوسف قد علمت اغتمام الوالد بك واذا حبستك ازداد غمه
ولا يتهنا لي وجه صالح ولا يمكنني اخذك ورد ك الا بعد ان ارسيك
بامر فظيع فقال لا ابالي فافعل ما شئت وما بد الك فاني لا افارقك
قال فاني اوسم صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي

ذلك بعد تسريحك قال فافعل فوفى يوسف الكيل لكل واحد من اخوته
حمل بعير ثم دس فى رحل اخيه السقاية وهى مشربة الملك وكان يسقى
به وهى الصواع وكانت من ذهب مرصعة بالجواهر كال بها للاخوة اكراما
لهم فلما انفصلوا عن مصر نحو الشام ارسل من استوقفهم فوقفوا
كما حكى الله سبحانه وتعالى فلما جهزهم بجهازهم كال يوسف
لهم كيلهم جعل السقاية وضع ودس المشربة فى رحل اخيه
بنيامين يحتمل ان يوسف وضعها بنفسه فلما افتقدوا وطلبوا
وباظنوا اتهموا ويحتمل انه امر بعض خواصه بذلك ثم اذن
مؤذن ارسل الطلب فى اثرهم ونادى منادٍ معلما ومسمعا واسم
المنادى افرايتم من فتيان يوسف اعلم ان كل صوت عال يسمى
تأذينا واذا كان دون ذلك يسمى صياحا ايتها العير اى القافلة
التى تحمل الميرة والعير فى الاصل اسم للابل التى عليها الاحمال لانها
تعير اى تجئ وتذهب فقيل لاصحابها انكم لسارقون قيل كيف
يليق بيوسف وهو رسول حق ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة
واجيب بانه يحتمل ان المنادى قاله بظنه لا بامر يوسف وانما امر
يوسف بطلب الصواع او كان والنداء برضا بنيامين ومع هذا لابد
ان يراد بهذا الخطاب ان بعضكم لسارق اى فيكم سارق او جماعة
اشركوا فى السرقة وقيل معناه لسارقون يوسف من ابيه او انما قاله
بالوحى قالوا اخوة يوسف واقبلوا عليهم جملة حالية اى توجهوا
الى من ارسلهم يوسف فقالوا ماذا تفقدون اى شئ ضاع عنكم
فجئتم تطلبونه قالوا اى المنادى ومن معه نفقد صواع الملك وهو
اسم لذلك السقاية قال قتادة اى اناء الملك الذى يشرب فيه وقال
عكرمة هو اناء من فضة وقيل كان من نحاس والفقد غيبة الشئ عن الحس

بحث

بحيث لا يعرف مكانه ولمن جاء به لمن رد علينا صواع الملك حمل
بعير من الطعام جعلا له وانا قائل هذا القول المؤذن به بالحمل
زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الكفالة بغير
امر وعلى جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ومن الخصوص ان
بنيامين وصل الى المرام فنسى الآلام فالعبد اذا وصل الى الحق نسى
الفقر والغنى فى الدنيا كما ورد فى الخبر ما ضرك ما فاتك من الدنيا
اذا كنت لكم حظا ومنها ان الاخوة دخلوا على يوسف وما بقى عند
الا بنيامين ولهذا قيل الداخل كثير والواصل قليل ومنها ان يوسف
دبر امر بنيامين والا فكيف يمكن له الوصول والقبول فكذا الحق تعالى
يدبر فى تقريب عبده والا فكيف يتقرب اليه مع عوائقه الكثيرة ومنها
ان المنادى نادى جميع العير بقوله ايتها العير انكم لسارقون لئلا يلزم
الخجل لاحد بعينه وكذا قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
جميعا ولم يخص العصاة بالذكر لئلا يلزم الخجلة لهم ومنها انه كم من
عامل يظن بنفسه خيرا وهو سارق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسوأ السارق من سرق من صلوته اى من ركوعه وسجوده ومنها ان نسبه
السرقة من المنادى سوء ظن والحال انها دليل المقبول من يوسف
وقد يكون على احد دليل قبول وهو سارق مطرود ومنها ان طلب الصواع
مقصود ظاهرا والمقصود الاصلى هو بنيامين وكذا طلب العبادة من العبد
لله تعالى مقصود ظاهرا والمقصود الاصلى مجئ العبد الى الحضرة الالهية
فلا بد للعبد ان يروح اليها قبل ان يذهبوا به واذا اريد التفسير الانفسى
يراد بقوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ان الحواس اشتغلوا امر
العقل بسلوك طرق جميع السالكين وهو لم يغن عنهم من جهة الله من
شئ اى لم يدفع عنهم الاحتجاب بحجاب الجلال والحرمان عن لذة الوصال

لان العقل لا يهتدى الا الى الفطرة ولا يهدى الا الى المعرفة واما التنور
بنور الجلال والتلذذ بلذة الشوق بطلب الوصال وذوق العشق بكمال
الجلال والجمال بل جلال الجمال وجمال الجلال فامر لا يتيسر الا بنور الهداية
الحقانية الا حاجة فى نفس يعقوب هى تكميلهم بالفضيلة وانه لذو علم
لتعليم الله اياه لاذو عيان وشهود ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيحسبون الكمال ما عند العقل من العلم او الحواس لا يعلمون علم العقل
الكلى اوى اليه اخاه لتناسب بينهما فى التجرد جعل السقاية فى رحل اخيه
مشربته التى يكيل بها على الناس اى قوة ادراكه المعقولات عند التجرد
عن ملابسة الوهم والخيال والقوة المدبرة لامر المعاش المشوبة بالوهم
فى اول الحال وسنته الى السرقة لتعوده بادراك الجزئيات فى محل الوهم
من المعانى المتعلقة بالمواد وبعده عن ادراك الكليات والمؤذن الذى
نسبهم الى السرقة هو الوهم لوجدان الوهم تغير حال الجميع عما كانت عليه
وعدم مطاوعتها له وتوهمه لذلك نقصا فيهم والجعل الموعود لمن يجئ بالصواع
هو التكليف الشرعى الذى يحصل بواسطة العقل العملى عند استنارته
علم ذلك من القلب والصواع هو القوة الاستعدادية التى يجعل بها علما
قالوا اخوة يوسف تا الله قسم فيه معنى التعجب اى بلازمه التعجب
غالبا والمعنى بها اعجب حالكم انتم تعلمون علما جليا لا ريب فيه لما
شاهدتم من احوالنا لقد علمتم بما رأيتم ما جئنا من كنعان لنفسد
فى الارض ما جئنا لنعمل المعاصى ونحن احد فى ارض مصر وما كنا
سارقين اى لم نتصف بالسرقة قط احتجوا بعلم يوسف وقومه
من المؤذن وغيره على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرة فى مجيئهم
ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرة البضاعة التى جعلت
فى رحالهم وكشفوا افواه دوابهم لئلا تتناول زرعا وطعاما فلو كانوا

سرقا

سراقا ما فعلوا ذلك ومن الحصص انهم يدعون الفضل لانفسهم الان
ولا يذكرون ما وقع منهم قبل مجيئهم بارض مصر والحال ان يوسف يعرف
احوالهم واعمالهم السابقة وكذا الشيخ يدعى البراءة زمان شيخوخته وينسى
حاله فى شبابه والله تعالى يعلم اعماله واحواله فينبغى ان لا ينسى بل يتفكر ولا يغتر
بهذه الحالة ومنها انهم ظنوا ان الصواع ليس فيهم ثم ظهر خلافه وكم من مدع
الخير ولا خير فيه قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومنها
انهم قبل ان يتفحصوا حالهم ادعوا البراءة فلما قال ان يحاسب قبل ان
يحاسب ثم يدعى البراءة قالوا اى فتيان يوسف ابناء يعقوب وكان الحكم
فى ارض مصر للسارق الضرب والتضمين وكان الحكم بارض كنعان انهم
ياخذون السارق ففوضوا الحكم الى بنى يعقوب ليحكموا بحكم بلادهم فقالوا
فما جزاؤه اى عقاب السارق والصواع على حذف المضاف اى سرقته ان
كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا اخوة يوسف جزاؤه من الذى وجد
الصواع فى رحله اى جزاؤه اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه يعتمد
المسروق هكذا كان فى شرع يعقوب عم كالقطع فى شرعنا فهو جزاؤه
كرر لتقرير الحكم وتاكيده كذلك نجزى الظالمين بالسرقة فى شرع
يعقوب وقيل لم يكن ذلك حكم شرع يعقوب بل كان حكم اهل مصر
فبادروا بالتزام هذا الحكم قبل ان يجبروا عليه وقيل لم يكن ذلك احد
الفريقين وانما هو شئ اتفق لهم القول به ثقة منهم بانهم لم يسرقوا ففعلوا
التهمة عن انفسهم بالتزامهم اغلظ ما يكون رسما او حكما فى السراق وكان
ذلك امرا اراده الله تعالى انما ما يريده يوسف من احتباس اخيه عنده فاجرى
هذا القول على السنتهم وقيل انما شرطوا على انفسهم ذلك الهاما من الله تعالى
لهم واعلاما ان من سرق الصواع استحق العبودية بسرقته فكيف من سرق
صاحب الصواع وايجابا عليهم ان جميعهم يستحقون ذلك الجزاء فانظر

كيف غفلوا عن حجة لهم وهي ان يقولوا اجعل الصواع في رحالنا ونحن لا نعلم
ثم نطلقوا بحجة عليهم وهو قولهم كذلك نجزي الظالمين بالسرقة ومن الخصص
انه رب قائل يحكم على غير ويعظه وحكمه يجري عليه وهو غافل وعن
الاتعاظ ذاهل شعر يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * اذ عبت منهم
امرا انت تأتيها ومنها ان بنيامين حبس بما وجد في رحله فانظر الى
عملك هل تحبس به قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ومنها ان الاتكال
لا يفيد اذا لامر يظهر بالتفحص وهو سبب لهلاك البعض قال عليه السلام
من توقف في حسابه فقد عذب ومنها ان الادعاء سهل والصدق فيه مشكل
لان الادعاء يتأتى باللسان ولا حاجز له بيت لانه عن خلق وتأتي مثله *
عار عليك اذا فعلت عظيم * ومنها ان بعض القصص ممدوحة وبعضها مذمومة
فاجتهد ان تبقى قصتك جميلة ثم ان اخوة يوسف لما افتوا بان جزاء
السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لا بد من تفتيش اوعيتكم
لانهم ردوا الى مصر فبدأ المؤذن او يوسف باوعيتهم بتفتيش اوعية
غير بنيامين قبل وعاء اخيه نفيا للتهمة عن قتادة رض قال كلما فتح
متاع رجل استغفر تائبا مما صنع حتى بقي متاع بنيامين فقال ما اظن
هذا اخذ شيئا قالوا بلى وقيل قالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه
اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها الستقاية او الصواع لانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه بنيامين فحبسه عنده بمقتضى فتواهم
قال وهب قالوا لا والله يعقوب ما هكذا كان جزاؤنا منكم الم نكرم ضيافتكم
ونوف كيلكم ونحسن نزلكم ونفعل بكم ما نفعل بغيركم الم ندخلكم في منازلنا
وبيوتنا فقالوا ما نعرف بهذا ولا نوصف به تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين لكن كما كان ما كان فنكسوا على رؤسهم وانكسرت
قلوبهم وانقطعت السنتهم وخلوا باخيهم وقالوا يا ابن المشومة واخا المشوم

ما هذا

ما هذا من شوم امك وشوم ولد ما بيديع ولولا انتمرنا في اخيك امرا جازما
لجز علينا اعظم من جريرتك فما حملك على ان تسرق صواع الملك فتفضحنا
وتفضح نفسك وتزري بابيك الصديق وليس هذا باول ما ساءتنا امك
بولد فاحق في يوسف حين صرف وجه ابينا عنا فحملنا شومكم على ان احزنا
وبعنا اخانا ولو كنا فعلنا ذلك بك لاسترحنا ولخلا لنا وجه ابينا
فقال لهم بنيامين اسمعوا مني يا اخوتاه ولا تتجلوا علي ولا تشتموني فاني
سأتيكم بوجه من الحق تعرفونه وتعرفون به براءتي وعذري لستم تعلمون ان
بضاعتكم قد دست في رحالكم يوم صددتم من عند هذا الملك بغير علم منكم
فان كنتم انتم سرقتموها ودسستموها في رحالكم كنت انا سرقت الصواع
ودسسته في رحلي وان كنتم لا تدرون من دس البضايع في رحالكم فكذلك
لست ادري من دس الصواع في رحلي والا فاعلموا ان هذا الملك يريد بكم امرا
فهو يكرمكم من اجله فلما قال لهم هذا نظروا فيما قال فاخذ بانفسهم وتعلق
بقلوبهم فصدقوه فلما رجعوا الى يوسف ودخلوا عليه قال لهم كيف رأيتم
فراستي فيكم وعلمي بامركم اليس قد اخبرتكم اول يوم رأيتكم انكم سرّاق فانكرتم
وحلفتم وايم الله لا تبرحوا حتى اسأل الصواع عنكم فتخبرني خبركم فانه غضبان
عليكم من اجل انكم سرقتموه فهو خليق ان يفضحكم وان لا يستر شيأ من مساويكم
ثم قال يوسف للامين سل هذا الصواع عن خبر هذا القوم وحذره ان يكتم
شيأ من دخلة امرهم فنقره الامين ثم قال اخبر الملك بالذي سألك عنه
فظن الصواع ساعة والامين مصغ اليه باذنه فلما سكت الصواع قال
الامين ان الصواع يقول لك ايها الملك ان هؤلاء القوم ليس هذا باول
ما سرقوا انهم سرقوا قبل صواعك هذا غلاما حرا باعوه قال زد فسله
عنهم وقل له يخبرني من اخبارهم فنقر الصواع فظن فهو مصغ اليه باذنه
فلما سكت الصواع قال الامين انه يقول ان اخاهم الذي اخبرولاه انه قد مات

حى ولكنه مغترب بارض بعيدة وهو بها حى سليم وزعم الضواع انهم لم يفقدوه
عن هلاكه كيف كان هلاك وانه لا تنقضى الايام والليالى حتى يرجع الغلام
فيخبر الناس اخبارهم قال زد فسله عنهم وقل له يخبرنا من اخبارهم فنقر الاميز
فطن وهو مصغ اليه باذنه فلما سكت الضواع قال الامين ايها الملك ان هؤلاء
القوم اخبروك انهم لام واحدة كذبوا ولكنهم لعلات وانما جمع الفتهم غدرة
غدروها بابيهم ولولا ذلك لكان بينهم ما يكون بين اولاد علات قال زد
فسله عنهم وقل له فليخبرنا من اخبارهم فنقره فطن وهو مصغ اليه باذنه
فلما سكت الضواع قال الامين ايها الملك ان الضواع يقول لك ما على ظهر
الارض من عصابة هى اكذب من هؤلاء القوم لقد كذبوا اباهم كذبة ما استقام
بعدُ ولا غفرت لهم قال زد عليه فسله عنهم فليخبرنا فنقره فطن وهو مصغٍ
اليه باذنه فلما سكت قال الامين ايها الملك ان الضواع يقول ما دخل
على ابى هؤلاء القوم مذ عقلوا هم ولا حزن ولا بلاء ولا بكاء الا من جهتهم
وبسببهم وعلى ايديهم وبجرائرهم فلما خافوا ان يبلغ بهم الخبر والسائل
شأن يوسف وفعلهم الذى فعلوا به وبابيهم اكبوا على يوسف فالتزموه
يقبلون رأسه وقدميه ويسئلونه بالله ويذكرونه به ويقولون نسئلك
بالذى فضلك على العالمين وشبهك بالنبيين لما سترت العورة وأقلت
العثرة وكنت عبد حسن الظن بك والرجاء فيك وحفظت رسالة ابينا
يعقوب اليك ووصيته فينا ورحمت ضعفه وكبره ووحدته بعدنا
ووحشته بغيبتنا فرق حين ذكروا اباه وادركته الرحمة لهم فقال اما
والله ولاحرمة يعقوب وحقه ورسالته ووصيته لنكلتن بكم من خلفكم
ولشرّدت بكم السراق واللصوص فانطلقوا فقد عفوت عنكم قيل
لم تعل يوسف باخوته ما فعل من التخويف والتعيير وهو كريم واجيب
بانه انما فعله تكفيرا لما فعلوه مع ابيهم فى امر يوسف وتفهيما لهم ما يستحقونه

على

على ما قد موا التوبة واعترفوا فيغفر لهم لان العفو يكون للمقدور المضر
كذلك مثل ذلك الكيد كدنا اخوة يوسف ليوسف لاجله
ليتهيأ له حبس اخيه اى علمناه اياه واوحينا به اليه لان حقيقة
الكيد مستحيل فى حقه تعالى وقيل اى فعلنا بهم من الكيد كما فعلوا بيوسف
والكيد من الناس الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق وقيل اى اتممنا
وقيل هذا الكيد من الحيل الشرعية التى تتوصل بها الى مصالح دينية كقوله تعالى
لايوب عم وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكقول
ابرهيم عليه السلام هى اختى لتسلم زوجته من يد الكافر وما الشرايع كلها
الا مصالح نافعة وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد كما لا يخفى على
العاقل ما كان ما يصح ليأخذ يوسف اخاه بنيامين فى دين
الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون
الاسترقاق وهو بيان الكيد قال ابن عباس رض فى دين الملك اى
فى سلطانه وقال قتادة فى قضائه وقال مجاهد فى سنة الملك الا ان
يشاء الله الاستثناء متصل اى ما كان ليأخذه فى حالة الا فى
حال كونه ملتبسا بمشية الله تعالى واذنه للملك اى ان يجعل ذلك
الحكم حكم نفسه فالاستثناء اعم من الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اى لكن اخذه بمشية الله تعالى واذنه وهذا على قول من جعل استرقاق السارق
حكم يعقوب دون اهل مصر واما على قول من عكس هذا القول فتأويله كذلك
كدنا ليوسف فى اظهار السرقة على اخيه فما كان له اخذه فى حكم ملك مصر
الا بالسرقة فالمشية على هذا واقعة على وقوع السرقة منه ودلت الاية
على ان افعال العباد حسنها وقبيحها بمشية الله تعالى ودلت على ان جميع
ما فعله يوسف كان بالوحى فلا يرد ان يقال كيف اخوف اخوته واحزان
ذلك الشيخ الكبير وغير ذلك نرفع بالعلم درجات بالتنوين ظرف

من نشاء كما رفعنا درجته فمحل الموصول نصب على انه مفعول
وقرئ بغير تنوين بالاضافة فهو مفعول وقال بعضهم معناه نرفع
درجات من نشاء بتعليم العلم فى كل باب والا يصال به الى المحاب
ولما ذكر رفع الدرجات بسبب العلم الذى به يرفع من يشاء كقوله تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اراد ان يبين
ان لا نهاية للعلم تنبيها على نباهة شانه وكمال فضله وشرفه فقال
عز وجل وفوق كل ذى علم عليم اى ليس فى العالم من عالم الا
وفوقه اعلم منه يعنى فضلنا بعضهم على بعض فى مقادير العلوم وقيل
وفوق كل علم من الناس عليم حتى ينتهى العلم الى الله تعالى فلا يكون
فوقه عليم قيل ان رجلا سال عليا رض عن مسئلة قال فيها قولا ان
فقال الرجل ليس هكذا ولكن هو كذا وكذا فقال على رض اصبت
واخطات وفوق كل ذى علم عليم وروى عن سعيد بن جبير انه ابن عباس رض
حدث بحديث فقال رجل عند الحمد لله وفوق كل ذى علم عليم قال
ابن عباس رض ان الله هو العالم وفوق كل عالم ومن الخصص انه بدا
باوعيتهم قبل وعاء اخيه لانهم كانوا اكبر فبلا وهم اكثر ومنها
ان السؤال عام قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم وقال فوربك
لنسئلنهن اجمعين ومنها ان الصواع لما وجد فى رحل بنيامين
تكسوا رؤسهم فالعصاة كذلك عند الله تعالى كما قال ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ومنها ان الوانهم تغيرت بغير
جرم منهم فى ذلك فكيف حال المجرمين عند الملك القهار ومنها
انهم غيروا بنيامين وهو يضحك لعلمه بحال يوسف فمن كان
مع السلطان الحقيقى ستر نصيحك ويكون مسرورا ومنها ان
يوسف خلع على الاخوة خلعة ووضع على بنيامين تهمة وهم

محجوبون وهو مقرب فكم من نعمة تصير بسبب البعد وكم من معصية
تصير بسبب القرب بكون صاحبه نادما على ما فعله ومتوجها اليه
بخلوص البال روى عن على رض انه قال يقول العاصى يوم القيمة اللهم
رخص لى ان اسجد لك شكرا لما ابتليت بالمعصية دون الكفر فيغفر
الله تعالى له بلطفه وكرمه قيل فى هذا المعنى شعر الهى عبدك العاصى
اتاك ٭ وجاء خائفا يرجو لقاك ٭ وان يك يا رحيم قد عصاك ٭ فلم يسجد
لمعبود سواك ٭ ومنها ان الملك اذا اراد امرا لا يمكن رده ومنها انهم
طعنوا فى بنيامين ولم يعلموا عاقبة امره فينبغى للعاقل ان لا يطعن
احدا ولا يزدرى به لانه يحتمل ان يفوق عليك ومنها ان التخويف
والتعيير لا صلاح ولفائدة ما مستحب ومنها ان تاخير التوبة مذموم
بل لا بد لمن صدر منه ذنب ان يتوب عقيبه لان الموت بين يديه ٭
ومنها ان الناس يخافون افشاء عيوبهم فى الدنيا ولا يخافون يوما
تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه ومنها ان وجدان جزاء السيئة
فى الدنيا اولى ليكون كفارة لها ومنها ان اخذ الاخ تيسر ليوسف بالعلم
فهو اشرف وافضل فان اردت الوصول الى الله تعالى والقربة اليه
فكن ساعيا فى العلم بخلوص البال وتب عن المعاصى حتى تيسر تحصيله
ومنها انه ما تيسر له اخذ الاخ على دين الملك فلا يمكن لك اخذ الاخ الدينى
على عادة الحاكم الدنيوى ومنها ان الاستثناء يدل على ان وقوع شئ
على خلاف العادة المشروعة نادر وان الله تعالى على كل شئ قادر
ومنها ان علم يوسف انما كان نافعا له بمشية الله تعالى ومنها
ان افعال العباد كلها بمشية الله تعالى قال الله تعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله رب العالمين ومنها انه كم من عمل يقع يرى ظاهره
مكروها وهو خير محض ومنها انه ينبغى للعالم ان لا يستكثر علمه

محجوبون

لان المرء لا يحيط بجميع العلوم اذ فوق كل ذى علم عليم كما قيل فى هذا
المعنى شعرا حوى العلم جميعا احد • لو لو دارسه الف سنة •
انما العلم بعيد قعره • فخذوا من كل علم احسنه ومنها ان المرء لا يصير
اعلم العلما من كل الوجوه ومنها ان اعتراف المرء بجهله من العلم •
سئل الشعبى عن مسئلة فقال لا ادرى فقيل له اما تستحيى وانت
مفتى العراقيين فقال ان الملائكة المقربين قالوا لا علم لنا الا ما
علمتنا فمن انا وقيل ان عالما سئل عن مسئلة وهو على المنبر
فقال لا ادرى فقال له السائل ليس هذا مكان الجهال فقال
المكان للذى يعلم ويجهل شيئا اما الذى يعلم ولا يجهل شيئا
فلا مكان له ومنها ان العوام لا ينبغى لهم ان ينسبوا العلماء بعدم الجواب
لبعض المسئلة الى الجهل لانه ازدراء بهم وفيه خوف عظيم واذا اريد
التفسير الانفسى يراد بالمفتش اى مستخرج الصواع من رحل اخيه الفكر
الذى يجثه القلب ليجتس رحل العقل ولما كان دين روح القدس تحقق
المعانى والمعارف والحقايق النظرية مما يتعلق بالعمل يصير العقل عند القلب
لان القوة الاستعدادية وجدت عندهم وما كان ليأخذ اخاه بالبعث على العمليات
والاستعمال على الفضائل فى دين الملك لان دينه العلم الا ان يشاء الله
اى وقت تنوز النفس وتفسح الصدر القابل للعمليات وذلك هو رفع الدرجات
لان النفس ترتفع الى درجة القلب والقلب الى درجة الروح فى مقام الشهود
وفوق كل ذى علم عليم كالعقل العملى فوق العقل النظرى وفوقه الروح وفوقه
روح القدس والله تعالى فوق الكل لانه علام الغيوب كلها اعلم ان الصواع
لما خرج من رحل بنيامين افتضح الاخوة واراد ان تبرئ ساحتهم عن السرقة
قالوا اخوة يوسف ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له بعقوب
يوسف من قبل اختلف فى وجه اضافتهم السرقة اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما

ومجاهد كانت لابراهيم منطقة كان يتوارثها الكبراء من اولاده فورثها
ابنه اسحق ثم وقعت الى رحمة بنت اسحق اخت يعقوب وكانت اكبر اولاد
اسحق وماتت ام يوسف راجيل فحضنت رحمة يوسف وكانت تربيه الى ان
شب وكانت لا تصبر عنه ساعة فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها
ويرده الى منزله فعلمت بذلك اخته فشدت المنطقة على وسط يوسف
وبعثت به الى يعقوب ثم انت على اثره فقالت فقدت المنطقة ولم اجدها فتى
ففتشوا ثياب يوسف فاذا المنطقة على وسطه وكانت سنة ال يعقوب
استرقاق اللصوص والسراق ثلثة اشهر فردت يوسف الى منزلها ثلثة
اشهر فذلك قولهم فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان يوسف سرق المنطقة
وقال وهب كان يجيء الطعام من المائدة للفقراء وقال كعب كان يوسف
فى المنزل وحده فاتى سائل وكان فى المنزل عناق وهى الانثى من الجدى فدفعها
الى السائل من غير امر ارباب وقال ابن اسحق كان فى منزل يعقوب جرونة فيها صنم
لجدام يوسف فحمله يوسف والقاه فيما بين الجيف وغطاه بالتراب وقال
سفيان بن عيينة سرق يوسف دجاجة كانت فى بيت يعقوب فاعطاها
سائلا وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه ومقصودهم الاخوة ان هذه الواقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه
الذى هلك كان ايضا سارقا ونحن اسنا على طريقتهما لانهما من ام اخرى
قيل يفهم منه ان الاولى بالرجل ان لا يتزوج بامرأتين خوفا مما يقع بين الاولاد
ومن الخصص ان يوسف اكرمهم وانعم عليهم وهم لم يتركوا القبيح فلذا الله تعالى
يعطى العصاة النعم وهم لا يتركون العصيان ويسندونه الى الله تعالى بان يقولوا
قضى الله علينا فى الازل ومنها ان حسن الصورة قد يصير سبب التهمة ومنها
ان الصنم لا يقدر على دفع السارق عنه والكفار يعبدونه لكمال جهلهم
روى انه كان راعى فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع كل يوم صنمه

ومجاهد

فى المخلاة ويعبده فى المفازة فبال الكلب على الصنم فضرب الكلب وكذلك
اتى اربعة ايام فترك الكلب فى البيت فذهب بصنمه وغنمه الى الجبانة ووضع
الصنم ليحرس الغنم فجاء ثعلب فبال عليه فلما راى ذلك جاء الى سيد
المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم وانشا يقول هذه الابيات
قطعة اربٌّ يبول الثعلبات برأسه • لقد ذل من بال عليه الثعالب •
ولو كان ربا يمنع نفسه • ولا خير فى رب تزدريه المطالب • برئت من
الاصنام والشرك كله • فامنت بالله الذى هو الغالب ومنها ان كرم
يوسف كان فوق الحد ولذا لم يكافئهم من جهة الفعال ولا من جهة المقال
كما قال تعالى فاسرها اخفى هذه المقالة او الاجابة او نسبة السرقة اليه
يوسف فى نفسه حلما منه وشفقة عليهم ولم يبدها لهم لم يظهرها
لهم اى لم يقل انا يوسف وما سرقت قط فلم كذبتم على وقيل كناية بشريطة
التفسير يفسرها بقوله قال يوسف انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها
والمعنى قال فى نفسه انتم شر منزلة عند الله فى السرقة لسرقتكم اخاكم
وكذبكم بقولكم اكله الذئب او فى هذا الصنيع بما كنتم عليه لان يوسف
اخذ الوثن لئلا يعبد وليس هذا بمذموم والله اعلم بما تصفون بما تقولونه
من السرقة اى وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون وعن ابن عباس رض قال عوقب
يوسف ثلث مرات احدها فى السجن بمقالة زليخا والثانى حين قال اذكرنى
عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين والثالث حين قال انكم لسارقون فردوا
عليه وقالوا فقد سرق اخ له من قبل وفى هذا القول حصص منها ان القول
الكاذب ربما يكون سبب الكربة لحكمة فان صبر عليها ينال اجرا عظيما ومنها
ان من كان فى قرب الحضرة الاحدية اذا التفت الى الغير بادنى التفات نُبِّهَ
فى الحال لينزجر عنه ومنها ان نسبة السوء الى قريبه لا تليق بشان الكرماء
وان كان متصفا به لان الكرم مقتضاه العفو فاذا عمل بخلافه نُبِّه فى الحال

فاللائق

فاللائق للكريم ان يتجاوز عن المسئ واذا كان اللائق بكرم العباد هذا
فكيف كرم اكرم الاكرمين وارحم الراحمين غفر الله تعالى ذنوبنا وادخلنا
بفضله وجوده دار النعيم وشرفنا بمشاهدة جماله بحرمة نبيه الحليم
واذا اريد التفسير الانفسى يقال معنى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
ان القلب استعد لهذا المعنى من قبل دون القوى فبقوا منكرين القلب والعقل
مبقين اياهما عند اباهما لتحصيل مطالبها وما قيل من انه كان لابرهيم
منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثتها من استحق عمة يوسف لكونها
كبرى من اولاده الخ كما مر فهى اشارة الى مقام الفتوة التى ورثها من
ابرهيم الروح قبل مقام الولاية وقت شبابه وقد حضنتها عليه النفس
المطمئنة وخضت القلب بعد وفاة راحيل اللوامة واراد يعقوب
المربى انتزاعه منها واحتالت هى حتى توفيت بالفناء فى الله فى مقام
الولاية او اشارة الى ان العقل يريد الترقى الى كسب المعارف والحقايق
واذا وجده موصوفا بالفضائل فى مقام الفتوة رضى به وتركه عند النفس
المطمئنة سالكا فى طريق الفضائل حتى توفيت بالفناء فى الله فى المقام
الولاية ويراد باسرار يوسف كلمة علمه بقصورهم عن ادراك مقامه
ونقصانهم عن كماله فهذا معنى قوله انتم شر مكانا والله تعالى اعلم
قالوا اخوة يوسف يا ايها العزيز لقب بذلك لعزته فى الدولة لان العزيز
المنيع وقد لقب به سيده من قبل ان له لبنيامين ابا شيخا ضعيفا
كبيرا فى السن او القدر يحبه كثيرا يشق عليه فراقه ذكروا له حاله
استعطافا له عليه والكبير فى القران جاء لمعان احدها هذا المعنى
والثانى الكثير قال تعالى ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله
يعنى قليلا او كثيرا والثالث العظيم قال تعالى الكبير المتعال والرابع
الطويل قال تعالى ان انتم الا فى ضلال كبير اى شقاء طويل والخامس

الشديد قال تعالى نذقه عذابا كبيرا والبتادس الاعلم قال تعالى انه لكبيركم
اى اعلمكم والسابع الاعقل قال تعالى قال كبيرهم وهو يهوذا وكان روبيل
اكبرهم سنا وانما استشفعوا بكونه شيخا كبيرا ولم يقولوا رسولا نبيا
لان الشيوخ لهم حرمة والكبير فى السن داع الى المرحمة فقالوا ذلك استعطافا
كما قال فى قصة شعيب وابونا شيخ كبير وفى قصة زكريا وقد بلغت من الكبر
عتيا فخذ احدنا مكانه فخذ واحدا منا عبدا بدله فان اباه كثير الكلف
على اخيه الهالك مستأنس به انا نريك من رؤية القلب من المحسنين
الينا فى الانزال والضيافة والكيل ورد البضاعة وقد تحسن فى معاملات
الناس فاحسن الى ابينا برد هذا الولد اليه واحسن الينا بصرفه معنا
فنزول مؤاخذة ابينا عنا وقيل اى من المتعودين الاحسان فلا تغيرعادتك
والجملة استينافية لبيان الموجب وقال الامام القشيرى قدس سره
ظنوا ان واحدا منهم يقوم مقامه فيما هو مقصوده ولا بدل عن المحبوب
قال قائلهم ابى القلب الا حب ليلى ويقضت الى النساء مالها ذنوب
ولذا قال يوسف معاذ الله نعوذ بالله معاذا ان نأخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب عنده اى فنعوذ
بالله ان نأخذ غير الجانى فى حقنا ولم يكن التعوذ من ترك اخذ بنيامين
بل من اخذ غيره فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه
انا اذا لظالمون فى مذهبكم وان مراده ان الله تعالى اذن ان آخذ
من وجدنا الضواع فى رحله لمصلحته ورضاه فلو اخذت غيره كنت
ظالما بالعمل على خلاف ما اذن الله تعالى فيه قال وهب قال لهم يوسف
تزعمون انكم اولاد الانبياء فتجدون فى حكم النبوة ان يؤخذ البرئ ويترك
المذنب اهكذا حكم يعقوب فغضب يهوذا حتى قامت شعرة فى ظهره
كانت تقوم اذا غضب فلا تسكن تلك الشعرة حتى يمسه بعض ولد

يعقوب

يعقوب فقال والله لئن سلمته اولا صيحن صيحة لا تبقى حبلى فى
ملكك الا وضعت ما فى بطنها فلما هم ان يصيح قال يوسف لابنه
اذهب فخذ بيده فأتنى به فاخذ بيده فجاء به الى ابيه فسكن غضب
يهوذا فقال والله لقد اصابتنى كف انها لمن ولد يعقوب فكف من
هى قالوا كف ابن الملك قال فوالله انه لينبغى ان يكون من ولد يعقوب
فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة او من بنيامين ان يرد عليهم خلصوا
اعتزلوا وخرجوا من بين الناس نجيا جماعة متناجين اى يتناجون
بينهم ليس معهم غيرهم وهو مصدر فى الاصل فصل للواحد كما فى قولك
وفر بناء نجيا وللجمع كما فى هذه الاية وقيل النجى جمع الناجى كالندى
جمع النادى وخلصوا نجيا من فصيحات القرآن واصله الصفاء
عن الشوب اى لم يبق معهم غيرهم يقول لما قنطوا من رده اليهم
انفردوا خالصين لا يختلط غيرهم بهم يتناجون اى يتسارون فى
الامر الذى عرض لهم ماذا يضعون ايرجعون الى ابيهم ام يقيمون بمصر
الى ان يعلموه خبر اخيهم او يقاتلوا يوسف فى استنقاذ فيهم ومن
الحصص ان اخوة يوسف كانوا يريدون العزة لانفسهم والذلة ليوسف
فصار الامر بالعكس حيث قالوا مستذلين يا ايها العزيز ومنها ان ابنى
شعيب قالنا وابونا شيخ كبير فحصل مرامهما واخوة يوسف لم يقولوا
ان لنا ابا شيخا كبيرا فلم يحصل مرامهم ومنها انهم ذكروا كون يعقوب
شيخا كبيرا لان له عزة وكذا الشيخ عزيز عند الله تعالى ومن شاب
شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيمة ومنها ان يوسف لم يسلم
بنيامين الى اعدائه فكذا الله تعالى لا يسلم العبد الى الاعداء بل يأخذ
عنده سبب من عنده فيغفر له ومنها ان المؤاخذة فى القيمة للمجرم

لا للمطيع ومنها ان اخذ بنيامين كان للشفقة عليه فكذا الله تعالى
يوم القيمة يأخذ العاصي ستر ويغفر له ومنها ان يوسف كان وضع
الصواع ولذا لم يقل من سرق فكذا الله تعالى قضى الذنب على العبد ولذا
قال توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون ولم يقل ايها المذنبون ومنها ان المراد
اذا لم يحصل في الكثرة لابد من الرجوع الى الخلوة واذا اريد التفسير
الانفسي يراد بالذي اقترح ان يأخذ يوسف القلب مكان اخيه
العلمي وهو الوهم لمداخلته في المعقولات ولما وجد القلب متاعه
من ادراك المعاني المعقولة عند العقل العلمي دون الوهم قال معاذ الله
ان اخذنا الوهم مكانه اذا لظالمون اي لو وضعنا الشئ في غير
محله والمراد بيأسهم حرمان القوى من تدبير الوهم قال كبيرهم
في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او في الرياسة وهو شمعون
وقيل لاوى الم تعلموا الجملة مقول القول ان اباكم يعقوب
قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا من الله في هذا الغلام لتأتنني
به لترد ونه الي وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد
من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ايضا الم تعلموا ما فرطتم فضرتم في
يوسف في شانه وما فرطتم له ثلثة اوجه احدها ما مع الفعل مصدر
واعرابه الرفع وهو خبر من قبل اي ومن قبل هذا تفريطكم وقيل نصب بوقوع
الم تعلموا تفريطكم في امر يوسف وقيل ما صلة زائدة وتقديره ومن قبل فرطتم
في يوسف اي قصرتم في امره وضيعتموه فلن ابرح الارض من جملة المقول
اي فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه وقيل في القتال
او يحكم الله لي او يقضي الله لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بان
يظهر عذري عند ابي فاخبر ارجع او يحكم الله بالسيف ان حاربهم واخذ
الاخ منهم وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ولا خطأ

في حكمه

في حكمه ولا زلل ولا رشوة ولا حشمة ومن الخصص ان كلام الكبير
والمجرب للامور هو الكبير عند العقل فينبغي ان يعتمد عليه ويعمل به
ومنها انه ينبغي ان يحترز العبد عن نقض العهد الواقع بينه وبين المخلوق
فكيف نقض العهد الواقع بينه وبين الخالق اذ قال الست بربكم قالوا بلى
ومنها انه احتراز عن نقض عهد واحد فينبغي للعبد ان يحترز عن نقض
عهود كثيرة اذ كم من تائب تاب عن ذنوب ونقض توبته مرارا ومنها انه
ينبغي للعاقل ان يتذكر ما وقع منه من التقصير ولا يغتر بمدحة الناس
لان مدحهم لا يفيد قربا من الله تعالى ومنها ان المرء يقول لن ابرح الارض
ولا يدري ان الاجل بغتة يتركها البتة فينبغي للعاقل ان يجتهد في
استعداد الموت ولهذا قيل امرء لا تعرفه متى يلقاك استعد له قبل ان
يفجاك واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالكبير القوة الفكرية التي هي
احسن رأيا في يوسف القلب اذ منعت سائر القوى عن قتله ومعنى قوله
فلن ابرح الارض الخ انه لا اتحرك الا بحكم العقل دون الوهم او بامر الله دون
هوى النفس اعلم انهم لما تناجوا وتفكروا وقال كبيرهم ان ابانا قد اخذ
علينا ميثاقا غليظا ونحن متهمون في حق يوسف بل التفريط صدر منا
فانا لا افارق ارض مصر الا ان ياذن لي قال هذا الكبير اخوة ارجعوا
الى ابيكم وانا مقيم بمصر واوضحوا له عذركم فقولوا ايها الاخوة يا ابانا
اضافوا الى انفسهم تشريفا لانفسهم وتعظيما له ان ابنك بنيامين
سرق اي حكم عليه بسرقة صواع الملك قيل كيف حكموا عليه انه سرق
بمجرد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه غيره فيه لحكمة
مع ان بنيامين قال لهم ان كان هذا مصححا للنسبة السرقة يلزم ان تكونوا
سارقين لوجود البضاعة في رحالكم كما مر واجيب بان حكمهم بناء على
ظاهرها شاهدوا ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا

وما شهدنا عليه الا بما علمنا بما رأينا ان صواع الملك استخرج من
وعائه ولا انقطع عليه بالسرقة وما كنا للغيب بباطن الحال من اموره
في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين فلا ندري انه سرق او سرق
ودس الصواع في رحله او ما كنا لعواقب الامور عالمين فلم ندر حين اعطينا
الموثق ان ابنك سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا
ذلك لما ذهبنا به ولما اعطيناك موثقا من الله تعالى في رده اليك وكنا
ضمنا لك حفظه مما يمكننا ان نحفظه عنه من الافات في الطريق فاما
السرقة فمما لم يكن لنا الى حفظه منها سبيل وقيل ما شهدنا عند يوسف
ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم ان ذلك هو الواجب في الحكم
ولم نعلم في الحقيقة هل سرق ابنك ام لا الا انه وجد الصواع في متاعه ثم انهم
لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف امر هم كبيرهم بيا لغز في ازالة التهمة عن
انفسهم ويقولوا واسئل القرية اى اهلها اضمر لدلالة الحالة عليه التي كنا
فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها
واسئلهم عن القصة بالتمام والعير التي اقبلنا فيها واسئل اصحاب
العير اى القافلة التي توجهنا فيهم وكنا معهم والمراد باصحاب العير قوم
من الكنعانيين صحبهم متوجهين الى كنعان وانا لصادقون فيما نخبرك
به انه سرق والمراد به تاكيد ما يدل عليه قولهم واسئل القرية والعير ومن
الحصص ان كبيرهم لما كان نقض عهد ابيه استحيى ان يذهب اليه والعبد
العاصي ينقض العهود الكثيرة ويذهب الى الله تعالى البتة فكيف لا يستحيي
منه فينبغي ان يجتنب عن المعاصي حتى لا يستحيي يوم القيمة ومنها انهم لم يقولوا
ان اخانا سرق بل قالوا ان ابنك سرق كانهم استنكفوا من اخوة السارق
والعبد العاصي كيف لا يستنكف عن اخوة الشيطان ومنها انهم قالوا
واسئل القرية الى قولهم وانا لصادقون والعبد العاصي لا يقدر على ان يقول

يوم القيمة

يوم القيمة بين يدي ربه واسئل الارض التي كنا فيها ورفقاءنا اى الكرام الكاتبين
الارض تحدث ما فعلتم عليها وان الكرام الكاتبين تعلمون ما تفعلون واذا
اريد التفسير الانفسي يراد بامرهم بالرجوع الى ابيهم سياستهم اياه بامتثال الاوامر
العقلية وما شهدنا الا بما علمنا اى انا لا نعلم الا كون ذلك المتاع عند
العاقلة العملية الانقضاء وسرقة لعدم شعورنا به وبكونه كمالا وما كنا
حافظين للمعنى العقلي الغيبي لانا لا ندرك الا ما في عالم الشهادة وكذا
اهل قريتنا التي هي مدينة البدن من القوى النباتية والعير التي
اقبلنا فيها من القوى الحيوانية واسئلهم ليخبروك بسرقة ابنك اعلم
ان ابناء يعقوب لما رجعوا من مصر الى ابيهم بذلك القول اى قالوا له
ما قال لهم اخوهم الكبير كذبهم واتهمهم وساء ظنه بهم وقال كلما خرجتم
من عندي نقصتم واحدا فذهبتم مرة فنقصتم بيوسف وذهبتم مرة
فنقصتم شمعون وذهبتم الان فنقصتم بنيامين فقد صرتم كالذئاب
يأكل بعضكم بعضا توشكون ان لا يبقى منكم احد وظن يعقوب ان ابنه
الكبير انما تخلف عنه مكرا وحيله ليصدقهم ولذا قال يعقوب بل سولت
لكم زينت وسهلت لكم انفسكم قاله كما قال في شان يوسف ذلك امر
اردتموه فقدرتموه والا فما ادري الملك ان السارق يؤخذ بسرقته ظن
يعقوب انهم افتوه بان جزاء السرقة ان يأخذ السارق بعد ظهور الضواع
في رحله قيل انما قال لهم ذلك لان من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف
بالكذب لم يجز صدقه فقال لهم ثانيا كما قال لهم اولا ثم قال فصبر جميل
فامري صبر جميل او صبر جميل حالي اى لا ارجع الا الى الصبر الجميل الذي
اكظم عليه ولا ابثه الى مخلوق عسى الله لعل الله ان يأتيني بهم
بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر جميعا لان اثر الصبر
الوصول بالمطلوب وفيه اشارة الى ان الصبر مفتاح الفرج خصوصا

الصبر على مشاق الاعمال فان اجره لا يعد ولا يحصى قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب انه ان الله تعالى هو العليم
بحالى وتوخدى وتصبرى وبصيد قكم وخلقكم الحكيم فيما يدبر به
امور عباده فليس يدبر امرى الا بما هو صلاح لى ونفع فى دنياى ودينى
فانا مسلم لتدبيره قيل المؤمن المحقق كلما ازداد بلاءً ازداد رجاءً وقال
الامام القشيرى قدس سره لما وعد من نفسه الصبر الجميل لم يمض عليه
يومه حتى قال يا اسفى على يوسف ليعلم ان عزم الاحباب على الصبر
منقوض غير محفوظ قيل انما قال ذلك ايمانا بان جميع ما يفعل الله
العلم والحكمة بجب الصبر الجميل عليه ولهذا قال لهم اولا والله مستعان
على ما تصفون اى من الكذب لانه استشعر بكذبهم اولا وقال هنا انه
هو العليم الحكيم استشعارا بان قولهم ربما كان صحيحا وان الله تعالى
اعلم بذلك وهو يحكم ما يشاء ثم ان يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر
بنيامين كمل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم
حيث قال الله تعالى وتولى اعرض يعقوب عم عنهم عن ابنائه كراهة
لما صادف منهم ولما اعرض عن بنيه اقبل على بث نفسه حيث اخبر
عز وجل وقال يعقوب يا اسفى اصله بكسر الفاء فتحت للتخفيف
وقلبت الياء الفا ليحصل الخفة وامتداد الصوت الذى هو المقصود
فى النداء اذ المعنى يا اسفى تعال فهذا اوانك ونداء الاسف مجاز
والمراد انشاء التأسف والاسف اشد الحزن والحسرة على الفائت
وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يجتمع له المعنيان الحزن على فقد
يوسف والغضب على اخوة يوسف او على نفسه ببعث بنيامين معهم
يقول يا احزن هذا وقتك فاحضر والالف فى اخره للندبة كذا قال
بعض المفسرين على يوسف انما تأسف عليه دون اخويه والحادث

مصيبتهما والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا لان رزأه كان
قاعدة المصائب وان الرزء فيه مع تقادم العهد كان طريا عنده لانه
كان واثقا بحيوتهما دون حيوة يوسف قال بعض المفسرين لم يقل
يعقوب عليه السلام انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم
المذكور فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون لان الاسترجاع من خصايص امة محمد صلى الله عليه وسلم
كما ورد فى الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى ان يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفى ومن الخصص انه ينبغى للافتاء فى كل امر واعلام
العوام بكل مسئلة فان حبس بنيامين لزم من الفتوى ومنها ان من
اتهم بكذب لا يصدق فى قوله فلا بد من الاجتناب عن الكذب ومنها
ان الصبر محمود ولذا ذكر الله تعالى خمسة انبياء بالصبر احدهم موسى
فانه قال ستجدنى ان شاء الله صابرا والثانى اسمعيل فانه قال تجدنى
ان شاء الله من الصابرين والثالث ايوب فان الله تعالى قال فى
شانه انا وجدناه صابرا والرابع يعقوب فانه قال فصبر جميل
والخامس سيد الكونين ومفخر الثقلين ورسول رب العالمين
محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى امره بالصبر حيث قال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وهو صبر حتى قال فى مقابلة الاذى
الكثير اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ومنها ان يعقوب عليه السلام
كان فى حال توجهه الى الاولاد يفقد فى كل سفر واحدا منهم فلما تولى
عنهم وجد المفقودين كلهم فالعبد اذا توجه الى الخلق لا ينتفع من احد
ولا يصل الى مقصوده واما اذا انقطع عن الخلق وتوجه الى الحق يصل
الى مقصوده ومنها ان يعقوب لما وعد نفسه الصبر الجميل لم يمض عليه

مصيبتها

يومه حتى قال يا اسفى على يوسف فيعلم منه ان عزم الاحباب على الصبر
منقوض غير محفوظ لان مرارته انما تظهر بعد الفراق فلا يفيده الوعد
السابق ومنها ان يعقوب قال عسى الله ان يأتينى بهم وقد اتى بهم لكمال
رجائه من الله تعالى فينبغى للعبد ان يحسن ظنه بالله تعالى حتى ينال مناله
وقال تعالى عسى ربكم ان يرحمكم فالمرجو منه ان يرحمنا بكرمه ومنها ان
الوصول الى المقصود انما يحصل بالتضرع والابتهال فان يعقوب وصل به
الى المطلوب وزليخا لم تصل اليه لعدم تضرعها الى جناب الكريم وكونها ساعية
الى الحيلة ثم وصلت بالذلة والمسكنة والتضرع ومنها ان يعقوب لما
ظن الخير فى حق نفسه وجده كما ورد فى الحديث القدسى قال تعالى انا عند
ظن عبدى بى خرجه البخارى ومسلم عن ابى هريرة رض قال شراح الحديث
الظن هنا بمعنى اليقين يعنى ان اعتقد عبدى انى مجيب الدعوات اجبت
له وان اعتقد انى غفور غفرت له يؤيده ما جاء فى الحديث ان رجلين
كانا متساويين اذا دخلا الجنة رفع احدهما فى الدرجات العلى
فيقول صاحبه يا رب رفعته على ولم يكن هو فى الدنيا اكثر عبادة منى فيقول
الله تعالى هو كان يسئلنى الدرجات العلى وانت كنت تسئلنى النجاة من النار
فاعطيت كل عبد سؤله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله
الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال القاضى رح فى لفظ الظن اشارة
الى ان رجاء المغفرة ينبغى ان يكون عند الاستغفار لانه اذا كان مع المعاصى
يكون موهوما لا مظنونا وقيل المراد به الحث على حسن الظن بالله تعالى
وتغليب الرجاء على العفو كقوله عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله وتمام الحديث قوله وانا مع عبدى اذا ذكرنى اراد به المعية
بالرحمة والتوفيق وقيل اراد به المعية بالعلم يعنى انا عالم به لا يخفى على
شئ من قوله كذا فى مبارق الازهار شرح مشارق الانوار فعلى العبد ان

يحسن

يحسن ظنه بالله تعالى لا سيما وقت احتضاره روى ان صحابيا مرض
واتى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان فلانا يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ رأسه ووضعه فى حجره فقال ما تشتهى قال اشتهى مغفرة ربى
يا رسول الله فنزل جبرئيل فقال يا رسول الله ان ربك يقرأ عليك السلام
ويقول لو لقينى عبدى بقراب الارض خطيئة للقيته بقرابها مغفرة
فاعلمه النبى عليه السلام بذلك فصاح صيحة فخر ميتا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل
الى قبره فاقبل رسول الله يمشى على اطراف انامله فقالوا يا رسول الله
رايناك تمشى على اطراف انامله قال لم استطع ان اضع رجلى على
الارض من كثرة اجنحة الملائكة ومنها ان البلاء اذا اشتد وكمل قرب
زواله ويطهر المرء عما يليق واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله
بل سولت لكم انفسكم امرا معنى زينت طبايعكم الجسمانية لكم امر
التلذذ باللذات البدنية والشهوات الحسية فحسبتموها كمالا فصبر
جميل على الاستمتاع على وجه الشرع اجمل بكم من الاباحة والاسترسال
بحكم الطبيعة او فامرى صبر جميل فى بقال يوسف القلب واخوته على
استشراف الانوار القدسية واستنزال الاحكام الشرعية واستخراج
قواعدها التى لا مدخل لى فيها عسى الله ان يأتينى بهم جميعا من جهة
الافق الاعلى والترقى عن الطورى الى ما يقتضيه نظرى ورأيى انه
هو العليم بالحقايق الحكيم بتدبير العوالم وتولى عنهم اى اعرض عن
جانبهم وتوجه الى يوسف القلب وانجذبه الى جهته والله اعلم
وابيضت عيناه عينا يعقوب عليه السلام من الحزن من الهم الغليظ
على النفس كناية عن غلبة البكاء فكان العبرة محت سوادهما

او كانهما ابيضتا عن بياض ذلك قيل ما جفت عيناه من وقت فراق يوسف
الى وقت لقائه وما على الارض يومئذ اكرم على الله منه وقيل ضعف بصره
وهو ضعيف لان كلمة من في قوله من الحزن للتعليل والحزن لا يكون علة لضعف
البصر فضلا عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء وقيل عمى ولم يبصر ست سنين
والظاهر انه لم يذهب بصره بل صار على عينه كالبياض من كثرة بكائه وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وفيه دليل
على جواز التأسف والبكاء عند التفجع من غير رفع الصوت وشق الجيوب
فيل كيف جاز على يعقوب ان يتأسف بهذه الرتبة واجيب بان ذلك لا يدخل
تحت التكليف لان الانسان لا يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وقد مر الكلام ايضا في هذا
عند قوله والله المستعان على ما تصفون وقال الاستاذ ابو علي الدقاق
لم يقل عمى لانه لم يذهب بصره ذهاب فوات لكن كان حجابا عن رؤية غير
يوسف وكان اخوته عيبوه ليخلو لهم وجه ابيهم فيخلص لهم نظره فلم يرضوا
بنظره اليهم مع يوسف ففاتهم اصلا وكذلك من طلب الكل فاته الكل وقال
الامام القشيري ره كان ذهاب بصر يعقوب في غيبة يوسف لطفا من الله
بيعقوب حتى لا يحتاج الى رؤية غيره اذ لا شيء على الاحباب اشد من رؤية
الاغيار قال قائلهم في هذا المعنى اللطيف لما تيقنت اني لست مبصركم
غمضت عيني فلم انظر الى احد فهو كظيم مملوء كربا وقيل اي مملوء من الغيظ
على اولاده ممسك له قلبه لا يظهره او على نفسه بما فعل من ارسال بنيامين
معهم هذا فعيل بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ والاول فعيل بمعنى
المفعول قال ابن عباس رض كظيم مهموم وقال مقاتل مكروب يتردد الحزن في جوفه

وقال

وقال مجاهد ساكت وقال قتادة كظيم على الحزن لم يتكلم بسوء قالوا
قال الامام الرازي ره الاظهر ان الذين قالوا له تالله تفتأ تذكر يوسف
ليسوا هم الاخوة الذين تولى يعقوب عنهم بل هم الجماعة الذين كانوا في الدار
من اولاد اولاده وخدمه واراد بهذا القول منعه عن البكاء كانهم قالوا انت
الآن في بلاء شديد ونخاف ان يحصل ما هو ازيد منه واقوى وحلفوا على ذلك
بناء على الظاهر فان تحمل المشاق على الاستمرار يؤدي الى فساد البنية
واختلاف القوى غالبا تالله تفتأ اصله لا تفتأ حذفت لا كما في قول
امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي
لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كون اللام
واللام كان على النفي فلو كان اثباتا لزمه النون واللام او احدهما ولا تفتأ
من الافعال الناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو المستكن فيها والخبر
هو جملة تذكر يوسف اي لا تزال تذكره تفجعا عليه حتى تكون حرضا
مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وقيل فساد
الجسم ودنوبانه من العشق وهو في الاصل مصدر ولذا لا يثنى ولا يجمع
او تكون من الهالكين اي الميتين وفيه وجوه اخر قال الامام الرازي
وتلخيص المعنى لا تزال تذكر يوسف حتى تقارب الموت او تموت قال الامام
القشيري قدس سره هذه دوه بان يصير حرضا وقد كان حرضا وخوفوه
بانه كان يبالي ان يصيبه في حكم الهوى حيث قالوا او تكون من الهالكين
وقيل الذاذ الاشياء في حكم الهوى النهالك في حب من يهوى ثم حكى الله
عن يعقوب جوابه قال يعقوب انما اشكو بثي هو همي الذي لا اقدر الصبر
عليه قال ابن عباس رض اي همي الذي ينبث وان كتم اي ينتشر بانا ره
وقيل البث ما يشكوه المرء من حاله الى صاحبه ليرق له وحزني وهو
ما يغلظ على النفس احتماله وقيل هو ما يضر ولا يظهر الى الغير وقيل هو اعم

وقيل البث ابتداؤه والحزن انتهاؤه وخلاصة المعنى لا اذكر الحزن العظيم
والكظيم الا الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم من الخلق فخلوني وشكاتي
واعلم من الله من ضيعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملجئ اليه
او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف يشير الى
حسن ظنه وقوة رجائه بربه جل جلاله ان يعيد اليه يوسف عليه السلام
روى ان يعقوب عم قام ليلة فجعل يبكي ويتضرع اليه سبحانه ويقول
اللهم اقض فجاءه جبريل وقال له قل ما نشاء فان الله يقول لك اطلب
ما شئت قال قد فنى عمري وقرب اجلي فاسأل ربي ان يجمع بيني وبين يوسف
فغاب جبريل ثم جاء فقال قال الله تعالى قد قضيت حاجتك فانما سمع
يعقوب ذلك قوى جسمه ولذا قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل انما
رجاء ذلك لما قص عليه يوسف من رؤياه وعلم تأويله وقيل اخبره بذلك
ملك الموت قال وهب ولما اراد الله ان يرفه عنه ويرحمه ويبلغه الى
بنيه ارسل ملك الموت بشبه الوحي في المنام فقال له يعقوب من انت
ايتها الجسد العظيم قال له انا ملك الموت قال اني كنت اتمنى ان القاك
منذ حين قال له ولم ذلك قال لاسألك عن شأن يوسف قال وعن
اي شأنه تسئلني قال انشدك واسئلك بالذي ملكك الانفس
وسلطك على الارواح واعطاك القوة في الاجساد هل قبضت
روح يوسف قال لا والذي تشدد تني به ما قبضت روحه فاطلب ابنك
فانه حي سالم فانتبه ولذا رجاه وروى عن انس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان ليعقوب اخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي
اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكاء
على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل
فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك اما تستحيي

ان تشكوني الى غيري قال يا يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله تعالى
فقال جبريل الله اعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يا يعقوب يا رب اما ترحم
الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فارددْ علي ريحانتي
اشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي يا رب ما شئت فاتاه جبريل فقال
يا يعقوب ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك ابشر ولتفرح
قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين
فان احب عبادي الى الانبياء ثم المساكين واتدري لم اذهبت بصرك
وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف بيوسف ما صنعوا لانكم ذبحتم
شاة فاتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك
اذا اراد الغداء امر مناديا ينادي الا من اراد الغداء من المساكين فليتغد
مع يعقوب واذا كان صائما امر مناديا ينادي من كان صائما من المساكين
فليفطر مع يعقوب وقيل كان فصل عجولا عن امه اياما وقيل ذبح ولد
غنم بحضرة امه وقيل باع ولد جارية كانت له وتركها فبكت حتى عميت
كذا ذكره الامام النسفي ومحي السنة وغيرهما وقال الامام الرازي والصحيح
انه غير مبني على سبب والله ان يمتحن عباده وخواصه بانواع ليرفع
لهم بذلك درجاتهم ويظهر صدقهم واخلاصهم ومن الخصوص ان
ليعقوب كان هموم ولم يذكر منها الا هم يوسف فلمعاصي هم النزع وهم
القبر وهم احوال القيمة ولا يذكرها يوم القيمة بل يقول يا ويلتى قد كنا
في غفلة من هذا ومنها ان يعقوب بكى وحزن لفراق يوسف وكان له
اولاد اخر لكمال محبته له بخصائص لم توجد في اخوته فكان مكبا
عليه حتى وصل ولذا قيل من طلب وجد وجد فكذا العبد اذا توجه
الى الله تعالى وبكى لفراقه وصل اليه يسرنا الله تعالى ومنها ان يعقوب
احب من يموت ويفترق منه فابتلي بالبكاء والحزن عن ابي يزيد البسطامي

ان تشكوني

انه رأى رجلا يحب عبدًا له فمات العبد وبكى عليه المولى وحزن على
فراقه فقال ابو يزيد احببت الحي الذي يموت وهذا احببت الحي الذي
لا يموت قيل لاحد عند ابرهيم بن ادهم استكثر من الاحباب لعلك
تنجو بسبب واحد فقال لا بل اتخذ الحبيب الواحد الذي ينجيك من الاحباء
كلهم ومنها ان الذي اصابه مصيبة ينبغي ان يقول انا لله وانا اليه راجعون
ليحصل له الاجر العظيم ومنها ان آدم وداود عليهما السلام بكيا اكثر من
يعقوب ولم تبيض عيناهما وابيضت عيناه لان بكاءه كان لمخلوق بكائهما
ومنها ان الاجر والثواب بقدر التعب كما ورد في الخبر اجرك بقدر نصبك
ومنها ان البشر لا يخلو عن زلة ونقصان فالله تعالى يسلط البلاء عليه
عليه ليكون كفارة له فهذا من جملة كرمه ومنها ان بنيه هذه وه بان
يصير حرضا وقد كان حرضا والعاشق لا يبالي به ومنها انهم خوفوه بان يكون
من الهالكين ولم يعلموا ان الذاكر شيء في حكم الهوى الهالك في حب
من يهوى كما قيل فيه شعر يا طالب اهراق دمي بالبين * سفكا وسيله
على الخدين * ما الحاجة ان تهرقه من بدني * مهلا فانا اهرقه من عين *
ومنها انهم ذكروا لفظ المستقبل حيث قالوا تفتأ تذكر يوسف لبقاء الحال
والاستقبال اذ ينبغي للمحب ان يدوم على ذكر محبوبه وحبه وطلبه
ومنها ان المحبة معرض المحنة حتى كان محبا لله تعالى فلا ينفك عن
الآلام بل ينبغي له ان يستسلم له ويبذل نفسه روي انه كان في
زمن يحيى م ملك له زوجة ولها بنت من غيره فارادت المرأة ان
تزوج بنتها لزوجها غيرة خوفا من ان يتزوج غيرها فاتخذت وليمة
ودعت يحيى م فاستاذنت منه في هذا الامر فقال يحيى م هذا حرام
في ديني وخرج من عندها فغضبت عليه واحتالت في قتله فسقت
زوجها من الاشربة المسكرة فلما تسكر زينت بنتها وعرضت عليه

وقالت

وقالت ان يحيى يأبى ان ازوجك هذه فاحضره واقتله فدعى يحيى
وقال له ما تقول في هذا الامر قال انه حرام فامر بذبحه فذبحوه كما يذبح
الشاة فبكت اهل السموات وقالوا يا ربنا بأي ذنب قتلوا يحيى عليه السلام
قال الله تعالى ما اذنب يحيى ولا هم ولكن احبني فاحببته فلا بد في الحب من القتل
كما حكي عن منصور الحلاج قدس سره انه حبس ثمانية عشر يوما فجاءه الشبلي قدس سره
فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسئلني اليوم واسئلني غدا فلما جاء من الغد
اخرجوه من الحبس ونصبوا الجذع لقتله فمر الشبلي بين يديه فنادى منصور
يا شبلي المحبة اولها حرق واخرها قتل ويحكى عن ابي يزيد البسطامي انه كان
يمشي في البادية فرأى اربعين شابا من اصحاب الطريقة قد ماتوا عطاشا
جياعا فناجى ابو يزيد فقال ما الحكمة في قتل الاحباب فسمع هاتفا يقول
يا ابا يزيد اقتلهم واعطي ديتهم قال ما دية هؤلاء فهتف هاتف دية مقتول
الخلق الدينار ودية مقتول الحق الديدار يعني رؤية جمال الجميل الجليل الجبار
واذا اريد التفسير النفسي يراد بقوله يا اسفى على يوسف اقباله على يوسف
القلب وانجذابه الى جهته وان معنى ابيضت عيناه من الحزن ان عينيه
ابيضتا او لا بوقوعه في غيابة الحب وكلال قوة البصيرة لفرط التاسف
على فراقه ثم بترقيه عن طوره وفنائه في التوحيد وتخلفه عنه وعدم
ادراكه لمقامه وكماله فبقي بصره حسيرا غير بصير بجمال يوسف وهو كظيم
مملوء من غيظ فراقه وقولهم تفتأ تذكر يوسف اشارة الى شدة حنينه و
انجذابه الى جهة القلب في تلك الحالة وذمهم لشدة المناسبة بينهما
في التجرد والميل الى العالم العلوي وقوله اعلم من الله ما لا تعلمون اشارة
الى علم العقل برجوع القلب الى عالم الخلوص ووقوفه مع العادة بعد الذهاب
في الجهة الحقانية وانخلاعه عن حكم العادة عن قريب اعلم ان يعقوب
لما طعن في وجدان يوسف بما ذكر من العلم من ملك الموت او جبرئيل قال النبيه

على سبيل اللطف يا بنى اذهبوا الى مصر فتحسسوا اطلبوا خبره وتفحصوا
من الحس وهو العلم بالحاسة والتجسس بالجيم قريب منه وقيل هما واحد
وقيل بالحاء فى الخير وبالجيم فى الشر وقيل التحسس بالحاء الطلب لنفسه وبالجيم
الطلب لغيره ومنه الجاسوس من يوسف اى تفحصوا بجواسكم من يوسف
اذ التحسس طلب الشئ بالحاسة قال الامام القشيرى قدس سره امرهم بطلب
يوسف بجميع حواسهم يطلبونه بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون
ذكره وبالشم لعلهم يجدون ريحه توهم انهم مثله فى الارادة قال تعالى خبراً
عنه انى لاجد ريح يوسف واخيه وتفحصوا من اخيه بنيامين والخطاب
على وجه اللطف لاينافى التولى عنهم لانه كان ملتجأ الى الله تعالى والحال
قد تنقلب وقال الامام ابو منصور رح قال اهل التاويل استخبروا عنه واطلبوا
والاقرب ان يكون معناه اذهبوا من هذا الجانب الذى كنتم فانظروا اليه
والى اخيه فانه ان حمل على الاستخبار فى حق يوسف لا يستقيم فى قوله واخيه
وهم يعلمون اين هو فمعناه ابقاء حاسة البصر على الذى رأوه وهو لو قوع
الرجاء له ان يوسف بمصر لكن لم يخبر بنيه بذلك انه هنالك لما علم انهم
يتكاسلون وينثاقلون عن الذهاب اليه فقال ذلك تعريضا لا تصريحا
وقال الامام القشيرى قدس سره قال يعقوب فى حق يوسف انى ليحزننى
ان تذهبوا به وقال فى حق سائر اولاده اذهبوا ليعلم بون ما بنيهم فى المحل
عنده ثم ان يعقوب وصى بنيه بعدم الاياس من رحمته تعالى فقال
ولا تيأسوا من روح الله بفتح الراء وهو الاستراحة اى لا تقنطوا من
فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه
لا ييأس من روح الله من تفريج الله من المكروبين الا القوم الكافرون
الذين لا يعرفون الله وصفاته وقدرته على ما يشاء فان العارف لا يقنط
من رحمته فى شئ من الاشياء قال وهب لما قال يعقوب لبنيه ذلك قالوا

كيف تكلفنا ان نتحسس من اهل القبور انما يوسف فقد اخبرناك
خبره اول يوم انه اكله الذئب ولا نحسبه اليوم الا رميما تحت التراب
واما ابناك اللذان ذهبا معنا فقد اخبرناك ان احدهما سرق فافتضحنا
بسرقته واما الاخر فقيم لطلب فكاكه قد اقسم بالله جهد يمينه
وآلى على نفسه ان لا يبرح الارض حتى تاذن له او يفك له بموثقك او يحكم
الله بما شاء وهو خير الحاكمين ونحن راجعون فتحسسوا عن اخواننا
ومتعرضون للملك واتاقد عهدناه بك رحيما ولعل الله قد احدث له رأيا
وزاده لك رحمة قال يعقوب فبلغوه عنى السلام وقولوا له ان ابانا
يعقوب يقول لك بينا انت مهتم بمصيبة محزون عليه معنى بامر
تبكى عليه وتدعوله اذ فجعته بابنه ماهذا منك بمشبه لاول فعلك فارحم
ترحم وقيل انهم قالوا له اكتب اليه بشئ فامر فكتب بسم الله هذا كتاب
من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق بن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر عبد الله
اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا اسباب البلاء انا جدى ابرهيم فالقى فى النار
فصبر لامر الله وانا عمى اسمعيل فابتلى بالغربة فى صغره فصبر لامر الله وانا ابى
اسحق فابتلى بالعمى فصبر لامر الله وانا انا فاضعفهم ركنا واقلهم حيلة و
اعظمهم مصيبة بكيت على فراخ ولدى يوسف حتى ضعف بصرى والذى
اخذه سارقا فليس ببارق ما ولدت سارقا فامنن على برده وخل سبيله
واحذر دعوة المظلوم والسلام ولما اخذوا هذا الكتاب توجهوا الى مصر
ولما انتهوا اليها دخلوا على يوسف كما حكى الله تعالى فلما دخلوا عليه
على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية وهى مجيئهم مرة ثالثة
قالوا يا ايها العزيز والمتصرف فى الملك مسنا واهلنا الضر اصابنا
ونساءنا واولادنا الضيق والقحط وجئنا وقد جئنا ببضاعة مزجاة
ردية قليلة لا يؤخذ فالله ابن عباس وسعيد بن جبير رض وقيل كانت

دراهم زيوفا وقيل كانت صوفا وسمنا وقيل الصنوبر حبة الخضراء وقيل
الاقط وسويق المقل وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت الادم
والنعال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط فاوف لنا
الكيل فاتم لنا الكيل ولا تنظر الى نقصان بضاعتنا كما وعدتنا الا ترون
انى اوف الكيل وتصدق علينا اسقط ما بين الجياد والردية من التفاوت
وهب كان دراهمنا جياد تفضلا منك وقيل تصدق علينا برد اخينا
الينا او بالمسامحة او بالزيادة على ما يساويها قيل كيف طلب اخوة يوسف
الصدقة وهى محرمة على الانبياء واجيب بانه اختلف فى ان حرمة الصدقة
تعم الانبياء او تخص نبينا فمن خصص الحرمة بنبينا لا يرد السؤال عليه
ومن لم يخصها به فهو يفسر الصدقة برد الاخ او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها او بالتفضل مطلقا ويمكن ان يجاب بان حرمة
الصدقة على الانبياء بعد صيرورتهم انبياء واخوته لم يصيروا انبياء وقت
طلب الصدقة ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء لم يقولوا ان الله
يجزيك لانهم لم يعلموا بحال الملك ودينه فتحرزوا واطلقوا وقالوا ان الله
يجزى المتصدقين وهم المؤمنون قال ابن عباس لو علموا انه مسلم لقالوا
ان الله يجزيك بالصدقة يعنى انه كان يلبس عليهم ولا يعرفون حاله ومذهبه
قال الامام القشيرى قدس سره لما طالعوا فقرهم نطقوا بقدرهم فقالوا
وجئنا ببضاعة مزجية ولما شاهدوا قدر يوسف سألوا على قدره
فقالوا فاوف لنا الكيل كانهم قالوا وجئنا ببضاعة لا تنفق الا بهذه
الحضرة فاوف لنا كيلا يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا
ثم تركوا هذا اللسان وقالوا وتصدق علينا نزلوا وضع منزل كانهم
قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع والشراء فقد استوجبنا بذل العطاء
وعلى الله المكافاة والجزاء وقال الامام ابو منصور رح قوله يا ايها العزيز سموه

عزيزا

عزيزا لانه كان امين الملك وهو اسم لامين ملك مصر او لانهم كانوا
محتاجين اليه وكان هو غنيا عما فى ايديهم قال وهب وخافوا ان يذكروا
فى اول ملاقاتهم حديث اخيهم مخافة ان يعيد لهم التقريع والتوبيخ وقالوا
ان كان فى نفسه لابينا رقة فقد اخبرناه انا مضرورون محزونون
مجهودون وعرضنا له ان كان يريد ان يخلى سبيل الغلام وكان يوسف
سأل اخاه بنيامين عن عدد ولده فقال هم ثلثة اسم الاكبر يوسف
فقال له ولم سميته يوسف قال اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبى كلما
دعى تحرك لذلك قلبى قال وسميت الاخر ذئبا قال ولم سميته ذئبا قال
اردت ان لا يذهب ذكرك من قلبى فقد زعم اخوتى ان الذئب اكلك
قال وسميت الاخر دما قال ولم سميته دما قال اردت ان لا يذهب ذكرك
من قلبى كلما دعى ذكرتك فبكى يوسف عند ذلك حتى كاد ينصدع قلبه
من البكاء ثم رفع يديه ودعا ربه ان يجمع اليه اباه وخالته واخوته فاستجاب
الله له وقال لاخوته بعد ما قالوا يا ايها العزيز الخ كيف تركتم يعقوب
قالوا تركناه باكيا محزونا كظيما فقال يوسف على اى ابنيه حزنه
وبكاؤه اشدا على هذا السارق المرتهن بسرقته ام على الاول الذى
اخبرنا الصاع خبره فقالوا اما الاول فقد يئس منه ونسيه وذهب
عنه حزنه ولكنما بكاؤه على هذا المحبوس عندك وقد ارسلنا فيه اليك
رسالة لولا مخافتك ومخافة ان لا تصدقنا لبلغناك قوله قال فاخبرونى
فانكم آمنون ان صدقتمونى فلما بلغوه رسالة ابيه لم يملك نفسه
حزنا وبكى باعلى صوته وفى بعض القصص ان يوسف اخرج اليهم كتابا
وقال هذا كتاب بالعبرانية فهل احد منكم يحسن قراءتها قالوا نعم
فاخرج كتاب بيعه من مالك بن ذعر فنظروا فيه فبهتوا وقالوا فى انفسهم
كنا بذلناه عند بيعه لمشتريه وهو من اهل مصر ولعله تداولته الايدى

فوقع عند الملك فقالوا هذا كتاب كتبناه فى بيع عبد لنا بعناه فقال
اقرؤا فقرؤا بسم الله ابرهيم هذا ما اشترى مالك بن ذعر الخزاعى من
آل يعقوب غلاما يقال له يوسف بعشرين درهما ونقدهم الثمن وضمنوا
الدرك واشهدوا الله بذلك على انفسهم وكفى بالله شهيدا فقال لهم
يوسف كنتم تقولون ان يوسف اخونا وقد اكله الذئب وقد كتبتم فى هذا
انه غلام بعناه فقد ظهر لى انكم سرقتم اخاكم وعققتم اباكم واستوجبتم
عقوبة شديدة وانا معاقبكم على ذلك ومنتقم منكم لابيكم ودعى
بالسياف فصاحوا باجمعهم يتضرعون ويبكون ويقولون له ان قتلتنا
لا محالة فلطخ ثيابنا بدمائنا وابعثنا الى ابينا فلا حظ له من اولاده
الا الثوب الملطخ بالدم ورق لذلك يوسف واضطرب الناس وجاء
جبرئيل وقال يا يوسف قد بلغ التخويف النهاية فى حق هؤلاء فحسبك
وقد انقضت مدة المحنة فاظهر لهم نفسك ومن الحصص ان ابناء
يعقوب وان كانوا عصاة لم ينف عنهم اسم النبوة حيث قال يا بنى
وكذا الله تعالى لا ينفى اسم العبودية من العصاة كما قال قل يا عبادى الذين
اسرفوا على انفسهم ومنها انهم لما احتالوا ليوسف بان يلطخوا قميصه
بدم عاملهم بمثل احتيالهم بناء على ما الحوا عليه ومنها ان يعقوب
امرهم بطلب يوسف بجميع حواسهم قياسا على نفسه فالمحب ربما
لا يميز الاجانب ويقيس على نفسه ومنها ان المحنة اذا بلغت غايتها
انتهت فلما بلغ فراق يعقوب الى الغاية انتهى كما قيل اذا تضايق امر
فانتظر الفرج وكذلك الانسان فى كبد فاذا بلغ الغاية وصل الراحة
ومنها انهم قالوا واما يوسف فانه ميت اكله الذئب ولم يقل يعقوب
انكم كذبتم بل قال لا تيأسوا من روح الله لان الكريم يستحيى الرد فكذا
الله تعالى اكرم الاكرمين وارحم الراحمين يستحيى من عبده اذا رفع

اليه

اليه يديه ان يردهما صفرا ومنها ان اخوة يوسف نجوا من قهرهم بالتفرع
فكذا العاصى ينجو بالتوبة والانابة عن عذاب الاخرة ومنها ان البضاعة
المزجاة صارت سبب دفع الضرورة والنجاة وكذا العمل اليسير يصير
سببا للعفو والمغفرة ومنها ان ذنب اخوة يوسف كثيرا وعذرهم
قليلا فقبله يوسف وكذا الله تعالى يقبل التوبة عن عباده وان كان
ذنوبهم كثيرة ولهذا قيل العذر وان قل يمحو الذنب وان جل فالتائب
من الذنب كمن لا ذنب له ومنها ان اخوة يوسف مدحوا يوسف بقولهم
يا ايها العزيز وذمتوا البضاعة بقولهم وجئنا ببضاعة مزجاة فقبلها
يوسف فمن يحمد الله تعالى يقبل عمله وان كان قليلا ومنها ان يعقوب
امرهم ان يتحسسوا يوسف واخاه وهم عدلوا عنه الى ايفاء الكيل اذ
المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق وما ذكروه سبب لرقة
يوسف فيسهل لهم به الوصول الى المقصود وقد حصل ومنها ان
يوسف لم ينظر الى قلة البضاعة بل نظر الى الحاملين فكذا الله تعالى
لا ينظر الى نفس العمل بل الى العامل ومنها ان اخوة يوسف امروا
بقراءة الكتاب فكذا المرأ يؤمر يوم القيمة بقراءة كتابه حيث يقال
اقرأ كتابك ومنها ان الكتاب يظهر اخبار المرأ هذا كتابنا ينطق
بالحق ومنها ان الرسول آمن ما لم يظهر كذبه ومنها ان يوسف خوفهم
بالقتل جزاء لما فعلوا فى حقه حين القوه فى غيابة الجب واذا اريد
التفسير الانفسى يراد بقوله يا بنى اذهبوا الرجوع الى البداية بعد
النهاية كما سئل احدهم ما النهاية قال الرجوع الى البداية وذلك عند
الفراغ عن السلوك بالكلية ووصول اثر ذلك الفراغ الى العقل بقربه
الى ربه فى التنزه والتدنى فيأمر القوى باستنزاله الى مقامهم بطلب
الحظوظ فى صورة الجمعية البدنية وتدبير معاشهم ومصالحهم وذلك

هو الروح اذ المؤمن يجد هذا الروح فى الحيوة الثانية التى هى بالله فيحيى
ويتمتع بحضوره بجميع انواع النعيم ولذات جنات الافعال والصفات
والذات بالنفس والقلب والروح دون الكافر كما قال انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقوله مسنا واهلنا الضر اشارة الى عسرهم
وسوء حالهم وضيقهم فى الوقوف مع الحقوق قوله وجئنا ببضاعة مزجاة
اشارة الى ضعفهم فى قواهم وقوله فاوف لنا الكيل استعطافهم اياهم
بطلب الحظوظ ولما بلغ امر يوسف مع اخوته هذا المنزل اى منزل الاظهار
لهم نفسه بامر جبريل كما سبق قال يوسف هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف
واخيه فتبتم عنه وانما قدر لفظ قبح لانه لا شك انهم كانوا عالمين
بنفس ما فعلوه بيوسف واخيه وما فعلوه بيوسف ظهر لك مما تقدم
من الآيات وانما ما فعلوه باخيه فافراده عن يوسف واذا لله حتى كما
لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة وكان اخوة شكى يوسف منهم ففعلم
ما فعلوه به منه اولما رأى منهم تفريعا لاخيهم عند استخراج الصواع
من وعائه حسبانا منهم ان اخاه كان سرق المتاع فاستقبلهم المكروه
من سببه فعنفوا عليه ولم يعلموا حقيقة الحال فبنوا المعاملة على
ظاهر ما بدا لهم من حاله اذ انتم جاهلون فيحمله فلذلك اقدمتم عليه
او عاقبته او حقيقة الحال وانما قال ذلك تذكيرا لهم ما سبق من فعلهم
بمكانه وتنصيحا لهم حتى يجددوا الانتباه والاهتمام وشفقة عليهم
لما رأى من عجزهم ومسكنتهم لا معاتبة وتثريبا حيث حملهم على الاعتراف
بالذنب والاستغفار ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب وانما جهلهم
لان فعلهم وافق فعل الجهال اولانهم كانوا شابين لم يبلغوا الكمال
فمعنى قوله اذ انتم جاهلون شابون غير فارقين الخير والشر ولهذا
قال اذ انتم ولم يقل وانتم جاهلون او المعنى اذ انتم جاهلون قدر سوء

ومنزلته

ومنزلته واخيه اذ لو علموا ذلك لما قالوا ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا ونحن عصبة وقيل هو تلقين العذر وهو غاية الكرم والفضل
وعلى هذا الوجه قول الله تعالى الذين يعملون السوء بجهالة وقالوا
الكريم لا يعاتب ولو عاتب لا يستقصى وكذلك فعل يوسف لم يعاتبهم
فى المرة الاولى والثانية وعاتبهم فى الثالثة على خفاء ولم يستقص
وقيل الكرم ترك العتاب وترك الاستقصاء فى العتاب وتلقين
العذر فى العتاب والعفو بعد العتاب وقد فعل ذلك كله يوسف
فى هذه المرة وبيانه فى الاية وفى قوله هل علمتم ما فعلتم ح تصديق
لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
ومن الخصائص ان يوسف كريم احسن لمن اساء ولهذا قال سيد الكونين
محمد صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحق بن ابرهيم ومنها انه ذكر كلاما متلطفا حيث اقام العذر
مقام العتاب وارشدهم الى التوبة ودفع العقوبة والعذاب عنهم ومنها
انه ذكر الكلام على وجه يتضمن العتاب لان بيان عيب المرء له كرم
كما قال عمر الفاروق رض رحم الله امرأ اهدى الينا عيوبنا ومنها انه لم يطول
الكلام على وجه العتاب لما قيل طول العتاب وحشة وترك العتاب
فرقة وقيل النصيحة فى الملأ فضيحة ومنها ما قيل ان ما ذكره ليس بعتاب
بل شكر نعمة فمعنى الكلام انكم نصبتم انفسكم لاذائى واذاء اخى وقد
اوصلتمونا الى العزة حيث صرت عزيز مصر وصار اخى معززا عندى
ومنها ان الجهل عذر عند الكريم وتلقين العذر كرم زائد فان قيل
كان مقتضى الكرم ان لا يوقفهم واباه فى الانتظار وان لا يخدع فى اخذ
اخيه قلنا قد تقدم ان ما فعله يوسف بالوحى وان فيما فعله حكما
لا تحصى ومنها انه حرضهم على التوبة وحثهم على الانابة اليه تعالى

ليذهب عنهم عذاب الاخرة فهذا كرم عظيم ومنها ان ذنبهم كان
بكنعان وكان خجلهم بمصر فكذا العبد يذنب فى الدنيا ويعاتب ويعاقب
فى الاخرة عصمنا الله تعالى من عقابه بحرمة نبيه ومنها انه لو اعلمهم ابتدأ
انه يوسف لهربوا خوفا منه ولم ينالوا منالهم فهذا كرم منه ايضا ومنها تعظيم
قدر الفرح والسرور لان وجود الشئ بعد اليأس ابلغ ومنها ان اجر الاب
يزداد بصبره الجميل ومنها ان اباه لما احبه واخاه استحق المكافاة بوصلهما
فهكذا حال المحبين الصادقين فينبغى لهم الصدق والوفاء فى حب المولى
والانس به لا بغيره حكى عن سرى السقطى قال صعدت يوما بجبل لكام
فرأيت اناسا قاعدين فسلمت عليهم وسألتهم عن قعودهم فقالوا انه يخرج
فى كل سنة من هذا الكف شيخ فيدعو للمعلولين فيعافيهم الله تعالى ببركة دعائه
فترقبت وقته وكان فى القوم اعمى والاصم والابكم وزمن فخرج الشيخ
من ذلك الكهف ودعا للمعلولين فعافاهم الله تعالى فعمت وتعلقت
بذيله فقلت ايها الشيخ لى علة باطنة فقال خل عنى يا سرى فان
الحبيب غيور فلا تأنس بغيره تسقط من نظره فالحصة انه لا بد من
طرد سواه حتى ينال ما نواه فلما قال يوسف هذا الكلام وقد قال لهم
ابوهم فتحسسوا من يوسف واخيه نظروا اليه بالامعان فعرفوه قالوا
اخوة يوسف ائنك لانت يوسف استفهام تقريرى ولذا حقق
بان واللام قال الامام البغوى رح قال ابن اسحق كان يوسف يتكلم من وراء
ستر فلما قال يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه كشف عنهم
الغطا ورفع الحجاب فعرفوه فقالوا على التحقيق انك لانت يوسف
وقال الضحاك عن ابن عباس رض لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه
كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما ءانك لانت يوسف
وفى رواية عن ابن عباس رض ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج

وكانت

وكانت له فى قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة
مثلها شبه الشامة فعرفوه بها فقالوا انك ليوسف قال انا يوسف صرح
باسمه العلمى ليفيد اكمل تميز وهذا اخى بنيامين من ابى وامى لا عبدى
تظنوننى قد اخذته عبدا وليس كذلك بل هو اخى وعزيزى وانما تعرض
فى الجواب لاخيه مع ان السؤال عنه فقط لكمال التعريف لذاته لان بنيامين
كان اخاه لاب وام او لرد ظنهم انه اخذه عبدا كما سبق قد من الله انعم الله
علينا بالسلامة والكرامة وباجتماعى باخى وانجائنا من الشدائد
وقيل اى بجميع ما فرقتم وصلة ما قطعتم وقيل اى من الله على بانجائى
من البئر والعصمة من الهم والتخليص من السجن وتمليك مصر انه من يتق
يتق الله بان يعمل الطاعات ويترك السيئات ويصبر على البليات
او على مضض الطاعات وعلى ارتكاب الشهوات وقال ابن عباس من يتق
الزنا ويصبر على العزوبة وتقديره فهو محسن فان الله لا يضيع اجر
المحسنين ثوابهم وضع الظ موضع المضمر للتنبيه على ان المحسن من
جمع بين التقوى والصبر ودل الاية على ان التقوى والصبر سببا دفعه وسعادة
قال الامام القشيرى قدس سره قالوا فى خطابه قبل ان يعرفوه يا ايها العزيز
فلما عرفوا قالوا ائنك لانت يوسف لان الاجنبية اذا ارتفعت سقط
تكلف المخاطبة وانشدوا فيه ٭ اذا صفت المودة بين قوم ٭ ودام ولاؤهم
سمج الثناء ٭ وقال بعضهم فيه ٭ اذا مال حبال الود تشد بيننا ٭ فلا بد ان
يطوى بساط التكلف ٭ ومن الحصص انه لم يقل انتم اخوتى لان المسئ
ليس كالمحسن فى القدر ومنها ان يوسف صبر على البليات كما سمعته
وصبر عن المعاصى فظهر اثره ولهذا شكر عليه ومنها ان التقوى مبنى
الطاعات واساسها وسبب القربة والكرامة عند الله تعالى كما قال
سبحانه ان اكرمكم عند الله اتقيكم روى ان عائشة رض لما مرضت

استاذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهى مغلوبة بالموض فاخبرت
فقالت اخشى ان يثنى على وانما خشيتى لانه يورث العجب فقيل ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وجوه المسلمين قالت ايذن له فدخل
وقال كيف حالكم قالت بخير ان كنت من اهل التقوى وفيه اشارة
الى ان الثناء بالمواجهة مذموم كما ورد به الخبر والى ان السعادة والخير
بالتقوى جعلنا الله تعالى من اهل التقوى ومنها ان الله لا يضيع اجر
المحسنين فان يوسف وصل الى سعادة الدارين باحسانه فمن اراد الفوز
والنجاة فليكن من المحسنين اعلم ان يوسف لما قال انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين واحال استحقاق الاجر على ما عمل من
التقوى والصبر انطقهم الله تعالى حتى اجابوه بلسان التوحيد
قالوا اخوة يوسف تالله لقد اثرك الله علينا اختارك وفضلك
علينا بحسن الصورة وكمال السيرة من الصبر والحلم والعقل فاعتذروا
اليه بقولهم وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين
باصرارنا فى حقك والخاطئ هو الذى يأتى بالخطيئة عمدا والمخطئ
من يأتيها سهوا ولذا قيل لمن يجتهد فى الاحكام ولا يصيب انه مخطئ
لا خاطئ وفى قولهم هذا سؤال الصفح والعفو عنهم اعلم ان اخوته لما
اعترفوا بذنوبهم وان يوسف لم ير تقواه وصبره من نفسه حيث نبههم
عليه لم ير جفاهم منهم فنطق عن عين التوحيد واخبر عن شهود التقدير
كما حكى الله تعالى قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال ابن عباس رض
وسفيان لا تعيير عليكم وقيل لا ملامة عليكم وقيل لا تقريع عليكم
وقيل لا تقرير عليكم اى لا اقرركم بذنبكم وقيل لا افساد عليكم وقيل
لا اعتد عليكم ما فعلتم وقيل غير ذلك وقوله اليوم ليس هذا القصر
عليه لكن اذا لم يوبخهم فى اول الصدمة فما بعد ذلك اولى ان يوبخهم

يغفر الله

يغفر الله لكم هذا منه دعاء لهم بالمغفرة عفى بنفسه وطلب
لهم عفو ربه وهو كمال المروءة والديانة قال تعالى فمن عفا واصلح اى
عفى عن نفسه واصلح سأل الله العفو عن ظالمه وقيل انه قطع منه
بان الله غفر لهم بصدق توبتهم وهو ان كان حكما فهو عن وحى اليه
وهو ارحم الراحمين من غيره فانه يغفر الذنوب جميعا ويتفضل على
التائب ولان كل راحم يرحم برحمته قيل لما عرفوا يوسف نكسوا رؤسهم
وبكوا ثم قالوا يا يوسف لا ننظر الى ما فعلنا ولكن انظر الى ما فعل بك
ربك فقام وضمهم الى صدره ومن الخصص ان من اعترف بالحق والعصيان
يستحق العفو والغفران قال انس بن مالك رض سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن التوبة فقال الندم توبة اى معظم اركانها
روى جابر رض ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر وصلى فلما فرغ من صلوته
قال له على رض يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين
وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال
اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى
المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته ومنها ان يوسف اظهر الكرم حيث عفى بنفسه
عنهم المؤاخذة فى الدنيا لان الكريم اذا قدر عفر ومنها انه بعد ما
ازال عنهم تثريب الدنيا طلب ازالته فى الاخرة اظهارا لكمال الكرم
قطعة خذ العفو وأمر بعرف كما امرت واعرض عن الجاهلين
وان فى الكلام لكل الانام لمستحسن من ذوى الجائلين ومنها
ان الطعن فى العاصى مذموم ومنها ان العباد اذا اقروا بذنوبهم

واستغفروا الله يقول الله تعالى لا خوف عليكم روى ان ابليس
لما طرد قال وعزتك انى لا افارق ابن آدم من الاغواء حتى يفارقه
روحه فقال الله سبحانه له وعزتى وجلالى انى لا اقبل التوبة من العبد
ما دام يتوب ومنها ان الله تعالى هو خالق الرحمة فى الراحمين فكيف
لا يرحم هو وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة انزل
رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهايم والهوام فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ومنها ان اخوته عصوا الله ويوسف فاذا عفا يوسف عنهم بكرمه ورحمته
فكيف لا يعفو الله تعالى عنهم بل عن العصاة وهو ارحم الراحمين ٥
ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك
فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ وقد شرفت بكم وعظمت فى
عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم عليه السلام
ومنها انه ينبغى للعاصى ان يستحيى من الله تعالى ويعلم قبح المعصية
وينتفر منها قال بعض الصلحاء لان ادخل النار وقد اطعت احب
الى من ان ادخل الجنة وقد عصيت روى ان شخصا قال لموسى عليه السلام
اشفع لى عند ربك فانى عصيت وتبت واجتهدت فى العبادات
سنين كثيرة ولا ادرى قبل توبتى ام لا فلما حضر موسى المناجاة
قال يا رب هل قبلت توبة فلان التائب قال لا فقال يا رب شفعنى
فيه فقال له وعزتى وجلالى لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت
توبته لان حلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه ومنها ان العاقل
يقدم التوبة فى الدنيا قبل ان يقدم الى قدام ما لك الملوك السلطان

الحقيق

الحقيقى ومنها انهم ما عرفوا عزة يوسف وقت اذائهم به ثم اذا ظهر
خافوا منه فالانسان الغافل لا يعرف اليوم مقام ربه غدا قال لقمان
لابنه يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة ٥ يا غافل تب قبل انقضاء
العمر واياك ان تأمن مفاجاة الامر فقد حذرتك الحادثات نزولها ٥
وناداتك الآن ان سمعك ذو وقره تنوح وتبكى لا جنبة ان مضواه ونفسك
لا تبكى وانت على الاثر ٥ واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله هل علمتم
ما فعلتم بيوسف انه اشارة الى تنزل القلب الى مقامهم فى محل الصدر
ليعرفوه فيتذكروا حالهم فى البداية وما فعلوا به فى زمان الجهل والغواية
وقوله انك لانت يوسف تعجب منهم عن حاله بتلك الهيئة
النورانية وبعدها عن حال بدايته وقوله وقد من الله علينا اشارة
الى علمه ذلك وسبب كماله وقولهم تالله لقد آثرك الله علينا اشارة
الى تهدى القوى عند الاستقامة الى كماله وقوله لا تثريب عليكم اليوم
لكونها مجبولة عن افعالها الطبيعية وقوله يغفر الله لكم اشارة
الى براءتها من الذنب عند التنور بنور الفضيلة والتامر بامر عند
الكمال ولما اظهر يوسف نفسه لاخوته ورفع الوحشة بينهم
وبر ملاقاة ابيه واهلهم فجمع الاخوة فسألهم ما فعل ابى بعدى
قالوا ضعف بصره من البكاء والحزن حيث كان يضع قميصك
الملطخ بالدم على وجهه ويبكى فتبر علاجه حيث قال اذهبوا
بقميصى هذا اشارة الى القميص الذى كان عليه او القميص المتوارث
الذى كان فى التعويذ لما روى عن انس رض عن النبى عليه السلام قال
اما قوله اذهبوا بقميصى هذا فان نمرود الجبار لما القى ابرهيم فى النار
نزل اليه جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص
واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسى ابرهيم ذلك القميص

اسحق وكسى اسحق يعقوب فجعله فى قصبة من فضة وعلقها فى عنقه
فالقى فى الجب والقميص فى عنقه فلما جاء جبريل اخرجه منها فالبسه
فكان معه الى ان قال اذهبوا بقميصى هذا وقيل هو الذى خرقته زليخا
لتظهر براءته عند ابيه ولهذا لم يقل بهذا القميص او بقميصى بل نسبه
اليه ثم خصه بقوله هذا فقميصه وهو عبد شهد ببراءته والقميص هو الذى
شهد بمعجزة وقميصه الاول صار ابوه به ضريرا وقميصه الاخر عاد ابوه به
بصيرا والله على كل شئ قدير فالقوه القميص على وجه ابى يعقوب
قال الامام القشيرى قدس سره علم يوسف ان يعقوب لما يلحقه من فرط
السرور لا تطاوعه يده فى اخذ القميص فقال القوه على وجه ابى قيل لم يقل
على عين ابى لانها نظرت الى غير يوسف واما وجهه فلم يتوجه الى الغير
فاستحق التشريف والوجه بمعنى العين ولم يصرح بالعين لانها آلة المعصية
فكانه بشير الى انه لا ينبغى ان تفتح يأت بصيرا يعد بصيرا وقيل اى يأتنى
بصيرا وهو حال اى ذا ابصر كما كان اول مرة وانما عرف ذلك بالوحى وكان
معجزة له وذلك اعلام لهم بالملك الباطن بعد الملك الظاهر ثم قال
وأتونى انتم وابى على تغليب المخاطبين على الغائب باهلكم اجمعين
من النساء والاولاد والموالى وكانوا اثنين وسبعين انسانا او المعنى
وأتونى بابيكم واهله اجمعين وانما دعا بيعقوب واخوته واهاليهم
الى مصر ولم يأت اباه لا اخلالا باجلاله بل ابقاء على حاله لانه علم
ان يعقوب لا يقوم بكفاية امور يوسف وتقصر ذات يده عنه فحملهم
تخفيفا عليهم واحسانا اليهم قال وهب ثم كسا يوسف اخوته واجازهم
وحملهم وبعث الى ابيه بجائزة وكسوة ومائتى راحلة وجهازها وجهاز
اهلهم لنقلهم اليه وعجل سراحهم وحملهم فخرج بهذا مبشرا وقال انا احزنته
بالقميص الملطخ بالدم فافرحه بهذا القميص فشرع الطريق مسرعا حافيا

راجلا

راجلا منشكرا الله تعالى بالمشى والحفاء والرجلة ما بين مصر والشام
وبينهما مسيرة ثمانية ايام ومع هؤلاء القميص وسبعة ارغفة تزودها
فلم يأكلها حتى ورد على ابيه فلما فصل من مصر استروح يعقوب ريح
القميص وذلك قوله تعالى ولما فصلت العير خرجت من مصر قال ابوهم
يعقوب لمن حضره من ولده ومن حوله من قومه انى لاجد ريح يوسف
قال الحسن وجدها من مسيرة شهر وقال ابن عباس رض من ثمانى ليال جعله
الله تعالى واجدا ريح ما خلط بقميصه معجزة له روى ان ريح الصبا
طلبت الاذن من ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير
بالقميص فاذن لها فاتته بها ولذلك يستريح كل محزون بريح الصبا وهى
التى تأتى من المشرق وقيل ان وجود الريح مجاز عن وجود دلائل الوصال
لولا ان تفندون تنسبون الى الفند وهو نقصان عقل يحدث
من هرم اعلم ان يعقوب تفرس فيهم انهم يلومونه فقال ذلك وهو مختصر
وتقديره انى لاجد ريحا يشبه بريح يوسف واريد ان اقول هى ريح يوسف
لولا كراهة ان تفندون وهو ممن وجد شيئا يبعد فى العرف وجوده فيقول
انى وجدت شيئا اريد ان اخبركم به لولا ان تكذبون وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتمونى او لقلتم ان يوسف قريب وقال الامام القشيرى قدس سره
العجب انه كان عند اقبال المحنة ويوسف منه على اقل من مرحلة حيث
القوه لا يجد ريحه واستتر عليه حاله وخبره ولما ادبرت ايام المحنة
وجد ريحه وبينهما مسيرة شهر او مسيرة ثمانين فرسخا وقيل انفرد يعقوب
بريح يوسف ووجدانها لانفراده بمقاساة المحن على فقد يوسف واما يجد
ريح يوسف من وجد على فراق يوسف ويقال لا يعرف ريح الاحباب الا
الاحباب قالوا اى الحاضرون تالله انك لفى ضلالك القديم
لفى خطائك القديم قاله ابن عباس رض وهو يرجع الى قول بنيه فى الاتلاف

ان ابانا لفي ضلال مبين وقال مجاهد اي حبك القديم وكذلك الاول
وعلى هذا قول الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي محبا فهداك الى شرائطه
وطرائقه وقال الحسن انك لذاهب عن الصواب في امره ترجو لقاءه وقد مات
منذ دهر طويل وفي كتاب عصمة الانبياء ليس هذا من حفدته فصد ايذائه وانما
هو التسلية لهم لكن لم يحسنوا نظم الكلام على ما يجب مقابلته به وقال
الامام القشيري قدس سره ان البلاء اذا هجم هجم بمرة واذا زال زال بتدريج جل
البلاء بيعقوب بمرة حيث قالوا اكله الذئب ولما زال البلاء وجد ريح
يوسف اولا ثم قميص يوسف ثم يوم الوصول راى سبعين حاجبا بين يدي
يوسف قبل ان يراى يوسف فلما ان جاء البشير هو ذا القيه القى
البشير القميص او القى يعقوب على وجهه وجه يعقوب فارتد
بصيرا عاد بصيرا كما كان ولما كان سبب حزن يعقوب قميص كان فرحه
ايضا بقميصه روى ان يعقوب سأل البشير عن يوسف فقال ملك مصر
قال وما اصنع بالملك على اي دين هو قال على الاسلام قال الان تمت النعمة
قال يعقوب للذين حضروه ممن كانوا يفندونه ويقولون انك لفي ضلالك
القديم الم اقل لكم ايها الحاضرون اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حيوة يوسف وانزال الفرج او المراد به ما مر في قوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وهو علمه بما يبتلي الله به
عباده الانبياء من المحن التي تنكشف عن جميل العاقبة او اعلم من لطفه
لعباده ورحمته وقيل اني اعلم كلام مستانف والمقول لما يأسوا من
روح الله او اني لاجد ريح يوسف ثم انهم اعتذروا اليه لما فعلوا به وطلبوا منه
ان يستغفر لهم كما حكى الله تعالى قالوا اخوة يوسف يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا استغفر لنا الى يوسف ليعفو عنا وقيل استغفر الله لنا انا
كنا خاطئين اعترفوا بانهم كانوا مذنبين قصدا فالمعنى انا كنا سيئين

اليك

اليك والى يوسف وعاصين الله بذلك قال لهم ابوهم سوف استغفر
لكم ربي قيل اخر ذلك الى ان ينظر ما ذا يقضي الله في امرهم وماذا يقول
يوسف والحق لم يكن ليعقوب خاصة فاخر الى ان يتوضأ ثم يستغفر
لهم وقيل اخر ذلك الى ان يقوم للصلوة فيستغفر فيها او بعدها وقيل
اخره الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل
كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة قيل
انما اخره الى وقت السحر لان للدعاء وقتا مخصوصا وهو وقت السحر
وقد كان ذلك وقت دعاء موسى عند حضوره في طور سيناء وان الدعاء
فيه لا يرد كما دل عليه الخبر الصحيح وان يعقوب عم وجد ريح يوسف
عند السحر وجاء البشير بالقميص عنده فاستبرك بذلك الوقت وقيل اخره
الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط
المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه
يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقك بعدك على النبوة وهو ان صح
فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم قيل ان اولاد
يعقوب قالوا في البداية يا ابانا ما لك لا تأمننا وفي النهاية قالوا يا ابانا
استغفر لنا خاطئين فوا بذنوبهم وافتضحوا بها بعد ثمانين سنة كذلك
المذنبون يوم القيمة انه هو الغفور الرحيم المبالغ في المغفرة والرحمة
قيل قام الى الصلوة وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي
جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق
يوسف فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين ومن الحصر
ان من عادة الله جعل سبب الهم سبب الفرج حيث كان سبب بلاء
يوسف الرؤيا وصار سبب نجاته الرؤيا وعبارته وكان سبب ضعف

بصر يعقوب القميص وصار سبب ازالته وفرحه القميص ايضا كما ان
هم موسى كان من البحر اذ به التقطه ال فرعون وكذا صار نجاته منه
ومنها ان العين الة مشاهدة الجمال فالاهم للعاشق فتحها ليرى بها
جمال المعشوق واذا اراد الله تعالى بعبد ان يرى جماله فتح عينه يسترنا الله
تعالى ومنها ان النعم الظاهرة انما تدرك بالعين ولهذا دبر فتحها ومنها
ان الدولة والنعمة تطيبان بالاقرباء ولهذا طلب يوسف اتيان الاهل
قال الله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم
ومنها ان يوسف امرهم ولابيه واهلهم بالهدايا والدوات لتكون لهم
وسائل الى وصوله فكذا الله تعالى يعطى عباده المال والقدرة ليجعلوها
هدايا له ووسائل الى وصوله ومنها ان الملك يكتب المعاصى ويبشر قائلا
ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ومنها ان وجدان الريح من مكان
بعيد معجزة ومنها ان ريح الصبا سبب الفرج والنصرة قال صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ومنها ان الريح يورث الانتباه
قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها وقال بعض الزهاد ه فضل خدا ناكاه آيد ه ولى برد دل اكاه آيد ه
ومنها ان فراسة المؤمن حق قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله ومنها ان الدين الحق اولى من الملك ومنها ان الانبياء
يعلمون من الله ما لا يعلم الامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ومنها ان يعقوب قال
ولاتيأسوا من روح الله فوصل الى المقصود فالطالب ما دام لا يقطع رجاء
يصل الى مطلوبه كما روى من بعض الكتب السماوية كلام مضمونه بالعربية
انا المطلوب فاطلبنى تجدنى وروى من طلب وجد وجد ومنها ان يعقوب
وجد ريح يوسف والذين حضروه لم يجدوه واعجب منه ان يهوذا

كان

كان بحمله وهو فى رحله كان لا يجد ريحه وكذا المؤمن يجد ريح الجنة
من مسيرة خمسمائة سنة والكافر لا يجد ومنها البلاء اذا هجم هجم بمرة
واذا زال زال بتدريج روى ان تحت العرش ريحا يقال له ريح الاحزان
وبحرا يقال له بحر الغم فامر الله تعالى الريح حتى امطرت من بحر الغم على طينة
آدم اربعين سنة وبقى فيه كذلك ثم انجلى عنه مقدار ساعة فلذا
كثر الاحزان فى الدنيا على بنى آدم وانما دار السرور والراحة دار
القرار يسترنا الله تعالى بفضله وكرمه ومنها ان المقر بذنبه تائب
وان الله يغفر له ومنها ان من حق المعرف بذنبه ان لا يفضح عنه
ويسئل له المغفرة ومنها انه كان ليعقوب احوال ثلثة وجدان الريح
وسماع البشارة ثم رؤية جمال يوسف فالعبد اذا وجد ريح الله
يسمع البشارة بان يقال ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ثم يرى
الله تعالى كما قال سبحانه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها
ان يعقوب وجد الريح وجد فى طلب وجهه فرأى فى النهاية ومنها
ان عقوق الوالد عصيان فلا بد من الاستغفار ومنها ان يعقوب عليه السلام
لم يستغفر لهم حالا ولم يقنطهم حتى يكونوا بين الخوف والرجاء فالله
يرسل البشارة فى اخر العمر لا فى اوله حتى يكون العباد بين الخوف
والرجاء ومنها ان العاصى لا ينبغى له ان يقنط من رحمة الله وان كثرت
ذنوبه لانهم ندموا واقروا واستغفروا واتوا بشفيع ومن كانت له
هذه الاربعة فهو تائب على الحقيقة ومنها ان البكاء فى مدة العمر
لا بأس به اذا كان آخره الفرح ومنها ان العفو بلا رضاء الخصم بعيد
ومنها ان يوسف قال لا تثريب عليكم اليوم ويعقوب قال سوف
استغفر لان الشاب يستعجل والشيخ يؤخر ومنها ان نسئة الله عليه السلام
خير من نقد الدنيا ومنها ان الامر قد يرى فى اوله سهلا ثم يظهر صعوبته

ومنها ان الله تعالى يحب انين المذنبين والحاح الملحين على ما ورد
به الخبر واذا اريد التفسير الانفسي يراد بالقميص الذى كان عليه
هو الهيئة النورانية التى اتصف بها القلب عند الوصول الى الوحدة
فى عين الجمع والاتصال بصفات الله تعالى والقميص الارضى الذى كان
فى تعويذه حين القى فى البئر اشارة الى نور الفطرة الاصلية والاول
اولى بتبصير عين العقل فان العقل لما لم يكتحل بصيرته بنور الهداية
الحقانية عمى عن درك الصفات الالهية ومعنى قوله واتونى باهلكم
اجمعين ارجعوا الى عن اخركم فى مقام الاعتدال ومراعاة التوسط
فى الافعال فان القلب يتوسط بين جهتى العلو والسفل وانضموا
الى وائتمروا بامرى واقربوا منى ولا تبعدوا عن مقامى فى طلب اللذات
البدنية بمقتضى طباعكم وريحه الذى وجده من بعيد هو وصول
اثر رجوع القلب الى القوى الحيوانية بجهاز الحظوظ على حكم العدالة
وقانون العقل والشرع وضلاله القديم هو تعشقه بالقلب اولا
وذهوله عن جهتهم وقوله الم اقل لكم اشارة الى سابق علمه
برجوع القلب الى مقام العقل واستغفاره لهم تقريرا اياهم على
حكم الفضائل العقلية بالاستقامة بعد صفائهم وزكائهم
وقبولهم للتجليات النورانية بعد خلع الالبسة الظلمانية تيسيرا
لكافة الطالبين انه هو الغفور الرحيم قال كعب ووهب فلما القى
يهوذا القميص على وجه ابيه عاد بصيرا للحال فقال يهوذا البشارة
يا ابتاه ان الملك العزيز الذى ملك مصر واهلها هو ابنك يوسف
وقد بعث اليك جهازا وماتى راحلة وسالك ان تخرج وبنى معك اليه
فتهيأ يعقوب للخروج وخرج معه اثنان وسبعون من ذكر وانثى
فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف تلقاه ومعه ثلثمائة الف

فارس كل واحد منهم معه جنه من فضة وداوية من ذهب الافراس مراكبه
والفرسان غلمانه فتزينت الصحراء مملوة من الفرسان مزينة بالالوان
نظر اليهم متعجبا فقال له جبرئيل انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضرت
بحالك كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان
فقال ايتهم ولدى يوسف فقال جبرئيل هو ذلك الذى فوق راسه ظلة
فلم يتمالك ان اوقع نفسه من البعير فقال جبرئيل يا يوسف ان اباك
يعقوب قد نزل فانزل اليه فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو
الى الآخر قيل ان يعقوب يمشى وهو يبكى على يهوذا فقال يا يهوذا اهذا فرعون
مصر قال لا هذا ولدك يوسف حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج
الفريقان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب
بالطبول والبوقات فصار كانه يوم القيمة فلما دنى كل واحد منهما قال
يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان ثم ادخلهم يوسف فى الصحراء
خيمة او منزلا هناك فالله سبحانه يحكى ملاقاته وما جرى بينهم حيث قال
عز وجل فلما دخلوا باهلهم على يوسف فى الصحراء وكان اليوم يوم
عاشوراء ويجوز ان يكون قد خرج فى قبة من قباب الملوك التى تحمل
على البغال اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتقهما نزلها
منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب اولان يعقوب تزوجها بعد امه
لان امه راحيل كانت قد ماتت فى نفاس اخيه بنيامين وتزوج ابوه
خالته ليا والرابة المربية تدعى امّا روى ان يوسف قال لابيه بكيت
حتى ذهب بصرك اما علمت ان القيمة تجمعنا قال خشيت ان يسلب
دينك فيحال بينى وبينك فقال يحق لك يا ابتاه ثم امرهم بدخول البلد
كما قال الله تعالى وقال يوسف لابيه واهله ادخلوا مصر الدخول
الاول كان خارج البلد حين استقبلهم كما عرفت آنفا ان شاء الله

فارس

آمنين التخط وسائر المكاره قيل الاستثناء اى المشية كيف يدخل تحت
الامر واجيب المشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن قال الامام النسفى رح
والاستثناء داخل فى الامن لا فى الدخول لانه امر بالدخول ووعد الامن والاستثناء
يدخل فى الوعد لا فى الامر وكذا كانت مواعيد الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وانما وعدلهم الامن لانه كان بلد افيه كفار وملكهم الذى اقام يوسف مقام
نفسه كان كافرا ايضا فوعدلهم الامن معلقا بالمشية رجاء لذلك من فضل
الله تعالى وكان دخولهم عليه مصر اربع مرات الاول فدخلوا عليه فعرفهم
والثانى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه والثالث فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز والرابع ولما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال
لابويه ولمن معهما ادخلوا اى قيل لما دخلوا مصر كانوا اثنين وسبعين انسانا
وكثروا فيه وكانوا لما خرجوا منه هاربين من فرعون ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى قالوا وكانت الذرية والهرمى
الف الف ومائتى الف ومما يؤيد ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ياجبريل اى شئ رأيت من عجائب الدنيا قال قافلة دخلت بالنهار
وقافلة خرجت بالليل اما قافلة النهار فقافلة يعقوب واما قافلة الليل
فقافلة موسى فان الاولى قليلون طالبون يوسف والثانية كثيرون هاربون
من فرعون قال الامام القشيرى قدس سره اشترك القوم فى الدخول ولكن
تباينوا فى الايواء فانفرد الابوان به لبعدهما من الجفاء كذا غدا اذا وصلوا
الى الغفران يشتركون فيه وفى دخول الجنة ولكنهم يتباينون فى بساط
القربة فيختص به اهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء فلما عاد يوسف
الى مصر ودخل داره جلس على سريره وجمع الناس واخوته حوله ورفع ابويه
على العرش ورفع والده يعقوب وخالته راخيل على سرير الملك الذى

كان قاعدا عليه فقعد احدهما عن يمينه والاخر عن شماله قيل لم يقل
واجلس ابويه اعلاما لنا انه اجلسهما فوقا منه وخروا ابواه واخوته
والرفع مؤخر عن الخرور لكنه قدم لفظا للاهتمام بالتعظيم له ليوسف
سجدا تحية ونكرها له حال مقدرة لان السجود يكون بعد الخرور قال
وهب انحنوا كما يفعل الاعاجم ولم يضعوا جباههم وانما يوضع الجباه
بالسجود لله تعالى وهذا كان تحية منهم له وكذلك فعلت الملائكة
حين امروا بالسجود لادم ولم يزل تحية الناس السجود حتى جاء الله بالاسلام
فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثرهم على انه وضع الوجه على الارض
وهو المتعارف المتفاهم من اطلاقه وقال ابن عباس رض سجدوا لله شكرا
له على ما انعم عليه بالاجتماع والاظهر المشهور انه كان ليوسف لان الرؤيا
كانت عليه ذلك قال رأيتهم لى ساجدين وكان ذلك تحية للملوك الى ان
نسخ فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وفى الاية دليل على انه لا بأس بامساك
السرير والجلوس عليه اذا لم يكن للتعظم والمباهاة وانما كان للانتفاع
والارتفاق ولامساك الناس على حدود الآداب اذا نظروا اليه بعين الكآبة
والمنزلة والجاه فيسهل على الوجيه تنفيذ اسباب المعاملة ومن الخصر
ان يعقوب لما وجد ريح يوسف لم يسكن حتى اذا وصل البشير تهيأ ووصل
اليه فلطالب الحق ان لا يقعد من الطلب روى عن ذى النون انه قال رأيت
شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت انك تكثر الركوع
والسجود قال انظر الاذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت رقعة قد سقطت
عليه مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من العزيز الغفور الى عبدى الصالح
انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ومنها ان يعقوب
تحير فى كثرة الناس فى الصحراء مع كون الوقت وقت السرور فكيف يكون
حال الناس فى كثرة الخلائق يوم القيمة مع الشدة والدهشة قال مقاتل بن

كان قاعدا

سليمان الخلق يوم القيمة مائة سنة في العرق يلجمون ومائة سنة في الظلمة
متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون وهكذا
ويقال ان يوم القيمة مقداره خمسين الف سنة وانه ليمضي على المؤمن المخلص كما
يمضي عليه ساعة واحدة فعليك ايها العاقل ان تصبر على شدائد الدنيا في
طاعة الله تعالى ليسهل عليك شدائد يوم القيمة ومنها ان يعقوب سلم
على يوسف فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان ونحن نرجو ان نقول
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ومنها ان ابويه كانا غريبين بفراقه فاوى
اليه اباهما وادخلهما داره ورفعهما على عرشه فكذا الله تعالى يعين الايتام
والغرباء لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ثم يدخلهم جنة النعيم ومنها
ان يوسف قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فكذا الله تعالى يقول لاهل
الجنة ادخلوها بسلام آمنين سئل زاهد هل لك رغبة في حال واحد
قال انا راغب فيمن مات على الايمان وحصل له الامان ودخل الجنان ووصل
الى الغفران ومنها ان الاب ينبغي ان يبكي على فراق ابنه في القيمة بان لا يدخل
الجنة ومنها ان الاستقبال مستحب واكرام الضيف مسنون وصاحبه
ماجور قال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجا ففاتهم انقالهم فجاعوا وعطشوا ومروا بعجوز في خبائها فقالوا
هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت
احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت
لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها
احدهم فذبحها وكشطها ثم هيئات لهم طعاما فاكلوه فلما ارتحلوا قالوا
لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا
صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل ثم بعد مدة الجاءتهما الحاجة الى دخول المدينة فمرت العجوز

في بعض

في سكك المدينة فاذا الحسن بن علي رض جالس على باب داره فعرف العجوز
وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيني
قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي وامي انت فامر
الحسن فاشتري لها من شاة الصدقة الف شاة وامر لها معها الف
دينار فالحصة ان اكرام الضيف لم يكن ضايعا في الدنيا فكيف في الاخرة
ومنها ان الله تعالى اذا اراد عصمة عبد يعصمه في اي موضع كان ولو كان
ذلك الموضع دار الكفار حكي ان عالما من المسلمين قد اسر بيد الكفار فيخرجون
في كل اسبوع الى مجلس العلم في دينهم فقال العالم منذ زمان انا فيكم اسير
وكنت احب استماع القرآن والعلم في الاسلام ان مكنوني اسمع معكم
فحملوه وكان مغلولا الى مجامعهم فصعد الراهب على كرسيه وجلس
فحصر ولم يمكنه الكلام فقال الراهب يا معشر النصارى ان فيكم اليوم
عالما من علماء الاسلام فمنعت الكلام لاجله فقالوا ليس فينا احد
غير هذا الاسير فقال قدموه فقال له الراهب بحق معبودك لا تخفي
نفسك انك عالم ام لا فقال انا عالم فتعجبوا من كرامته فقال الراهب
اسئلك عن امرين ان تجيبني فلك الخلاص والا ليس لك المناص فقال سل
قال السؤال الاول قرأت في الانجيل ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة طوبى
ما من دار فيها الا وفيه غصن من اغصانها فما مثالها في الدنيا السؤال
الثاني قرأت في الانجيل ان ثمار الجنة ونعيمها لا تنقضي بالانفاق بل تزداد
فما مثالها في الدنيا فاجاب عن السؤال الاول بالشمس وعن الثاني بالعلم
فاستحسنه فرفعوا غلاله فقال العالم انا اسئلك مسئلة فقال سل
قال كيف قرأت في الانجيل اي شئ مكتوب على باب الجنة فسكت الراهب
فقالت النصارى اجبه والا فقتل انفسنا او نقتلك فقال الراهب لا تقتلوا
انفسكم ولا تقتلوني فاني لست بعاجز عن جوابه ترضون بالاسلام

قالوا رضينا فاجبه فقال ادخلوا دارنا كم فخلوا فقال مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله ومنها انه لا بأس بامساك السرير والجلوس عليه اذا لم يكن للتعظم والمباهاة بل لمصلحة مثل الهيبة فى عيون الناظرين اذا كان من اولى الامر والا فلا ينبغى للعاقل ان يفعل به ومنها ان تعظيم الابوين من الامور المهمة روى ان رجلا من بنى سلمة جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ابوى قد ماتا فهل بقى من برهما على شئ قال صلى الله عليه وسلم نعم الاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ومنها ان القوم وان اشتركوا فى دخول دار يوسف لكنهم تباينوا فى الايواء فانفرد الابوان بالجلوس معه على السرير كذلك غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه والدخول فى الجنة ولكنهم يتباينون فى القربة فيختص به اهل الصفاء والوفاء لان مراتب الناس فى دار الاخرة بحسب احوالهم فى الدنيا روى عن جعفر الخلدى يقول رأى بعض الصالحين فى منامه انه ادخل الجنة فرأى رجلا على مائدة وملك يطعمه وملك يسقيه واخر يقول كل يا من لم ياكل من اجله والآخر يقول اشرب يا من لم يشرب من اجله ورأيت رجلا شاخصا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن حورها وولدانها وقصورها واشجارها وثمارها وهو لا يطرق قط فسألت رضوان من الذى يطعمه ملك ويسقيه ملك فقال ذاك بشر الحافى مات جايعا وعطشانا فوكل الله به ملكين يطعمانه ويسقيانه قلت من الذى شخص ببصره نحو العرش قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله تعالى فاباحه الله النظر اليه فقد اشتغل به ممن سواه ومنها ان السجدة سبب التقرب والامان ورد به الخبر ومنها ان من شرف هذه الامة ان لا يجوز لهم السجدة الا لله تعالى كما قال سبحانه لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله ومنها ان اظهار نعم الله تعالى واراءته

مستحب والمذموم الاغترار بها والغفلة عن شكرها قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد واذا اريد التفسير الانفسى يراد بدخولهم على يوسف وصولهم الى مقام القرب ومحل الاستقامة وبدخول مصر كون الكل فى حضرة الجمعية الالهية الواحدية مع تفاصيل مراتبهم فى عين جمع الوحدة ورفع ابويه على العرش عبارة عن ارتفاع مرتبتى العقل والنفس عن مراتب سائر القوى وزيادة قربهما اليه وقوة سلطنتهما عليه وخرورهم له سجدا عبارة عن انقياد الكل وطاعتهم له بالامر الوجدانى بلا فعل وحركة بانفسهم بحيث لا يتحرك منها شعر الا بامر الله تعالى اعلم ان ابن عباس رض قال لما رأى يوسف سجود ابويه واخوته له هاله ذلك واقشعر جلده منه واراد تذكير سببه لعدم رضا يوسف فى قلبه كما حكى الله تعالى وقال يوسف يا ابت هذا اى السجود لى تأويل رؤياى عبارة رؤياى وتفسيرها وقيل تحقيق رؤياى وقيل تصديق رؤياى التى قصصتها عليك من قبل رأيتها ايام الصبا قد جعلها اى الرؤيا ربى حقا صدقا بان اسجدكم لى فى اليقظة كما اريته فى المنام روى عن ابن عباس رض انه قال كان بين رؤيا يوسف وبين تأويلها اربعين سنة قيل واليه ينتهى الرؤيا وقال السدى كان بينهما سبع وثلثون سنة ويقال حين رأى كان يوسف ابن سبع سنين فظهر تأويلها وهو ابن اربعين سنة وقد احسن بى الى وحروف الادوات تتناوب وقيل هو على حقيقته اى احسن الى اهل الزمان حيث ملكنى ونفع الناس بحسن تدبيرى اذ اخرجنى من السجن فقال يعقوب او كنت فى السجن قال لا اشكو السجن ولكن اشكر الخلاص من السجن ولم يذكر الاخراج من الجب لئلا يكون تثريبا

عليهم ومن تمام الصفح والعفو ان لا يذكر ما تقدم من الذنب وقيل
لم يذكر الخلاص من البئر لان مدة تلك كانت قصيرة ومدة هذه كانت
طويلة وكان السجن من اهل مصر فلم يبال بذكر فعلهم وقيل كان ابقاءهم
اياه في البئر لحسد منهم فلم يخف ان يكون عقوبة له والسجن كان بعد
قوله رب السجن احب الي فخاف ان يكون معاتبة له او معاقبة فعد
الخلاص منه غنيمة وقيل اخرج من الجب عبدا ومن السجن ملكا وجاء بكم
معافين سالمين من البدو ومن البادية التي يبدو فيها من كان ساكنا
وانما قال وجاء بكم من البدو لانهم كانوا بادين بارض كنعان وهي
بادية بلاد فلسطين وقيل قال ذلك لانهم كانوا اهل مواش من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال ابن عباس رض الى الحسد
في قلوب اخوتي وقال مقاتل بن حيان اغرى الشيطان وقيل هيج
وقيل عكرمة افسد وهو حقيقته لغة اضاف الى الشيطان تمهيدا
لعذر اخوته واصل الفساد يكون من وسوسته ثم يقبله الانسان
فيقع فيه او يمتنع عنه بالاجتهاد والاستعاذة بالله فيسلم منه
ان ربي لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بي اي احسن
الله بي بهذه النعم لانه يوصل الى الشيء في سهولة وحسن موقع
وقيل عالم بدقايق الامور وخفاياها وسترها وعللها وقيل المعنى
انه تعالى يفعل ذلك ومثله للاستحقاق العباد ذلك او يميل
الى حدهم دون الاخر بل المشية بمقتضى الحكمة والعلم انه اي
الرب تعالى هو العليم بنا وبما حوالينا من وجوه المصالح والتدابير
وقيل اي العليم بسرائر عباده الحكيم فيما اجرى بيننا اي الذي
يضع كل شيء موضعه ويفعله لوقته على وجه يليق به وقيل اي العليم
بما فعلوا بي الحكيم بما فعل هو بنا وفي بعض التفاسير المقبولة

ان الله

ان الله لما جمع بين يوسف وابويه واخوته اخذ يبدا بيه وجعل يعرض
عليه الخزائن فعرض عليه خزانة الذهب والفضة والحلي والحلل
والاسلحة حتى ادخله خزانة القراطيس فراى يعقوب فيها شيئا
كثيرا فقال يا بني ما اعقك لابيك كان عندك كل هذا من القراطيس
وكنت مني على ثماني مراحل اربعين سنة فما الذي منعك من مكاتبتي
قال امرني بذلك جبريل قال افلا تسأله قال يا ابت انت اشد
انبساطا اليه مني فجاء جبريل فسأله يعقوب ء انت نهيت ابني
عن مكاتبتي قال نعم قال ولم قال لان الله تعالى امرني بذلك قال
افلا تسأله قال نعم فمضى وسأل الله تعالى فقال قل لعبدي يعقوب
انسيت يوم قلت اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله
الذئب فهلا خفتني يا يعقوب ذكره الامام النسفي رح وقال الفقيه
ابو الليث رح مدح الله تعالى يوسف في هذه السورة في ثمان مواضع
احدها ان اخوته لما فعلوا به ما فعلوا صرف العداوة من اخوته الى
الشيطان حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان الاية والثاني حين
راودته المرأة قال انه ربي احسن مثواي فعرف خدمة سيده ولم يهتك
حرمته والثالث انه قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فاختار
السجن على ارتكاب الحرام والرابع انه قال وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء بعد ما ظهر ان الذنب من غيره والخامس انه لما اعتذر
اليه اخوته قال لهم لا تثريب عليكم اليوم والسادس انه بعث القميص على
يدي اخوته لما ادخلوا على ابيهم الحزن في الابتداء اراد ان يدخلوا عليه
السرور فقال اذهبوا بقميصي هذا والسابع انه لما لقي اباه لم يذكر عنده
ما لقي من الشدة وانما ذكر عنده المحاسن قال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن الاية

والثامن انه لما تم امره تمنى الموت وترك الدنيا ومن الحصر ان العاقل اذا رأى تعظيم الناس اياه يشكر الله لانه دليل كثيرة النعم كما قيل من كثر نعم الله عليه كثر احتياج الناس اليه ومنها ان النعمة بعد البلية اعظم واحق ان يشكر بها والبلية بعد النعمة اصعب روى عن بلال بن سعيد انه قال رب مسرور مغبون ويل وهو لا يعلم يأكل ويشرب ويضحك ويلعب قد حق عليه قضاء الله تعالى انه من اهل النار ومنها ان الانتقال من البادية والقرية الى المصر نعمة وسبب فضيلة ومنها ان اهل الجنة يشكرون الله تعالى بان يقولوا الحمد لله الذي اخرجنا من سجن الدنيا واحلنا دار المقامة ومنها ان الله تعالى لا يشكو يوم القيمة عن المؤمنين بل عن الكافرين كما قال تعالى يوم يقوم الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ومنها ان بلاء الدنيا قليل لمن ابتلى به ونجا من عذاب الاخرة لا ينبغي له ان لا يشكر ومنها ان خروج المؤمن من الرحم حال كونه فقيرا ومن القبر اميرا كما ان خروج يوسف من البئر عبدا ومن السجن عزيزا ومنها ان من ترك الشهوة ولخلا سجن الخلوة يجد عزة مصر الاخرة يروى عن علي بن الدقاق انه قال قدم علي فقير زائرا وعلى رأسه قلنسوة مسح من البسة الصوفية فقال بعض الاصحاب بكم اشتريت هذه القلنسوة على وجه المطايبة فقال اشتريتها بالدنيا فطلبت بالاخرة فلم ابعها واطلب الجمال ومنها ان الاية تدل على سوء عيش اهل السجن فكذا عيش اهل الدنيا كما قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ومنها ان يوسف اسند الفساد الى الشيطان لا الى اخوته فكذا الله تعالى اسند الى الشيطان كما قال ان الشيطان ينزغ بينهم ومنها ان يوسف اكرمهم بانواع النعم بما يريد والله تعالى يكرم في الاخرة بما يشتهي المؤمنون كما قال تعالى

ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولذ الاعين ومنها ان يوسف لما افترق من ابيه ابتلي بالبلاء العظيم وحصل له الفرح بلقائه فالمؤمن ينبغي بفراق الله تعالى ويحصل له الفرح بوصوله روى عن الشبلي قدس سره انه مر يوما ببعض المقابر فسمع امرأة تبكي وتقول واويلاه من فراق الولد فوقف الشبلي وبكى بكاء شديدا وقال واويلاه من فراق الاحد فقالت المرأة انت مجنون فقال لها بل انت مجنونة قالت كيف ذلك فقال انت تبكين على ولد منقوم افلا ابكي انا على خالق موجود يا عجبا هذا فراق من له بدل فكيف فراق من لا بدل له هذا فراق من له نظير فكيف فراق من لا نظير له ولا شبيه له وهو السميع البصير ومنها ان الميت يعرف الزائر والاحياء ولا رخصة له في الكلام كما ان يوسف كان يعرف اباه ولم يكتب اليه كتابا لانه لا رخصة له فيه ومنها ان بلاء الدنيا ينتهي ولا نهاية لبلاء الاخرة فعلى العاقل ان يكتب ما يدفعه عنه ومنها انه ينبغي للمؤمن ان لا يخاف الا الله فان يعقوب لما قال اخاف ان يأكله الذئب ابتلي بما ابتلي واذا اريد التفسير الانفسي يراد بتأويل رؤياه صورة ما تقرر في استعداده الاول من قبول هذا الكمال ومعنى قد جعلها ربي حقا اخرجها من القوة الى الفعل وقد احسن بي بالبقاء بعد الفناء واذ اخرجني من السجن من سجن الخلوة الذي كنت فيها محجوبا عن شهود الكثرة في عين الوحدة ومطالعة الجمال في صفة الجلال وجاء بكم من البدو اي من بدو خارج مصر للحضرة الالهية من بعد ان نزغ شيطان الوهم بيني وبين اخوتي بتحريضه اياهم على القائي في قعر بئر الطبيعة بانهماكهم وتهالكهم على اللذات البدنية ان ربي لطيف يلطف باجتبائه بتوفيقهم للكمال وتدبير امورهم بحسب

مشيته الازلية وعنايته القديمة انه هو العليم بما فى الاستعداد الحكيم
بترتيب اسباب الكمال وتوفيق المستعد الوصول اليه يسرنا الله تعالى
اعلم ان وهب بن منبه قال لبث معه اخوته من يوم ورد واعليه
مصر الى يوم مات ابوه اربعا وعشرين سنة فى اغبط الغبطة واستر
السترور لا يأتى عليه يوم ولا ليلة الا والله يحدث فيه عنطة وهى
افضل مما قبلها ورخاء هو افضل مما قبله وعافية هى اوسع مما قبلها
قد جمع الله الفتهم واقر عيونهم ودحر الشيطان عنهم فلبثوا بذلك
لا يقدر قدر احسان الله اليهم ونعمته التى انعمها عليهم فلما حضر
يعقوب الوفاة جمع ولده وولد ولده فاوصاهم وعهد اليهم وقال
يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال
لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك وقال يا بنى
احفظوا عنى خصلتين ما انتصرت من ظالم بقول ولا فعل ولا رأيت
من احد حسنة الا افشيتها ولا سيئة الا كتمتها وقال له بنوه يا
ابانا انا نخاف ان يحقد علينا يوسف بما صنعنا به بعدك فاستوهبه
لنا ذلك منه واوصه بنا قال يعقوب ليوسف هب لى فعلة اخوتك
بك ولا تحقدها عليهم فقال يوسف يا ابتاه قد عفوت عنهم ووهبتهم
لك واوصى يعقوب يوسف اذا هو مات ان يحمل جسده حتى يقبر مع ابويه
ابرهيم واسحق فى الارض المقدسة فحمله يوسف فى تابوت ساج على عجلة
من ارض مصر حتى اورده الارض المقدسة ثم وضعه الموضع الذى امره به
فرجع الى مصر قال وهب ويقال انه مات هو واخوه عيص فى يوم واحد
فدفنا فى قبر واحد وكانا فى بطن واحد وكان عمرهما مائة سنة واربعا
واربعين سنة ثم عاد يوسف الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين
سنة فلما جمع الله ليوسف شمله واقر عينه واتم له امر رؤياه وعلم يوسف

انه لا يدوم

انه لا يدوم له هذا الملك كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا
اذا قيل تم. طلب لنفسه الملك الدائم الخالد كما قيل اذا جاء
نهر الله بطل نهر معقل فتمنى الموت ودعا به وذلك قوله رب اى
يا رب ناداه الانبياء بهذا اللفظ قال ادم ومعه حوا ربنا ظلمنا انفسنا
وقال نوح رب لا تذر على الارض وقال موسى رب نجنى من القوم الظالمين
وقال محمد رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين وغيرهم قد اتيتنى
اعطيتنى من الملك بعضه لانه لم يملك الدنيا كلها وقيل من
لبيان الجنس اعلم ان الاظهر الاشهر انه ملك مصر وقيل هو ملك
الجمال وقيل هو ملك النسب فهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقيل هو ملك القلوب
وكان يحبه الحاضر بالنظر والغائب بالخبر وقيل هو ملك اللحظ
فقد نفرت الهوام كلها حين القى فى البئر احتراما له وقيل هو ملك
القيمة حتى بلغت قيمته يوم دخوله مصر وعرضه فى السوق للشراء
اضعاف اضعاف زنة نفسه من كل مال خطير وقيل هو ملك النفس
حتى استعصم فلم يجب امرأة العزيز وقيل هو ملك الهمة حتى اختار
السجن على العصيان وقيل هو ملك النبوة فى ثمانى عشرة سنة من عمره
وقيل هو ملك الهيبة حتى هابته زليخا وذلت له وانقادت مع ان
ظاهر حالها انها ملكته وقيل هو ملك الاخوة ملكهم وذلوا له
ثم من عليهم وقيل هو ملك الجود فما كان فى الدنيا اجود منه فى سنة القحط
وقيل هو ملك الشفقة وقد كان يجوع لئلا ينسى الجياع وقيل هو ملك
العدل فقد سوى بين اهل ولايته والغرباء كلهم فى سنة الجدب
وقيل هو ملك القميص اعاد به بصر ابيه وكان جميع قصة فى ثلثة
من القمص وجاؤا على قميصه بدم كذب وان كان قميصه قد من قبل

اذهبوا بقميصي هذا وقيل هو ملك الوصال فقد وجد وصال ابويه
واخوته وقرابته بعد اربعين او ثمانين سنة من غير ان نقص منهم احد
وقيل هو ملك العبرة فقد قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى
الالباب وقيل هو ملك السؤال وهو سؤال الوفاة على الاسلام ولم يكن
سئله في غيره في مثل حاله وعلمتني من تاويل الاحاديث اي تعبير
الرؤيا وفيه اقاويل اخر مرت في اول السورة فاطر السموات والارض
يا خالق السموات والارض من غير شئ مبتدئا خلقهما نصب على انه صفة
للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة
في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي في الدنيا والاخرة اي
ناصري ومتولي اموري وكافي معاشي ومعادي والولي في القرآن لعشرة
معان للرب قال تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وللاله قال تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء اي الهة وللولد قال تعالى فهب لي من لدنك
وليا وللقريب قال تعالى فما لكم من دون الله وليا وللصاحب قال تعالى
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وللقيم قال تعالى فليملل وليه بالعدل
ولمتولي المصالح قال تعالى انت وليي وللموالي في الكفر قال تعالى لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء وللموالي في الاسلام قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وللنصيح قال تعالى لا تتخذوا الكافرين اولياء وقال
الامام القشيري قدس سره انت الذي تتولاني في دنياي بعرفانك وفي
عقباي بغفرانك وليس لي في الدارين غيرك ولما انتظمت اسبابه
وامتلأت احواله اشتاق الى ربه وقال توفني مسلما اي امتني على الاسلام
ومخلصا بتوحيدك قيل هذا سؤال التوفي على الاسلام للحال وقيل هو
سؤال الختم على الاسلام متى كان وحكي عن الاستاذ ابي علي الدقاق رح
انه قال قال يوسف ليعقوب علمت انا لا نلتقي في الاخرة بعد الموت فلم يكيت

مدة مديدة فقال يا بني ان هناك طريقين خفت ان تسلك طريقا
واسلك طريقا فقال يوسف عند ذلك توفني مسلما وقال الشيخ
الامام ابو الحسين محمد بن يحيى البشاعري رح في كتاب عصمة الانبياء
ان من كملت حالته وصفت سريرته لاحت له معرفة اقدار الاشياء
على هيئاتها وكشف له من النظر الى عظمة الله وسلطانه ثم الى نفسه
في جوهرها وبنيتها فلا يترك شرط العبودية في مقامه وان عظمت
نعمة الله عليه بل يقوم بوفاء الشكر للمنعم لا للاعجاب بالنفس
والامن على حالها والثاني ان يوسف دعا به ليقتدي به قومه ومن
بعده من ليس بآمن على ختمه فلا يترك الدعاء امتثالا به لان ظواهر
الانبياء كانت لنظر الامم اليهم ليعلموا موضع الشكر من موضع الاستغفار
والثالث معنى الاسلام من مسئله يحتمل الاسترسال فاحب ادامة العصمة
عليه باستعمال الخلق الحسن الى اخر عمره حسب ما جرى في مختلف
الاحوال التي جرت عليه من المحن والنعم اذا الاسلام قد يكون عبارة
عن العقد وهو الدين وعن التسليم وهو صفو الحال كذا في التيسير وقيل
ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله تعالى طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر ونشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال
فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه
في النيل بمكان يمر عليه الماء اي عند قسمة مياههم في اعلى مصر
ثم يصل الى مصر ويصيب بركته الى اهل مصر ليكون كلهم سواء فيه
ثم نقله موسى وكان عمره مائة وعشرين سنة كما سيجئ تفصيله
ان شاء الله تعالى وقيل انما قال توفني مسلما لانه لما وقع في البئر
نودي اتخاف عاقبة امرك فقال يا مولاي بلى فقال انا وليك
فنادى اذا كنت ولي فتوفني مسلما اشتياقا منه وقيل انما تمنى

الوفاة لان الخلاص من سجن الدنيا حسن وقيل استقبل الامر قبل
مجومه لانه علم بقينا انه يموت لا محالة فقال توفني لان الامر الذى
لا يمكن الفرار منه يستحسن استقباله على احسن الاحوال باعانة
الملك المتعال ومعنى قوله توفني مسلما يعني بيدك التغيير والتبديل
لا تغير قلبي ودبني كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك والحقني بالصالحين من ابائي في الجنة ابرهيم
واسحق ويعقوب وقيل اراد به الحقني في الدنيا بدرجات الصالحين
المستكملين للصلاح المنزهين عن الفساد قيل لما شاهد يوسف
الملك خاف ان يجنس مع السلاطين ويصير بعيدا عن الانبياء
قال والحقني بالصالحين وفي ذلك تنبيه لكل مسلم ان يدعو بهذا
الدعا وهو الختم على الاسلام والالحاق بالصالحين لان مع الصالحين
الامن والسكون والغبطة والحبور وهذه الكلمة في القران لمعان منها
المؤمن قال تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم ومنها العمل المرضي
قال تعالى وعمل صالحا ومنها المطيع قال تعالى وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين ومنها النائب قال تعالى وتكونوا من بعده قوما
صالحين ومنها الامين قال تعالى وكان ابوهما صالحا اى يؤدي الامانة
ومنها الولد السوي الاعضاء قال تعالى فلما اتيتهما صالحا ومنها الرفيع
المنصف قال تعالى سنجدني ان شاء الله من الصالحين ومنها الرفيع
المنزلة قال تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين ومنها انه اسم للانبياء
لكمال حالهم واستجماع خلال الخير فيهم قال تعالى وادخلناهم في رحمتنا
انهم من الصالحين روى انه بقي يوسف عليه السلام في مصر بعد موت ابيه
ثلثا وعشرين سنة لم يضحك ولم يفطر بالنهار ولا ينام بالليل الا
قليلا ولا يلبس ثياب الملوك ولا يجلس على السرير ولا يخالط النا

وكان

وكان يبكي ويذكر اسلافه الماضية فنام ليلا ورأى خياما في الصحراء
وفي وسطها خيمة فيها ابوه وامه يصيحان يا يوسف عجل عجل فانا في
الانتظار فلما انتبه علم انه مطلوب فوقف في المحراب وقال توفني مسلما
والحقني بالصالحين قال وهب فلما حضر يوسف الوفاة اوصى اخوته
بمثل ما اوصى به ابوه يعقوب ان يحملوه الى الارض المقدسة فيدفنوه
مع ابائه فحمل ودفن مع ابائه وقال ابن عباس رض مات يوسف في اهل
مصر ودفن بها حتى بعث الله تعالى موسى بن عمران فولى اخراج شخصه
من مصر فانطلق به حتى دفنه عند قبر ابيه هذا هو الاشهر على ما قيل
من انه لما مات اراد وا ان يحملوه الى الارض المقدسة فلم يتركهم اهل
مصر واختلفوا في دفنه كما سبق آنفا وكان يوسف اول نبي من انبياء
بني اسرائيل قال وهب ثم استخلف من بعده يهوذا ثم رويبل ثم لاوى
ثم شمعون ثم شجر ثم زبالون ثم زبيا ثم دآن ثم يفتال ثم حاذ
ثم اشبير وولد ليوسف ابنان افرايم بن يوسف ومنشا بن
يوسف فولد لافرايم نون بن افرايم وولد لنون يوشع بن نون وهو
فتى موسى وولد لمنشا بن يوسف موسى بن منشا واهل التورية
يقولون هو الذى طلب الخضر وخرق السفينة وقتل الغلام
وقال ابن عباس رض هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب
وكان بين دخول يوسف مصر الى يوم خروج موسى اربعمائة عام واوصى
موسى ان يحمل شخصه ويدفن بيت المقدس كما اوصى يوسف وقال
وهب يقال ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة
كما هي في القران لا يزيد ولا ينقص ومن الخصص ان ملك الدنيا فان
ومنها ان يوسف وصل الى الرفعة بعد المحنة ثم لما ظهر فاها
طلب الوفاة على الاسلام والسعادة الابدية والالحاق بالصالحين

فمن اراد النعمة فى الاخرة كيف يجدها بلا تحمل المحنة وان عز للاخرة
لا زوال لها والموفاة على الاسلام مطلب اعلى والالحاق بالصالحين
مقصد اقصى فمن اراد ذلك لابد ان يجتهم ويخالطهم كما قيل احبب
الصالحين ولست منهم لعل الله يرزقنى الصلاحا ومنها ان الانبيأ
نادوه قائلين يارب فاستجاب الله لهم ونحن نقول ربنا فنرجوا
ان يستجاب دعاؤنا كما استجيب دعاؤهم روى ان رجلا مات ودفن
فسمع من قبره انين فذهبت امراته الى رجل صالح وعرضت حاله عليه
فتوجه الى روحه فاخبره بانه اعترض على حكم من احكام الله تعا
فعذب به فامر هذا الرجل تلك المرأة ان تتصدق وتروح بايتامه
الى قبره يدعون الله تعالى قائلين ربنا ففعلوا فلم يسمع الانين
بعد ومنها ان يوسف قال انت ولیی فى الدنيا والاخرة وكون الله
ولى المرأ اعز المطالب واشرف المقاصد وهذا حاصل للمؤمنين
بوعد تعالى حيث قال عز وجل الله ولى الذين امنوا الاية ومنها
ان المحنة اولى من النعمة عند الكملة اذ قيل ليوسف متى كنت
فى المحنة ما طلب الموت فاذا صرت فى النعمة لم طلبته قال كان
جبرئيل يأتينى فى المحنة وهو انيسى كما ورد فى الخبر قال عز وجل
انا عند المنكسرة قلوبهم روى ان موسى عم قال اين اجدك
يارب فاوحى الله اليه تجدنى عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة
قبورهم ومنها ان يوسف لما شاهد انتظام امره اراد الموت
على احسن الاحوال فينبغى للمؤمن ان يطلب الموت على احسن
الاحوال ويقول توفنى مع الابرار ومنها ان تمنى الموت على الاسلام
والالحاق بالصالحين فالعبد العاصى كيف يغفل عن ذلك مع
عصيانه فالاهم لنا ان نقول ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا

سيئاتنا

سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ومنها ان مرتبة الصلاح اعلى واشرف
اذ هى مطلب الانبياء ومنشأ سلام الله تعالى كما قال فمن الانبياء
والمرسلين فى المعراج السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن
فوائد الصلاح ان من اتصف به يدعو له كل من يصلى فى الارض الى
يوم القيمة اذ يقول فى التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
ومنها ان يوسف طلب مقارنة الصالحين لا مقارنة السلاطين
لان مقارنة الصلحاء والفقراء اعز واشرف عند الله تعالى ولذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا واتنى
مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ومنها ان فيه تنبيها
لكل مسلم على ان يدعو بهذا الدعاء وهو الختم على الاسلام والالحاق
بالصالحين لان مع الصلاح يوجد الفلاح ومنها ان يوسف
كان صاحب جمال وكمال ومحبوب ابيه ومبغوض اخوته ورأى الالطاف
من ابيه والمحن من اخوته والمراودة من زليخا ووصل الى الملك ومضى
عمره وانقضى كما يمر السحاب حتى انتهى فتمنى الموت والالحاق
بالصالحين وهكذا غاية رياسة الدنيا وسلطنتها فالعاقل
من لا يغتر بها بل توجه الى الله تعالى بانواع القربات ايقظنا الله تعالى
عن الغفلة ويسرنا الوصلة بحرمة نبيه النبيه محمد صلى الله عليه وسلم
واذا اريد التفسير الانفسى يراد بقوله رب قد اتيتنى من الملك
انك اعطيتنى من توحيد الملك الذى هو توحيد الافعال وعلمتنى
من تاويل الاحاديث اى معانى المغيبات وما يرجع اليه صورة
الغيب وهو من باب توحيد الصفات فاطر سموات الصفات
فى مقام القلب وارض توحيد الافعال فى مقام النفس انت ولیی
فى توحيد الذات فى دنيا الملك واخرة الملكوت توفنى مسلما

امتنى فى حال كونى منقادا لامرك والحقنى بالصالحين التائبين فى
مقام الاستقامة بعد الفناء فى التوحيد ثم ان الله تعالى بين ان
اخبار هذه القصة لم يكن الا بوحى من عنده الى حبيبه محمد صلى
الله عليه وسلم حيث قال عز وجل ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ
يوسف م والخطاب للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب من
اخباره خبر المبتداء نوحيه اليك خبر بعد خبر اى ذلك من
الاخبار التى يغيب علمها عن العباد فلا يقف عليها الا من علمه
الله تعالى فنحن نعلمك ونوحيه اليك وما كنت يا محمد لديهم
عند اخوة يوسف ذكر هذا على سبيل التهكم بهم لان كل واحد
منهم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان معهم اذ
اجمعوا امرهم احكموا الرأى والتدبير على طرحه فى البئر وغير
ذلك وهم يمكرون بيوسف اى يحتالون للتفريق بينه وبين
ابيه يعقوب ليخلو لهم وجه ابيهم فتعلم قصتهم بمشاهدتك اياهم
ولحضورك امرهم ولكن الله من عليك بتعريف قصتهم ولم يكن ليحصل
ذلك بك وهو يريد ان يخذل ويبصر اعداءك عليك بل ينصرك
ويعلى شانك كما فعل بيوسف واخوته فاسكن الى هذا ولا يهمن عليك
اعراض قومك عنك ذكره النسفى به وقال بعضهم ليس المراد مجرد
نفى حضوره فى مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل فى سائر المشاهد
ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها
كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله عليه السلام
لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك من الغير
وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولكن

بين اظهرهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه
تهكم بالكفار فكانهم يشكون فى ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا
ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينفقه له
اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعنى ان مثل هذا التحقيق بلا
وحى لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور
فهو بالوحى وما اكثر الناس عام او خاص باهل مكة اى ولو سمعوا
منك هذه الايات الدالة على صحة ما اوحيناه اليك من الغيب
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات عليهم بمؤمنين
لا يؤمنون وان اشتد حرصك على ايمانهم لان هذا من افعال لا يقدر
عليها احد غيرى وفى الاية تقديم اذ المعنى وما اكثر الناس بمؤمنين
ولو حرصت والحرص طلب شئ باجتهاد فى اصابته وجه اتصال قوله
تعالى وما اكثر الناس الاية بما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف على سبيل
التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد انه عليه السلام اذا ذكرها
قريبا آمنوا فلما اصروا على كفرهم حزن النبى عليه السلام لذلك
فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين لعلم
الله السابق فيهم وما تسئلهم عليه على الانباء او القران او
الارشاد او الايمان من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو
ما هذا القران الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة الى يوم القيمة
يقول تعالى لست تطمع فى اموالهم ولا تسال على تبليغ القران شيئا
فينسبوك الى الاستكثار فعل الطالبين العلو فى الارض والمال
ولا انت ايضا رسول بهذا القران اليهم وحدهم بل القران تذكير وموعظة
لجميع العالمين الى قيام الساعة ويتضمن ما بهم الحاجة الى معرفته

من امر دينهم يتذكرون به ما ينسونه وقيل ان هو الا ذكر للعالمين اى
شرف لمن اتبعه من العالمين ذكره فى التيسير ومن الخصص ان الله تعالى
من على رسوله بتعريف قصته اذ العلم مما يمن به على العبد قال تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا قال على رض انت عبد من علمك ولو
حرفا وفى رواية من علمنى حرفا فقد صيرنى عبدا ان شاء باعنى وان شاء
اعتقنى قال بعض العلماء من علمك حرفا فقد استبعدك مدة العمر قيل
لذى القرنين لم تكرم استاذك فوق اكرام ابيك قال ان ابى كان سببا لترقى
من العلو والحيوة الفانية وانا استاذى فكان سببا لارتقائى الى
العلو والحيوة الباقية الابدية ومنها ان شرف العلم لا يخفى على اولى الالباب
ونصرة الله مع العلماء فصاحب العلم عزيز ان لم يذل نفسه قطعة
عجبت لاهل العلم كيف تغافلوا ٭ عن الحق واستغشوا ثيابا بها لك ٭
لا يطوفون حول الظالمين كائنا ٭ يطوفون حول البيت وقت المناسك ٭
وفى الخبر العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف
فوق الوراثة لتلك الرتبة وورد فى الخبر يوزن يوم القيمة مداد العلماء
ودم الشهداء ومنها انه تعالى ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى ان
يقتدى به فى الصبر على الاذى ليظفر على الاعداء ومنها انى اقويك واجعلك
غالبا على اعدائك كما فعلت بيوسف ومنها ان الوعظ مثل المطر والنبات
انما يخرج بحسب الاستعداد الارض ومنها ان ابرهيم عليه السلام طلب
اجر الدنيا اذ قال واجعل لى لسان صدق فى الاخرين فاتاه الله اجرا
اذ يحبه ويثنى عليه كل اهل الملل ويصلى عليه كل مصل ورسول الله
وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم لم يسئل اجرا اصلا فاجره العظيم
على الله تعالى الكريم الرؤف الرحيم واذا اريد التفسير الانفسى يراد
ان بناء يوسف القلب من الاسرار الخفية نوحيه الى رسولنا الالهام

وما كان حاضرا عند مكر الحواس به وبالقلب وما اكثر القوم بمؤمنين
الايمان العلمى والعملى اعلم ان الله تعالى سلى رسوله بان بين
ان اصرارهم على الكفر بعد ما شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة
ليس بعجب لانه انما نشأ من عدم تاملهم فى الدلائل الدالة على نبوتك
كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم مملو بالدلائل الدالة على وجود الصانع
وكمال علمه وقدرته وحكمته كما قيل فى هذا المعنى المنيف وفى كل شئ له آية
تدل على انه واحد وهم يمرون عليها وبشاهدونها ولا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها كما قال سبحانه تعالى وكأين من اية وكم من آية
دالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فى السموات
من الشمس والقمر والنجوم والارض من الامم الماضية والجبال والبحار
والانهار والنباتة والاشجار يمرون عليها على الايات ويشاهدونها
وجملة يمرون صفة اية او حال منها لتخصصها بالوصف بالجار وقيل
ضمير عليها للارض ويمرون حال منها وهم عنها معرضون غافلون
لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها ولا يتعظون بما نال الاولين قال
الامام النسفى رح المعنى وكم من دلالة على وحدانية الله تعالى فى
السموات وهو سقوف الارض على طبقاتها من علو بعضها على بعض
وفى الارض وهى قرار الخلق ووجه الاعتبار بالايات التفكر فيما يقتضى
من ان مدبرا دبرها قادرا عليها عالما بها لا يشبهها وقال الامام القشيرى
قد سترت الايات ظاهرة والبراهين زاهرة وكل جزء من المخلوقات
شاهد على انه الله واحد ولكن من غمض عينه لم يستمتع بضوء نهاره
وكذلك من قصر فى نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره ولما
سمع المشركون قوله تعالى وكاين من آية الخ قالوا انا نؤمن بالله الذى
خلق هذه الاشياء فانزل الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم

وما كان

بوجوده وخالقيته تعديد لمقابح اولئك المشركين وتبعيد لايمانهم
بالقران قال ابن عباس رض اراد انهم حين سئلوا من خلقكم ومن نزل
من السماء ماء ليقولن الله فهذا ايمانهم الا وهم مشركون وهم
في غير اقرارهم مشركون بعبادة الاوثان ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او باتخاذ الاحبار اربابا
او بنسبة البنين اليه او القول بالنور والظلمة ونحو ذلك قيل الاية
في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب وقال مجاهد
هذا في التلبية يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك
تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار ينسون
ربهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا في الدعاء قال تعالى
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال واذا مس
الانسان الضر دعانا لجنبه الاية وقال الحسن هم اهل الكتاب معهم
شرك وايمان وقال الامام ابو منصور يحتمل ومايؤمن اكثرهم بالله
بالسنتهم الا وهم مشركون بقلوبهم ويحتمل ومايؤمن اكثرهم بالله
في النعمة انها من الله الا وهم مشركون في الشكر له وقال الامام القشيري
قدس سره الشرك نوعان جلي وخفي فالجلي ان يتخذ من دونه سبحانه
معبودا والخفي ان يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصودا وقيل
شرك العارفين ان يتخذوا من دونه مشهودا او يطالعوا سواه موجودا
ثم ان الله تعالى خوفهم بقوله افامنوا يعني المشركين هذا وعيد لهم
اخرج مخرج التعجب اي عجبا من غفلتهم اما يخافون ان تاتيهم
غاشية ان تجأهم عقوبة من الله تغشيهم وتشتملهم وتعمهم كما
جاءت من قبلهم من الامم العاصية من عذاب الله في الدنيا او تاتيهم
الساعة بغتة او تاتيهم القيمة فجأة من غير سابقة علامة وهم

لا يشعرون

لا يشعرون بايتانها يعني لا علم لهم بها غير مستعدين لها فماذا
يصنعون حين وباذا يعتصمون ولا ايمان لهم ومن الحصص ان الله تعالى
كان يحب رسوله ولهذا كان يسليه وكلمه وعرج به الى السماء وعظمه
باشرف الاسماء كما قيل في هذا المعنى بيت موسى بطور كرجه بخن كفت
باخداه بالاى عرش پايه طور محمدست بيت اى حواجه كم عاقبت
كار امتت ه محمود ازان شدست كه نامت محمدست ومنها ان من له
عين ولا ينظر بعين العبرة لا يستفيد قال عيسى ع م الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها والناس في الدنيا اصناف صنف اشتغلوا
بالدنيا عن الاخرة فهؤلاء من الفائزين وصنف اشتغلوا بالاخرة
عن الدنيا فهؤلاء من المقربين ومنها ان الاستدلال من الاثار على
المؤثر ومن الحاضر على الغائب من صنايع اولى الالباب نفس عليه
ان الظاهر عنوان الباطن روى عن عطاء انه قال من تأدب باداب
الاولياء فانه يصلح لبساط المشاهدة ومن تأدب باداب الانبياء
فانه يصلح لبساط الانس والانبساط ومنها ان الايمان مع المنافي له
غير مقبول روى ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء ان قل لقومك
ما بالكم يخفون الذنوب من المخلوقين وتظهرونها الي وان كنتم تعلمون
اني اريكم فلم جعلتموني اهون الناظرين ومنها ان الشرك الخفي مما
يخفى على كثير من الناس فالاجتناب عنه احق واحرى ومنه الرياء
ورد في الخبر ان الشهيد يؤمر به يوم القيمة الى النار فيقول يارب
استشهدت في سبيلك فيقول اردت ان يقال انك شجاع وقد قيل
ذلك وذلك اجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والغازي والقاري
وغيرهم ومنها ان المكذبين يستحقون العذاب وان الله تعالى يجازيهم
كما قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة

ومنها ان المكذبين يتمنون ان يرجعوا الى الدنيا بعد ما عاينوا العذاب
ويندمون على تقصيرهم ولا يستجاب لهم كما حكى الله تعالى حين ترى
العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين فاجبت بلى قد جاءتك
اياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ومنها ان عذاب
الاخرة اليم شديد ولهذا قال الله تعالى يوم يود المجرم لو يفتدى
من عذاب يومئذ ومنها ان الموت فجأة مع عدم الاستعداد به مما يجب
ان يخاف منه فيجب تعجيل التوبة والعبادة فان وقت الموت غير
معلوم وان قيامة الرجل تقوم يوم فوته كما ورد من مات فقد قامت
قيامته قيل الناس فى التوبة على اربعة اوجه فرجل مسوف بالتوبة
مدافع بها قد اغتر بطول الامل ونسى قرب الاجل فهذا ان ادركه
الموت على هذه الحالة فهو من الهالكين ورجل تائب ما لم يجد شهوة
فاذا وجد شهوة ركب هواه فضيع المحاسبة لنفسه فهذا مستحق
بعقوبة الله تعالى ورجل تائب بقلبه الا ان نفسه تدعوه الى ما
لا يرضاه الله تعالى فهذا يجب عليه ان يؤدب نفسه بالقيام والصيام
وترك الشهوات وفيضه من الله تعالى على قدر صدقه فى مجاهدته لنفسه
ورجل تائب دائم فى المحاسبة قد قام على نفسه خوفا ان ترجع الى طبعها
الاول فهذا اعز واشرف واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان الحواس والقوى
يمرون على الايات وهم لا يتفكرون فيها وما يؤمن اكثرهم بالله الايمان العلمى
الا وهم مشركون باثبات موجود غيره او الايمان الغيبى الا وهم مشركون
باحتجابهم بانانيتهم افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اى حجاب
يحجب استعدادهم عن قبول الكمال من هيئة راسخة ظلمانية او تاتيهم
القيمة الصغرى بغتة وهم لا يشعرون بنور الكشف والتوحيد فلا يرتفع
حجابهم اعلم ان الله تعالى لما ذكر حال المعاندين تسلية لحبيبه امره

بما هو

بما هو وظيفته فقال سبحانه قل يا محمد هذه اى الدعوة الى التوحيد
او الملة الاسلامية سبيلى طريقتى التى اسلكها ابتغى بها الجنة
فى الاخرة ثم فسر سبيله بطريق الاستيناف بقوله ادعو اى الخلق
كلهم الى الله وحده دون الشركاء والانداد التى يجعلها المشركون
على بصيرة على بيان وحجة واضحة انا تاكيد للمستتر فى ادعو
او مبتداء خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف على انا اى وكل من
آمن بى لا على تقليد والف عادة فهو ايضا يدعو على بصيرة او هو عليها
ايضا وسبحان الله عطف على ادعو اى وانزهه تنزيها او على هذه
سبيلى اى قل سبحان الله اى تنزيها له ان يكون معه اله غيره نصب
على المصدر قيل الفرق بين التسبيح والتقديس ان التسبيح نفى ما
لا يليق بذاته تعالى والتقديس اثبات ما يليق بذاته وما انا من المشركين
جملة حالية اى انزهه تنزيها والحال انى لم اكن من المشركين ومن
الحصص ان التسلية من اخلاق الله تعالى فلا بد للمؤمن ان يتخلق
باخلاق الله تعالى ومنها ان المرء يجب عليه اداء وظيفته من التبليغ
والنصح وان لم يقبل قوله ومنها ان الدعوة الى الله تعالى من اعمال الانبياء
واتباعهم ومنها ان تنزيه الله تعالى من وظائف النبى وكذا تنزيه المرء
نفسه من الشرك واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان سبيل توحيد
الذات سبيلى ادعو الى الذات الاحدية انا ومن اتبعنى فى هذه السبيل
على بصيرة ومشاهدة فى امر المبدأ والمعاد وانزهه عن مشاركة الغير
وما انا من المشركين المثبتين للغير فى مقام التوحيد الذاتى ثم ان الله
تعالى بين ما جرى حكمه فى ارسال الانبياء على وفق ارادته تعالى واعلم
نبيه محاجة المشركين فيما قالوا لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك
فقال وما ارسلنا وما بعثنا بالرسالة من قبلك قبل زمانك

ومنها ان المرء يجب عليه ان يكون على بصيرة
ويقين لا على تقليد لانه مذموم صح

الا رجالا لا ملائكة فكذا انت منهم فلا نهولك قولهم لولا انزل
عليه ملك وقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة يعنى ان الانبياء كانوا
من الادميين ولم يكونوا من الملائكة والمعاندون المعارضون يجهلون
سبل النبوات ولا عذر لهم فى تكذيبك وان كنت بشرا كما لم يكن للذين
كانوا من قبلك فى تكذيب رسلهم بل كان عاقبتهم البوار والدمار
نوحى اليهم كما اوحى اليك وتميز وابذلك عن غيرهم من اهل القرى
اى الامصار لان اهلها اعلم واعقل من اهل البدو وقال الحسن لم يبعث
الله نبيا من اهل البادية قط ولا من الجن ولا من النساء للجهل ونقصان
العقل وقال الامام ابو منصور رح انما بعث الرسل من الامصار لا من
البوادى لان اهل الامصار لهم اختلاط باصناف الناس وتجارب
فهم اعقل واعلم واهل البوادى لهم اختلاط بالبهائم فهم عن العلم ابعد
ويغلب عليهم القسوة والجفاء لان الرسل لهم اعلام تتقدم على وقت
الرسالة يحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اسرع الى الاجابة
لهم فاذا كانوا من اهل البوادى لا يظهر ذلك للخلق والثالث انه يراد من
الرسالة اظهارها للخلق فى الافاق ثم الامصار هى الامكنة التى يبتنا بها
الناس فى التجارات وانواع الحاجات من الاطراف واما البوادى والبرارى
فليس يدخلها ولا يبتنا بها الا الشاذ من الناس ولا يقضى فيها الحوائج فلا يظهر
للخلق الرسالة ما يراد بها ثم ان الله تعالى امرهم بان يعتبروا من الامم السالفة
كيف كان احوالهم حيث قال سبحانه افلم يسيروا فى الارض بالمسافرة
فينظروا فيعتبروا كيف كان عاقبة آخر الذين من قبلهم
من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك فانهم يعلمون ذلك
من مشاهدة ديار الكفار كمدينة قوم لوط والقرى المهلكة وكيف عاقبوا
وغرقوا وخلفوا الممالك وجنات وزروعا وغيرها فان اهل مكة سافروا

منها

منها الى الشام فشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها فالاية
تاكيد لقوله افامنوا ان يأتيهم ٤ او من المشغوفين بالدنيا المنهالكين
عليها فينقلعوا عن حبها فالاية تحريض على ازالة ما هو السبب للاعراض
عن الايات وانهماكهم فى الشهوات ولدار الاخرة ولدار الحال والساعة
او الحيوة الاخرة وهى الجنة او ولدار النشاة الاخرة خير مما متعنا به الكفار
فى الدنيا للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون فان هؤلاء
المشركين عقول يتدبرون بها هذه الحجج والمواعظ فينجوا من الهلاك
ومن الخصوص ان محاجة المعاندين مما امر الله تعالى به نبيه عليه السلام
ولذا قال وجادلهم بالتى هى احسن ومنها ان للرجال فضيلة على النساء
لكون الانبياء منهم لكن للرجال نقص من وجه لان ادعاء الالوهية وقع
منهم كما حكى ان بعض الزهاد زار رابعة العدوية فقال ان الله تعالى
لم يبعث رسولا من النساء واراد به الطعن عليها قالت نعم ولكن
لم يدع الربوبية الا الرجال ومنها انه لا عذر للعصاة يوم القيمة
لان الله تعالى ارسل الايات والدلائل على السنة انبيائه عليهم السلام
ومنها ان الصحبة مؤثرة فمن صحب العلماء والعقلاء يحصل له
العلم والعقل ومن صحب الجهال والسفهاء يحصل له الجهل
والفضول ومنها ان الله تعالى لم يهلك قوما الا بعد قيام الحجة
عليهم بارسال الرسل اليهم قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ومنها ان العاقل ينبغى له ان يعتبر وينظر بعين العبرة ومنها
ان دار الاخرة خير للمتقين ولذا قيل من مات ونال رحمة لو رخص
ان يأتى الى الدنيا لا يريد ان يأتيها ومنها ان الله تعالى امهل الظالمين
من الامم السالفة ثم اخذهم اخذا شديدا فينبغى للعاصى ان لا يغتر
بمهلة الله تعالى فان الله تعالى يمهل ولا يهمل وهو عزيز ذو انتقام

كما قال ان بطش ربك لشديد واذا اريد التفسير الانفسي يراد بقوله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الخ ما ارسلنا للتبليغ والارشاد الا
من كان فيه رجولية يوحى اليه وتميز عن سائر الناس من اهل القرى
اى امصار الصفات فلم يسيروا في الارض من استعدادهم فينظروا كيف
كان نهاية امر الذين من قبلهم من المضيعين استعداداتهم ولدار الاخرة
خير للذين اتقوا صفات نفوسهم افلا تعقلون ان هذا المقام خير
مما هم عليه من الدار الفانية ومتعاتها قال بعض الصالحين الدنيا
خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى نادما ولا ينفعه
ولما بين الله تعالى ان من عادته القديمة الامهال دون الاهمال فانه
امهل الظالمين من الامم الماضية ثم اخذهم بين طول امهاله بقوله
حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام قدره الزمخشري
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون
الدلالة فنراخي نصرهم حتى اذا استيأس هؤلاء الرسل من ايمان
قومهم كذا فسرته عائشة رض وقتادة وجماعة وذلك يكون بظهور
العناد او باخبار الله تعالى وكذا في التيسير وقدره بعضهم وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال
دعوتهم قومهم وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استيأس الرسل الخ فالمعنى
لا يغرهم تمادي اوقاتهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من
ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير مزيل اوعن
النصر عليهم في الدنيا وظنوا انهم قد كذبوا قرأ عاصم وحمزة والكسائي
بالتخفيف والباقون بالتشديد وللتشديد وجهان احدهما وظن
الرسل اى ايقنوا ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يؤمنون بعده وهو
وهو قول الحسن وجماعة والظن بمعنى اليقين هنا والثاني وظن الرسل

حقيقة

حقيقة الظن دون اليقين ان من آمن بهم كذبوهم ايضا حين تاخر
النصر عنهم وهو قول عائشة وقتادة وتقدير الاية حتى اذا قنط الرسل من
عن ايمان من كذبهم الى الان وظنوا ايضا ان الذين صدقوهم وآمنوا
بهم ثم امتد بهم البلاء وتاخر الفرج والرخاء كذبوهم ايضا وقراءة
التخفيف لها وجهان ايضا وظن القوم انهم اى القوم كذبوا اى
كذبهم الرسل فيما اخبرهم به من نصر الله لهم واهلاك اعدائهم
وهو قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن
زيد والضحاك وقريب من هذا الوجه قول بعضهم وظن القوم انهم
اى الرسل كذبوا بالتخفيف اى كذبهم من اخبرهم من الملائكة و
نحوهم عن الله في وعد النصر على الكفار ونحو ذلك ووجه آخر
وظن الرسل اى ايقنوا انهم اى الرسل كذبوا كذبهم من وعدهم
من قومهم ان يؤمن بهم ويكون الكذب في بمعنى اخلاف الوعد
كما يسمى انجاز الوعد صدقا كذا ذكره النسفي رح جاءهم نصرنا
اى باهلاك المكذبين جواب اذا يقول تعالى لم نكن نعاجل
امم الرسل بالانتقام منهم على تكذيبهم بل كنا نمهلهم حتى اذا
وقع اليأس وضاقت الاحوال اتاهم نصرنا ذكره النسفي رحمه
فنجي من نشاء من النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم
الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم
وهو حكاية للحال الماضية ولما كان قد يفهم منه ان النجاة بالمشية
فقط لا من جهة الاستحقاق وكذلك الاهلاك قال بعده ولا يرد
بأسنا عذابنا عن القوم المجرمين اى الكافرين اى من الذي
يحميهم من بأسنا ومن الخصص ان في الاية تسلية لرسوله صلى الله
عليه وسلم فان الامم الكثيرة كذبوا الانبياء وهم صبروا وظفروا

فاصبر انت كما صبر اولوا العزم من الرسل فالصبر محمود وخلق محمد
محمود وسبب للظفر موعود ولذا قيل الصبر مطية الظفر ومنها
ان يوسف اراد بالمسيئين خيرا وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ويعرف منه معنى ما روى
المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم اذ تلخيصه مخالطة
الانسان الكامل المكمل مع اهل الطلب من المسلمين افضل من الانفراد
ومنها ان الله تعالى ينصر اولياءه من المؤمنين كما قال تعالى في سورة الروم
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وفي الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد
بارزني في الحرب اعلم ان الاسماء الالهية كلها متقابلة متشاكلة
كالرحيم والقهار وكذلك مظاهر الاسماء فالاولياء مظاهر الاسماء
الجمالية اللطفية اليمينية والاعداء مظاهر الاسماء الجلالية القهرية
اليسارية وبينهما تضاد وقوله فقد بارزني بالحرب اي اقام نفسه
في مقابلة نفسي وهو الباطل وانا الحق ولا شك ان الحق اقوى
من الباطل ومنها ان اخوة يوسف مع الاخوة والاتفاق في الدين
هموا به فكيف ظنك بالذين لم تكن اخوتك ولا يوافقونك في الدين
ومنها ان يوسف كان ينصح في السجن لاهله وكذا رسول الله عليه السلام
ينصح في الدنيا لاهلها ليأتي بهم الى المولى روي ان الله تعالى اوحى
الى موسى لا ان تأتيني بعبد قد ابق احب الي ان تأتيني بسبعين
صديقا ومنها ان البلاء نصيب الانبياء والاولياء كما قيل خلق
الله للحروب رجالا ورجالا للقصعة وشريده روي عن فتح الموصلي
انه راح الى منزله بعد العتمة في بعض الليالي وكان صائما فقال لاهله
هشوني فقالوا ما عندي شيء نهشيك قال فما بالكم جالسا في الظلمة
قالوا ما عندنا زيت نسرج به فجلس يبكي من الفرح وقال الهي متى يترك

بلا عشاء

بلا عشاء وسراج باتي يد كانت مني اليك ولم يزل يبكي الى الصباح
ومنها ان العاقبة للمتقين فالعبرة بالخاتمة ورب مترفه
في الدنيا معذب في الاخرة ومنها ان احدا لا يقدر على دفع
العذاب عن احد فلا بد من ترك اسباب العذاب رأسا ولذا
قال تعالى فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد
له من الله يومئذ يصدعون ومنها ان الله تعالى لم ينصر الانبياء
ابتداء بل اخره هكذا سنته القديمة لان الوجدان بعد الفقدان
اعز ولذا لم يأذن الله تعالى لجبرئيل في الاعلام ليعقوب بحال يوسف
ليستوفي هو وابوه عليهما السلام بالحزن والشوق الى اللقاء وكذا
اولياؤه لا يصلون الى القرب الا بعد تعب كثير فان الوجدان
بعد الطلب والتعب اشرف روي ان ادم عليه السلام ناجى
ربه يوما فقال يا رب اعلم انك عدل تحب العدل ولا تجور فيما
تقضي فما الحكمة فيما قضيت علي من الهوان بعد ما اكرمتني
بكرامة لم تكرمها احدا قبلي فاوحى الله اليه يا ادم من لم يذق
الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به
ومن استخف بقربي ووصلي فقد استوجب الحرمان واذا اريد
التفسير لا نفسي يراد بقوله حتى اذا استيأس الرسل تراخي
كشوف الذين هم اشراف القوم من بلوغ الكمال فظنوا انهم قد
كذبوا اي كذبوهم من اتباعهم في استعدادهم الكمال وجاء نصرنا
بالتأييد والتوفيق من امداد انوار الملكوت والجبروت فننجي
من نشاء من اهل العناية من الرسل والمرشدين واتباعهم ولا يرد
قهرنا بالحجب عن القوم المجرمين باظهار صفات نفوسهم على
قلوبهم اعلم ان الله تعالى لما قال في اول السورة لقد كان في

يوسف واخوته ايات للسائلين اشارة الى الحصص والنكت كما بينا
نبذا منها قال فى اخرها ايضا لقد كان فى قصصهم اى فى قصص يوسف
واخوته وابيه او فى قصص الانبياء واممهم عبرة دلالة يعبر بها
عن الظاهر الى البغية والباطن او دلالة لنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم حيث قص قصة يوسف وغيرها على حسب ما يجدها
اهل الكتب فى كتبهم من غير زيادة ولا نقصان مع معرفتهم انه
لم يختلف الى احد يتعلم منه ولا نظر فى كتب فتلقنه فما هو الا
عن الوحى والا وحى الا الى الرسل لاولى الالباب لذوى العقول
الخالصة عن شوائب الالف والركون الى الحس اذ كان ذلك
حقا من الله تعالى فيحتج على العقلاء الاعتبار به قال الامام ابو منصور
وفى هذه القصة تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اذى
قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه فى الدين والنسب
عملوا بيوسف ما علموا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت
مع قومك وهم مخالفون لك فى الدين احرى ان تصبر على اذاهم
وقال الامام البشاغرى رح وفيه دليل على صدق رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم حيث قص قصة يوسف وغيرها على حسب
ما يجدها اهل الكتاب من غير تعلم من احد ولا نظر فى كتب فما
هو الا عن وحى وقال بعض المحققين من العبر فى هذه القصة
ما حمل يوسف على صغره من المحن من جهة اخوته من الطرح فى البئر
والبيع بالثمن البخس وما ابتلى به من الاسترقاق والحبس الطويل
من غير جرم ولا استحقاق فالعبرة به ان الله تعالى يفعل ما يشاء
لا اعتراض لاحد عليه ثم صبر يوسف على هذه المحن كلها الى ان
ختم له بالملك والعلو دليل على انه لا يخسر احد على الصبر عند

جريان

جريان المقادير عليه ثم ما فيه من التنبيه على ان من قدر
على اعزاز يوسف بعد القائه فى الجب واعلائه بعد حبسه فى السجن
وتمليكه مصر بعد ان كان هو لبعض اهلها فى حكم العبد ثم جمع
بينه وبين ابويه واخوته ما احب بعد المدة الطويلة لقادر ان يعز
محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلى كلمته وينصره على من عاداه
من قومه ثم ما امتحن به ابوه من الوجد بفقده الى ان ابيضت عيناه
من البكاء عليه الى ان جمع الله شمله ورد عليه ابنه سلوة للممتحنين
واطماء لهم فى تبديل الحال وتعريض المحنة للزوال ثم فيما جرى على
يوسف من جملة اخوته الذين هم اولى الناس بالشفقة عليه والذب
عنه ما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عداوة قومه وافاربه
له ثم فيما فعله يوسف فى السجن من دعاء الفتيين الى الله واقامة
الحجة عليهما للتوحيد وعلى بطلان الشرك ما يوجب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلوك طريقته فى الصبر على الدعاء
الى الله والقيام به فى كل وقت يمكن وقد فعل ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم واكثر منه ثم ما كان من يوسف من بسط العدل
فى ملكه عبرة للملوك وفى المن والاحسان الى الرعية لان يوسف
لما ملكهم اعتقهم كلهم ثم ما فيه من العبرة لارباب التقوى فان
يوسف لما ترك هواه رقاه الله تعالى الى ما رقاه ومنها العبرة لاهل الهوى
فى اتباع الهوى من شدة البلاء كامرأة العزيز لما اتبعت هواها لقيت
ما لقيت من الضر ومنها العبرة للمماليك فى حفظ حرمة السادة
كيوسف لما حفظ حرمة العزيز فى زليخا ملك ملك العزيز وصارت
زليخا امرأة حلالا ومنها العفو عند القدرة كيوسف حيث تجاوز
عن اخوته وغير ذلك من اشارات سبقت فى هذه النسخة وغيرها

لاهل العلم والحكمة وقال بعض الواعظين كان الله تعالى خليل يسمى ابرهيم
فاعطاه ولداً يسمى اسحق ونافلة يسمى بيعقوب فولد ليعقوب اولاد
وخص الله بعض اولاده بكمال جمال ولطف وهو يوسف وآثره ابوه
فحسده اخوته فاحتالوا حتى غيبوه عنه وطرحوه فى البئر ثم باعوه
بالثمن البخس اليسير فقاسى يوسف شدائد الرق وابتليت
به امرأة العزيز بلية العشق فراودته عن نفسه فاستعصم بعصمة
الحق وبدالهم حبسه فى السجن فطال ذلك ثم بعد بضع سنين زال
ذلك ثم افضى به علم التعبير الى ملك مصر والجلوس على السرير ثم جاءه
اخوته مرات وامتار لهم منه كرات ثم جمع الله بين يعقوب ويوسف وازال
التاسى والتاسف وجمع الشمل وبسط يوسف على اخوته الفضل
فتنعموا اياما اوشهورا اواعواما ثم ماتوا وبانوا فكانهم ماكانوا فلا يعقوب
ولا بكاء ولا اخوة ولا اجفاء ولا سجن ولا سجان ولا عزيز ولا ريان
ولا يوسف ولا اصحاب ولا خول ولا احباب ولا مملكة ولا اسباب
ولا امراة ولا حجاب وهذه عبرة لاولى الالباب وقيل هذه القصة
مراة كل مؤمن كان ليوسف جمال الظاهر فنظرت اليه زليخا والمؤمن
جمال الباطن فينظر اليه المولى وكان ليوسف حسن الصورة
فاشتراه العزيز والمؤمن حسن السيرة فاشتراه القوى العزيز
ولما اشتراه العزيز ادخله دار زليخا ولما اشترى الله المؤمن
ادخله الدنيا فاوقعت زليخا يوسف فى التهمة واوقع الشيطان
المؤمن فى المعصية فنقل يوسف الى السجن والمؤمن الى القبر فسئل
يوسف فى السجن عن تاويل الرؤيا وتسئل المؤمن فى القبر عن الله
والرسول والهدى فاجاب يوسف على الصواب فاكرمه الريان
واجاب المؤمن على الصواب فيكرمه الديان ووصل يوسف

الى الملك

الى ملك مصر والمؤمن الى ملك الجنة وقيل ليوسف انك اليوم
لدينا مكين امين ويقال للمؤمن ان المتقين فى مقام امين وختم
قصة يوسف بقوله هدى ورحمة لقوم يؤمنون ويقال للمؤمن
لمثل هذا فليعمل العاملون الى هنا من كلام الامام النسفى رحمه الله
وقد تم ما يتعلق بهذه السورة وقال بعض اهل الاشارات ومن الخصوص
ان يوسف راى رؤيا واستحسنه وتمنى ان يصل الى موجبه من
العزة والرفعة فالله تعالى اخره مدة طويلة وابتلاه بانواع المحن
لمن اراد وقت العبودية رفعة كذلك يمتحن ويبتلى بمثله وهذا
تاديب منه تعالى الى عباده ومنها ان الله تعالى اراد ان يجعل
اهل مصر كلهم عبيده فجعله اولا عبدا للغير ليعرف احوال العبيد
ويعدل فيهم ويعرف قدر العز وليشكر لربه فالله تعالى يبتلى عباده
فى الدنيا ليعرفوا قدر النعمة فى العقبى ويشكروا له بقولهم الحمد لله
الذى اذهب عنا الحزن وبقولهم الحمد لله الذى احلنا دار المقامة
ومنها ان النسوة لما راين يوسف قلن حاش لله ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم وزليخا كانت ساكتة لان المبتدى يتطوح
والكامل يسكت كما روى من عرف الحق طال لسانه هذا فى الابتداء
ومن عرف الحق كل لسانه هذا فى الانتهاء روى ان محبا وجد
حبيبه ليلة ولم يتكلم فقال الحبيب لم لا تتكلم قال احد طعم
محبتك بجميع اعضائى حتى لم يبق السمع والبصر والكلام ومنها
ان زليخا كانت تحب يوسف فلما رات مراودة النسوة حبسته
غيرة ليصير بعيدا منهن ولم تدر انه يبعد عنها ايضا ومنها
ان الله تعالى كان يحب يوسف فاذا احبته النسوة حبسه
تبعيدا عنهن لانه تعالى غيور روى عن ابن عباس رضى الله عنه

قال ادم عليه السلام يارب لم اخرجتنى من الجنة وانما اكلت
من الشجرة طمعا للخلود فقال تعالى طلبت الخلود من الشجرة
والخلود بيدى فاخرجتك من الجنة حتى لاتنسانى ومنها ان
يوسف كان فى دار زليخا وهى مكرت بالصور لتخدعه والله تعالى
عصمه فالحق سبحانه بعصم المخلصين من زخارف الدنيا ومكر
الشيطان قال بعض المشايخ فى النصيحة لاحد الدنيا قليل وما
بقى من القليل الا القليل فخذ من القليل للكثير فينبغى للعاقل
ان يعرض عن الدنيا وزخارفها ويتوجه الى الله تعالى ومنها
ان يوسف لم يظهر نفسه لاخوته اولا ولم يعاقبهم بل لم يعاتبهم
ليسألوا حاجتهم فالله تعالى يمهل العصاة ليسألوا حاجاتهم
ويغفر لهم ومنها ان الصبى الذى شهد ليوسف احال الامر
على القميص ولم يصرح بذنب زليخا لان الله تعالى يحب الستر
ومنها ان يوسف لم يذكر عند ابيه اساءة اخوته لان شان الكريم
العفو فمن مات يغفر الله له ولا يفضحه يوم القيمة لانه تعالى اكرم
الاكرمين وارحم الراحمين وقيل لم يذكر لان ذكر الجفاء وقت
الوفاء جفاء كما قيل ذكر الوحشة وحشة ومنها ان يوسف
طلب السجن فرارا من الذنب فالله تعالى اعطاه ملك مصر فمن ترك
الذنب واختار العزلة يجعله الله عزيزا فى الدنيا والاخرة ومنها
ان يوسف بعد ما نال الرفعة والسلطنة والسعادة فقد تركها
ولم يبق فيها فهذا عبرة للامراء والاغنياء واولى النعمة ومنها
ان يوسف لم يبق فى المحنة فالمبتلى لا يبقى فى البلاء وابتلاؤه
كفارة لذنوبه وباعث لرفعة منزلته وهكذا غاية من ابتلى
بشئ من المكاره ومنها انه تعالى عرف انه لا يجوز للرجل ان يدخل

ببيته رجلا ولو كان صالحا واتخذه ولدا فانه ان لم يخف منه
على زوجته يجب ان يخاف عليه من زوجته ومنها ان الانسان
اذا وقعت له واقعة لا ينبغى ان يعجل بل يسمع الكلام الدال على حقيقة
الحال ومنها ان المرأة لا تخفى امرها عن الاخرى ولا تكتم ما عندها
من قبح ومنها ان النساء اذا رأين من الرجال من لهن فيه هوى
يبادرن اليه ومنها ان مكر النساء لا يؤمن منه ولو كانت صالحة
فعلى العاقل ان يتضرع الى الله تعالى ليصرف عنك كيدهن قيل
ان اقل الشهوات زمانا لذة الجماع ولا ينبغى للعاقل ان يميل اليه
خصوصا اذا كان حراما قال بعض الحكماء السرور ستة سرور
ساعة وهو الجماع وسرور يوم وهو الاستحمام وسرور اسبوع
وهو غسل الثوب وسرور شهر وهو تجديد الثوب وسرور سنة
وهو نكاح البكر وسرور الابد وهو لقاء الاخوان ومنها ان انيس
يوسف كان جبرئيل فى الجب وانيس السالك فى الخلوة الرب الجليل
تعالى ومنها ان اخوة يوسف اعتذروا فوقع لهم الخطاب لا تثريب
عليكم اليوم فعلى العصاة ان تعتذروا ويستغفروا حتى يقع لهم
الجواب لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ومنها ان يوسف ادخل
مصر مغلولا ثم حبس ثم صار عزيز مصر فالمؤمن يلف بالكفن و
يشد بالحبل ويحبس فى القبر ثم يصير سلطان الاخرة ومنها
ان يوسف زرع زمان السعة فجعل له الغلات والكثرة فى زمان
القحط فعلى العاقل ان يزرع فى الدنيا لانها مزرعة الاخرة روى
الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال ومنها ان سلطنة يوسف
وسعيه فى امر الرعايا لما كانت لله تعالى كانت عبادة روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه اصحابه فنظروا

الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر وسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه
وقوته فى سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فانه ان
كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس
فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية
ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى
تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان ومنها ان يوسف لما
كان احسن واعلم حدوده فكل ذى نعمة وفضل محسود ومنها
انه قدم قوله قد اتيتنى من الملك على قوله وعلمتنى من تاويل
الاحاديث للتنبيه على ان قدر العلم موقوف ظهورا على الملك
كما قيل حيوة بلا مال حيوة ذميمة ، وعلم بلا جاه كلام مضيع •
بيت مرا بتجربه معلوم كشت اخر كار • كه قدر مرد بعلمست قدر علم بمال •
ومنها ان اخوة يوسف لم يجدوا هدية لائقة بحضرته وثمنا صالحا
لغلته سوى بضاعة مزجاة ومالنا هدية لائقة بحضرة تعالى الا
الدعاء والسؤال وان اخوته لم يجدوا شيئا لدفع العتاب والعذاب
فى الدنيا والاخرة الا الاعتذار والاستغفار ومالنا لدفع عذاب
الله وسيلة سوى الاعتذار والاستغفار ومنها ان الدعاء والسؤال
والتضرع سبب النجاة والمغفرة روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى رجلا فى السجدة ويقول الهى خلقتنى والم اك شيئا ظلمت
نفسى وارتكبت المعاصى وانى مقر بذنوبى الهى ان غفرتنى فلا ينقص
عن ملكك شئ وان عذبتنى فلا يزيد فى ملكك شئ الهى انت
تجد من تعذب غيرى وانا لا اجد من يرحمنى غيرك اسئلك بعزتك
ان تغفر لى وترحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى
نفس محمد بيده ما رفع راسه من السجدة حتى غفر له ومنها ان من

لاعقل

لا عقل له لا يستفيد من قصصهم ومنها ان من يقرأ ويستمع الواعظ
ولا يتعظ يرى عالما ومتعلما وليس كذلك فى الحقيقة روى اشد الناس
عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه ومنها ان العالم العاقل
من يعرف الحق ويتبعه ومنها ان فى افراد العبرة وتنكيرها وجمع
اولى الالباب وتعريفها اشارة الى ان العبرة الواحدة تليق ان
يتخذها ويتعظ بها العقلاء الكثيرون ومن لم يفهم العبرة لا يعد
من جنس اولى الالباب فكيف اذا لم يفهم العبر الكثيرة ولم يعمل بموجبها
ومنها ان الانس والركون الى الحس يستران العقل عن فهم العبرة ومن
لم يألف الا بالله ولم يقع ركونه الى الحس لا يمنع عن الفيضات الالهية
كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومنها انه كما كان
فى قصة يوسف واخوته وابيه عبرة لاولى الالباب كذلك فى كل قصة
من قصص الانبيا عبرة وانها اخبار صادقة اعلم ان فى هذه الاية اعنى
قوله لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ايماء الى الحصص المذكورة
التى ذكرها اهل التفسير فى بيان هذه السورة والى ما اورده الفقير
فى هذه الموعظة وفى تنكير عبرة اشارة الى كثرتها فان القران العظيم
بحر عميق بحيث لا يمكن اخراج درره للبشر فما ذكره المفسرون ذرة
من الشمس وقطرة من البحر وقد كان بعض الكبار لا يقوى ان يستمع
القران من شدة خوفه وكثرة فهمه معانيه ولما كان القران كلاما
صادقا وما فيه صحيحا بين الله سبحانه وتعالى هذا المضمون بقوله
ما كان اى القران حديثا يفترى لم يكن خبرا يختلق به حتى ينبغى
للعقلاء ان يرفضوه ويعرضوا عنه ولكن كان ذلك القران •
تصديق نصب عطفا على خبر كان الذى بين يديه اى قبله
من الكتب الالهية من التورية والانجيل وسائر الكتب المنزلة

وانما قال بين يديه لانه قد وجد فصار كانه حاضر له وقيل لانه قريب
منه كقرب ما كان بين يدى الانسان قيل اذا اريد قصة يوسف
يخص الذى بين يديه بالتورية اى فيها هذه القصة مبينه وقد تقدم
انه ما من كتاب من الكتب الالهية الا وفيه قصة يوسف وتفصيل
كل شئ يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وله سند من
القران بوسط او غير وسط وهدى من الضلال الى الحق والصراط
المستقيم ورحمة من الله رحم بها المؤمنين وهم بها ينالون
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقون القران لانهم المنتفعون به
واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه فى ختم
السورة تنبيه على ان المؤمنين ينبغى لهم ان يعملوا بما فيه وما عمل يوسف
فان يوسف نال ما نال بتحمل الاذى وبالصبر على البلاء ثم شكر له
فكذا حال المؤمنين فى الدنيا والاخرة اذا اجتمعوا فى الجنة يقولون
الحمد لله الذى هدينا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدينا الله
واذا اريد التفسير الانفسى يراد ان قصصهم عبرة اى ما يعبر بها
عن ظاهرها الى باطنها كما عرفت فى تفسير كل اية لاولى العقول
المجردة عن قشور الوهميات الخالصة عن غشاوة الحسيات
ما كان هذا القران حديثا مفترى من عند النفس
ولكن تصديق الذى بين يديه كان ثابتا
قلبه فى اللوح وتفصيل كل شئ اجمل فى عالم
القضا وهداية الى التوحيد
ورحمة بالتجليات من وراء
استار اياته لقوم
يؤمنون

قد وقع الفراغ من تاليف هذا التفسير وتحريره بفضل الله تعالى
وحسن تيسيره عن يد مؤلفه الفقير الحقير اضعف العباد شيخ يعقوب
ابن شيخ مصطفى الجلوتى بعد العصر من يوم الاربعاء الاخر من شهر
محرم الحرام لسنة ثلث وثلثين ومائة والف وقد اخذته من تفسير
القاضى وتفسير الامام الرازى وتفسير الزمخشرى وتفسير القرطبى وتفسير التيسير
للامام الهمام النسفى وكل ما يتعلق بالقصص فهو من التيسير
وقلما صرح باسمه ومن تفسير الفقيه ابى الليث وتفسير العيون
والنيسابورى وتفسير الامام البغوى وتفسير ابى السعود وتفسير البحر
لابى حيان ومن تفسير اللباب ومن ابن الشيخ وسعدى جلبى
ومن تاويلات القران للامام ابى منصور الماتريدى ومن تفسير القشيرى
وغيرها من معتبرات التفاسير ومن بعض كتب الموعظة للثقات
جعله الله تعالى سببا لنجاتى بعد مماتى وغفر لى ولوالدى وللمؤمنين
بحرمة نبيه محمد عليه افضل الصلوة والسلام وغفر الله
لمن دعا لهذا الفقير الذليل ورحم الله
عبدا قال امينا

قد تم سورة يوسف وعظا فى استانه هدايى قدس سره
فى يوم الجمعة السادس والعشرين من شعبان المعظم
لسنة ثلث وثلثين ومائة والف وكان بين الابتداء
والانتهاء ثمانية اشهر
هكذا فى نسخة مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد بی قیاس و بی حد • و شکر و سپاس لا یعد • من الازل
الی الابد • اول افرید کار شش جهت و زمین و اسمان • و روح •
بخشندهٔ انس و جان • و مبدأ برنده و چرند کان اولان ایزد
منان حضرتنه جدیر و شایاندر • اویله حی و قیوم که سنه و نوم
الیه عنوده اولمقدن منزه و مبرا • و سموات و ارضین و ما فیهما
خلقاً و ملکاً اراده علیه و قدرت جلیله سبله وجود بذیر
و هویدادر • و صلوة و سلام نامعدود • و درود ستایش غیر محدود
اول کرسی نشین رسالت کبرا • و شرفیافته اذن شفاعت عظما
احاطه کاری علم غیب ایله مستثنا • اولان حبیب جناب
کبریا • خاتم الرسل و الانبیا • محمد المصطفی • علیه افضل
الصلوة و ازکی التحایا • حضرتنه سایسته و روا • و آل و اصحاب
اتباعنه حری و سزادر بعد هذا بو عبد حقیر کثیر العصیان
محمد اسعد ناتوان استدعای اخوان خلان ایله اعظم ایات
فرقان عظیم الشان اولان ایة کرسینان تفسیرنی و فضائل
جلیله و جزیله سنی لسان ترکی ایله تعبیر و تحریر و حسب الطاقة
تقریره شروع و ابتدا ایلدم • بسم الله الرحمن الرحیم الله لا اله

الا هو الحی القیوم لا تاخذه سنة و لا نوم له ما فی السموات
و ما فی الارض من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه یعلم ما بین ایدیهم
و ما خلفهم و لا یحیطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع کرسیه
السموات و الارض و لا یؤده حفظهما و هو العلی العظیم

امام مسلم صحیحنده ابی بن کعب رضی الله عنه دن روایت ایلر
جناب مفخر انبیا و مرسلین رسول رب العالمین سر لوحهٔ مجلهٔ
مجلله رسالت و خاتمهٔ متن متین فن بعثت محرم حرم محترم ثم ذدنی
مظهر کریمهٔ و کان قاب قوسین او ادنی حبیب جناب کبریا محمد
المصطفی علیه افضل الصلوات و اکمل التحایا حضرتلری بالسعادة
و الاجلال بیورد یلرکه یا ابا المنذر اتدری ای ایة من کتاب الله
اعظم قلت الله لا اله الا هو الحی القیوم فضرب فی صدری
و قال لیهنک العلم یا ابا المنذر یعنی کتاب عزیز منان قرآن عظیم
الشانده قنغی ایت کریمه اعظمدر بن دیدکده الله لا اله الا هو الحی
القیوم مبارک ید شریفه لری ایله صدرمه لطمهٔ تحسین ایدوب
لطف ایله بیورد یلرکه یا ابا منذر علم سکا اسان اولوب سندهٔ
رسوخ بولسون و بنه جناب شهنشاه ملکت نبوت علیه ازکی
الصلوة و التحیة تعظیم عظیم اعظم ایة فی القرآن الله لا اله الا هو
الحی القیوم یعنی فرقان حضرت رحمانده اعظم ایت مشار الیهادر
بیورد یلر و بنه مهبط انوار احادیث اولان زبان معجز بیانلری ایله
من قرا ایة الکرسی فی دبر کل صلوة خرقت سبع سموات فلم تلتئم
خروقها حتی ینظر الله الی قائلها فیغفر له و یبعث الله ملکا
فیکتب حسناته و یمحو سیئاته الی الغد من تلک الساعة دیو بیورد یلر

یعنی شول مرد خردمند اخلاص بیوندکه اعقاب خمسهٔ صلوات
مفروضه ده ایة مرقومه یی تلاوت وقراءت ایلیه اثار مغفرت
وثاری طبقات افلاکی سفته جاك ایدوب تاکه شخص مقرئ مزبوره
جناب ذوالمن والاحسان اولان رب کریم منان عین رحمت وغفران
ایله نظر عنایت اثر بیورمیه انشقاق سپهره هفت طباق
التیام وارتتاق بولمیوب جناب عبیدان عظیم الشان فضل
بیکرانندن قاری مذکورك اول کوندن ایرته سی اول ساعته دکین
مسودهٔ افعالندن سواد سیئاتی حك وصك اعمالنه ربقهٔ عقابدن
رقبهٔ نعالی فك اولوب جثمان حالی بلا سبارهٔ خطایادن تعرّی
وتحلیه واکساء حلل حسنات ایله تزیین وتحلیه قلندیغنی کتب
وتزبار ایجون برملك قدسی مسلك تعیین بیورملرین بوحدیث
شریفله تبیین بیورردلر واصحاب کرام جناب سیدالانامدن
ابوهریره رضی الله عنه روایت ایلرکه اول مهرتاب انداز لی مع الله
وبدر منیر اوج هدایت پناه علیه اعظم صلوات الآلاه حضرتلری
عین علوم وحکم اولان دهان معجز بیانلرندن اسالهٔ آب ناب
احادیث تسنیمی السیلان ایله ارواء ظمأ سامعین قیلوب من خرج
من منزله فقرأ ایة الکرسی بعث الله سبعین الفا من الملائکة یستغفرون
ویدعون له فاذا رجع الی منزله فقرأ ایة الکرسی نزع الله الفقر من بین
عینیه یعنی برکمسه کهجابکاهندن خروج قیلهده ایة الکرسی یی
تلاوت ایلیه جناب ایزد متعال اجناد ملائکه دن یتمش بیك قوشنه
بعث وارسال ایدوب اول شخص قاری ایجون استغفار ودعا ایدرلر
اول کمسنه ینه منزلنه عود ورجوع دمنده آیة مرقومه یی قرأت ایلسه
جناب خدای رزاق ایکی کوزی اراسنده فقر وفاقه یی رفع ونزع ایدر

دیو بیورردلر

دیو بیورردلر ودخی اسد الله الغالب علی بن ابی طالب کرم الله وجهه
ورضی الله عنه روایت ایلرکه استماع ایلدم اول فاتحهٔ نسخهء
نبوت وخاتمهٔ صحیفهٔ بعثت علیه ابهی الصلوة والتحیة منار
انوار فیوضات الهیه اولان منبر لرنده بیورد یلرکه برکمسنه
ایة الکرسی یی هر بر صلوات مکتوبه عقیبنده قراءت وتلاوت
قلسه اول شخصی دخول جنتدن منع ایلمز الا انجق موت منع ایلر
واکه مثابرت ومداومت ایلمز انجق صدیق وعابد ایلر وبرکمسنه
فراشنه دخول ایتدکده انی قراءت ایلسه حق جل وعلا انك نفسنی
وهمجوارینی وهمجوارلرینك همسایه لرینی امین ایلر دیو بیورد یلر
وبرد وز فیروزده اصحاب کرام علیهم رضوان الله الملك العلام
مذاکره ایدرلرایدیکه قران کریمده افضل آیت قنغیسی اوله
اول کره انبوهه جناب شیر خدا یعنی علی مرتضی دیدیلرکه نحن
ایة الکرسیدن غفلت ایلدیکمز زیرا بکا جناب دانندهٔ خبایای
حکم وعلوم وشناسندهٔ بطون کتاب حی قیوم اولان رسول
حضرت رب علام علیه الصلوة والسلام بیورد یلرکه یا علی
سید البشر آدم علیه السلامدر وسید العرب محمد علیه الصلوة
والسلامدر وسید الکلام قرآن عظیم الشاندر وسید القرآن
سورة البقره در وسید البقرة ایة الکرسیدر دیو نثار لآلی کلام
حکمت انجام قیلدیلر الاعراب الله لا اله الا هو قول شریفنده
الله مبتدادر لا اله ده لا نفی جنس ایچون اولان لادر اله لا نك
اسمیدر مقدر موجود خبریدر حرف استثنا اولان الا حصر ایچون در
ضمیر منفصل الهه راجعدر بدلدر مبتدا نك خبر ندن یاخود
الله مبتدا اولوب خبری مقدر واحددر آنفا اعراب اولنان

ما بعدی وحدانیة و الوهیتی اللهم حصر و قصری مفید و مؤکد
خبر بعد الخبر در الهکم اله واحد لا اله الا هو مثلی در الحی القیوم
یا خبر بعد الخبر در یا خود صفتید در یا خود مبتداء محذوف خبر بدر
یا خود هو دن بدلدر لا تاخذه سنة و لا نوم قول شریفینده لا نافیه در
تاخذه فعل مضارع مؤنثدر ضمیر مفعول یا و لوب حی یه راجعدر
سنه فاعلیدر جمله سی حیك صفتیدر و لا نوم ما قبلنه معطوفدر
له ما فی السموات و ما فی الارض قول شریفنده له ده لام حرف جردر
ها ضمیر بارز متصلدر جار و مجرور مقدم خبر در ما فی السموات ده
ما موصوله در فی حرف جر در السموات فی ایله مجرور ظرف مستقر اولوب
جمله سی مانك صله سیدر انك جمله سی مؤخر مبتدا در انك دخی
جمله سی صفت بعد الصفتدر ما فی الارض ما قبلنه معطوفدر
من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه قول شریفنده من ذا الذی استفهام
انکاریدر معنای نفیده در یشفع فعل مضارع منفیدر فاعلی
مقدر احد در تقدیری احد یشفع در عند ظرف مکاندر مضافدر
ضمیر الله ده راجعدر یشفع نك مفعول فیه سیدر الا حصری مفید
حرف استثنا در باذنه ده باء حرف جر در اذن بایله مجرور در الله
راجع ضمیره مضافدر یشفعنك مفعول به غیر صریحیدر یعلم
ما بین ایدیهم و ما خلفهم قول شریفنده یعلم فعل مضارعدر
فاعلی تحتنده مستتر هو در ما بین ده ما موصوله در بین ظرف
متمکندر ایدی یه مضافدر ضمیر جمع مخلوقاتدن اولو العلم راجعدر
جمله ظرفیه موصولك صله سیدر انك جمله سی یعلم نك مفعول به
صریحیدر انك دخی جمله سی صفت بعد الصفة در و لا یحیطون
بشیء من علمه الا بما شاء قول شریفنده واو عاطفه در لا نافیه در

یحیطون فعل مضارع جمع غائبدر و فعل و فاعلدر بشیء ده باء حرف جردر
شیء بایله مجرور در جمله سی یحیطون نك مفعول به غیر صریحیدر
من علمه ده من حرف جر در علم من ایله مجرور ظرف مستقر اولوب
الله ه راجع ضمیره مضافدر جمله ظرفیه شیئك صفتیدر و لا یحیطون
جمله سی ما قبلنه معطوفدر الا حصر ایچوندر بما شاء ده باء حرف جردر
ما موصوله در شاء فعل ماضیدر فاعلی تحتنده مستتر هو در مفعولی
محذوفدر جمله سی مانك صله سیدر انك جمله سی بایله مجرور
بشیء دن بدلدر یا خود صفت بعد الصفتدر وسع کرسیه السموات
و الارض و لا یؤده حفظهما قول شریفنده وسع فعل ماضیدر کرسیه
فاعلیدر و الله ه راجع ضمیره مضافدر السموات مفعولیدر و الارض
اکا معطوفدر جمله سی ابتدائیه در و لا یؤده ده واو عاطفه در لا نافیه در
یؤد فعل مضارع در ضمیر مفعولیدر حفظهما ده حفظ فاعلیدر
ضمیر تثنیه سموات و ارضه راجعدر جمله سی ما قبلنده اولان جمله یه
معطوفدر و هو العلی العظیم قول شریفنده واو عاطفه در هو مبتدا در
العلی خبر در العظیم خبر بعد خبر در یا خود العلی نك صفتیدر •

البیان معلوم اولا که قران عظیم الشان اثلاث ثلثه اوزره نازلدر
ثلثی ذات باری جلت عظمته نك و صفات و توحید و تقدیسنك
معرفتنه دالدر بر ثلثی دخی امور شرعیه نك معرفتنه دالدر و ثلث
ثالثی امور اخرویه نك معرفتنه دالدر خفی دکلدر حق تعالینك ذات
و صفاتنی اشبانه دلالت و وجود و وحدانیت و تقدیسنی مستلزمدر
پس امدی بو ثلث امر و نهی و وعد و وعید دلالت ایلین ثلثانه مساوی
بلکه افضل اولدی بنابرین ایة الکرسی علم توحیدی و صفات الوهیتی
متضمن اولمغله اعظم ایت قرانیه اولدی و بودخی معلوم اولدکدن علم

وذکر معلوم ومذکوره تابعدر هر نه مرتبه معلوم ومذکور اشرف
اولورسه علم وذکر دخی اشرف اولور امدی مجموع معلومات ومذکوراتك
اشرف واعظمی جناب باری جل شانه در بلکه حضرت حق تعالی غیریدن
اشرفدر دیمکدن دخی متعالیدر زیرا قول مزبور مجانست ومشاکلت
ایهام ایتمك اقتضا ایدر جناب باری تعالی شانه ایسه بِدّ ونِدّ وضِدّ
ونظیر وشبیهدن منزه ومبرادر امدی هر کلامکه حق تعالینك
نعوت جلالنی وصفات کبریاسنی مشتمل اوله اول کلام شرف وعظمتده
اقصای غایاته وابلغ نهایاته بالغدر فلا جرم ایة الکرسی اعظم ایات
فرقان کریم اولدیغی مقدما ذکر اولنان احادیث شریفه ایله وسائر
براهین عدیده ایله ثابتدر معلوم اوله که ایات قرانیه دن هر بری نجه
نجه اسرار حکمت شعاری حاوی وهزار هزار حقایق دثاری محتوی درکه
درك واذعاننده عقول قاصره بشر دمبسته ولال وحول تفهمنده
تجوال خیال سبك انتقال کلیل وبی مجالدر از جمله اعظم ایات فرقانیه
اولان ایة الکرسیده الحی القیوم قول شریفنده اسم حیك عددی
اون سکز اولوب هر بر عددی بیك عالم احیا وایجادینه اشارت
اولمغین اون سکز بیك عالم خلق اولندی واسم ومسماسیله که
حا ویادر بو وجه اوزره عددی یکرمی اولمغله اسم ودودی متضمن
اولدیغندن اون سکز بیك عالمده اثار محبت الله اشکار وبرقرار
اولدیغنی مظهر ومبیندر واسم حیك متضمنی اولان اسم ودودده
مودت مندرجه اولوب ومودتك عددی درتیوز اللی وحروفی
دخی یالکز درت اولمغله عدد مذکوره یه ضم اولندقده مجموعی
درتیوز اللی درت اولوب محمد رسول الله جمله سنك عددی ایله
مساوی اولمغله اسم شریف حیك باطنی ضمننده حبیب الله

اولان

اولان سید الکونینك رسالتنه اشارت اولدیغی شناسندکان
اسرار حروفه ناستیر واشکاردر القیوم اسم شریفنك دخی معنای
اعجاز بیماسنده اسرار معجزه خفیه واردر بیانی بودرکه اسم شریف
قیومك مشددی محسوب اولمق اوزره عددی یوز التمش التی
اولوب کلمهٔ لا اله الا اللهك دخی عددی عدد قیوم ایله مساوی
یوز التمش التی اولمغین بو ایکی اسم شریف که حی وقیوم در لا اله الا
الله محمد رسول الله ذکر شریفنی متضمن ومشتمل اولدقلری
شناوران بحار اسراره خفی دکلدر واسم حیك اصلی حیی ایدی
بعد الادغام حی اولدی یاخود حیو ایدی واو طرفده واقع
اولوب ما قبلی مکسور اولمغین یایه قلب اولنوب ادغام
اولنمغله حی اولدی وتأویلی حی قبل کل حی فی ازل الازل
دیمکدر واسم قیوم قائمدن صیغهٔ مبالغه در وتأویلنده
وجوه واردر وجه اول انه قائم بتدبیر امر العباد فی انشائهم
وارزاقهم معناسنه در یعنی حق جل وعلا عبادی یرادوب
رزقلندرمق تدبیری امریله قائم دیمك اوله بو وجه مجاهددن
مرویدر زجاج دخی بو وجهی اختیار ایلمشدر وجه ثانی
العالم بالامور معناسنه اوله بو وجه عربك فلان یقوم بهذا
الکتاب قوللرندن مأجوردرکه عالم بر دیمکدر وجه ثالث القائم علی
کل نفس بما کسبت معناسنه اوله بو وجه دخی کلبیدن مرویدر
امدی بو وجوه اوزره اسم قیوم اسماء اللهدن خالق ومبدأ ورزاق
وحسیب وعلیم اسماء شریفه لرینی متضمن اولمش اولور بر نکتهٔ جلیله
دخی بودرکه ایة الکرسی صفات الوهیتی متضمن ومشتملدر اولا الله
لا اله الا هو قول شریفی شریك وشبیهی نفی ایدر ثانیا الحی قول شریفی

بی بدایت وبی نهایت اولان ذاتی ایله قائم اولوب محل ومکاندن
منزه ومستغنی اولدیغنی اثبات ایدر رابعا لا تأخذه سنة ولا نوم
قول شریفی کندودن شان مخلوقات اولان افاقی نفی ایدر خامسا
له ما فی السموات وما فی الارض قول شریفی آسمان وزمین وما
فیها خلق وامر ایله وجود بذیر اولمغین کمال الوهیت وربوبیتنی
اثبات ایدر سادسا من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه قول شریفی
سیادت وصمدانیتنی اثبات واشارت ایدر وبو اشارتك مقتضاسی
کفره دن یدی صنفی رد درکه برى دهریه وبرى ثنویه وبرى عبدهٔ
نیران وبرى عبدهٔ اوثان وبرى یهود وبرى نصارى وبرى
صابئیه در اولا لفظهٔ جلاله ایله دهریه یی رد ایدر ثانیا
لا اله الا هو قول شریفیله ثنویه یی رد ایدر ثالثا الحی قول شریفیله
عبدهٔ نیران کاتش پرستلرد رانلری رد ایدر رابعا القیوم قول
قول شریفیله محل ومکان وعدم وتعطیل تجویز ایدن مشرکین کفرآیینی
رد ایدر خامسا لا تأخذه سنة ولا نوم قول شریفیله نصارى
ویهود دن مسیح ابن الله عزیز ابن الله یعنی حضرت عیسی وعزیر
الوهیت اوغلیدراویورلر واکل وشرب ایدرلر دیو قائل اولان
مشرکین دوزخ مکینی رد ایدر سادسا له ما فی السموات وما فی
الارض قول شریفیله صابئیه وعبدهٔ نجومی رد ایدر سابعا من
ذا الذی یشفع عنده الا باذنه قول شریفیله نصاریدن بتلرہ
سجده ایدوب بونلر بزی الله تقریبه شفیعلر یمز دیو قائل
اولان کفار خذلان آثاری رد ایدر واصناف مسفوره نك
تفصیل ادیان باطله لری ملل ونحلری وسائر مفصلاتده
مسفور در لا تأخذه سنة ولا نوم قول شریفیندہ سنه اول

فتدرکه

نومدرکه اکا نعاس دخی دیرلر تعریفی هو ریح یجیء من قبل الرأس
لینة تغشی العین بین النوم والیقظة در یعنی سنه دید کلری
کشی یه باشی طرفندن کلور بر ریح خفیف درکه کوزی بوردور
اولکسنه اویور اویانیر اراسی اولورا ما نوم درکه اویقو در
تعریفی هو الغشیة الثقیلة التی تهجم علی القلب فیقطعه عن
معرفة الامور در یملدرکه اویقو شول غشیهٔ ثقیله درکه قلب
اوزرینه هجوم ایدر یعنی اول القدرکه کشینك قلبنی بوریتوب
اورتر اولکسنه بی اویا نقلقده اولان نسنه لری یملکدن قطع
ایلر نومك بر تعریفی دخی النوم حالة طبیعیه ینعطل منها
القوی بسبب ترقی البخارات الی الدماغ در یعنی اویقو بر طبیعی
حالتدرکه بخارلر لك دماغه چقمسی سببی ایله قوای انسانی تعطیل
ایلر دیملدر امدی بو حالت افات بشریه دن اولوب انسانه
موجب قهر وتعطیل اموره بادی اولغله جناب باری عز شانه
جمیع افات معطلاتدن منزهدر زیرا حضرت الله قهار درکندی
قهردن مبرادر بو دخی اسرار قرانیه دندرکه لا تأخذه سنة ولا نوم
قول شریفیله هو القاهر فوق عباده ایة کریمه سنك عدد حروفی
مساوی اولغله لا تأخذه سنة ولا نوم قول شریفی باطنندہ
هو القاهر فوق عباده ایة کریمه سی مندرجه اولمش اولور
له ما فی السموات وما فی الارض قول شریفیندہ سموات جمع
صیغه سی وارد اولوب ارض مفرد واقع اولدیغی جمع سبقت
ایتمکله معطوف علیه مفرد ذکر اولندی ننه کم وجعل الظلمات
والنور ایتندہ دخی بویله وارد اولدی بو قول شریفك دخی
عدد حروفی یکرمی اوچ اولوب وله الحمد فی الاولی والاخرة

ایة کریمه سنك عدد حروفی ایله مساوی اولمغله له ما فی السموات
وما فی الارض قول شریفی باطنا بو ایتی متضمن اولدی من ذا الذی
یشفع عنده الا باذنه قول شریفنك ضمننده دخی توافق عدد
حروفی حیثیتله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ایة کریمه سی
مستفاد در یعلم ما بین ایدیهم وما خلفهم قول شریفیله مراد
نه اولدیغنده اوچ قول وارد در قول اول امر دنیا دن اوکلرنده اولان
شیلری وامر اخرتده ورالرنده اولان اموری بیلور دیمك اوله
بو قول مجاهد وعطا وسدیدن مرویدر قول ثانی اوکلرنده اولان
اخرت ورالرنده اولان دنیا در زیرا دنیا ورالرنده قالور دیمك
اوله بو قول ضحاکدن وکلبیدن مرویدر قول ثالث ما بین ایدیهم
ما قبل خلقهم دیمك اوله وما خلفهم ما بعد خلقهم دیمك اوله
بو قول مقاتلدن وواقدیدن منقولدر وبو قول شریف دخی قاعدهٔ
عددیهٔ مذکوره توافقی اوزره واعلموا ان الله بکل شیء علیم آیت
کریمه سنی متضمنندر ولا یحیطون بشیء من علمه الا بما شاء
قول شریفنده علم ایله مراد معلوم در چونکه اولورکه مفعول
مصدر ایله تسمیه اولنور وبو قول شریفك دخی ضمننده
تساوی عدد حروف قاعدهٔ سی اوزره وعنده مفاتح الغیب
لا یعلمها الا هو آیت کریمه سی مندرجه در وسع کرسیه السموات
والارض قول شریفنك معناسنده دخی اقوال وارد در قول اول کرسی
ایله مراد علم الله در انکجون اوزرنده علوم یازلمش اولان صحایفه
کراسه دیرلر وعلمایه اوتادارض دیدکلری کبی کراسی دخی دیرلر
قول ثانی ملکت وسلطنت معناسیدر زیرا عرب ملك قدیمه
کرسی دیرلر قول ثالث کرسی بعینه بر عظیم الجثه انجوده رکه

سجود

سموات سبع انك یانده بر قلقانه القا اولنمش یدی درهم
کبیدر وکرسی دخی عرش عظیم یانده براوه یره براغیلمش
حلقه کبیدر بنابرین امام صفوف انبیا ورسل هادی رهنمای
خیر سبل رازدان حقایق اشیا حبیب خدا رسول کبریا علیه
صلوات الله تعالی حضرتلری سعادتله حدیث شریفلرنده
ما الکرسی فی جنب العرش الا کحلقة ملقاة فی ارض فلاة وفضل
العرش علی الکرسی کفضل الفلاة علی الحلقة دیو بیورمشلر یعنی
کرسی عرش یانده دکلدر الابر واسع وخالی اوه یره براغیلمش
حلقه کبیدر وکرسی اوزره عرشك زیاده لکی اول واسع اوه نك
حلقه یه زیاده لکی قدر دیمك اولور قول رابع کرسی بعینه عرش
اولمقدر وبو وسع کرسیه السموات والارض قول شریفی دخی
قاعدهٔ عددیهٔ مذکوره اوزره تبارك الله احسن الخالقین آیت
کریمه سنی متضمنندر ولا یؤده حفظهما وهو العلی العظیم قول
شریفنده یؤد یثقل معناسنه در آده الامر اوداً واُدوداً دیرلر
اش طاقتنی دوکتدی دیمکدر وتاوده الامر دیرلر ثقیل علیه
معناسنه در وهو العلی العظیم جناب حق جل شانه امثال
ونظائردن منزه ورفعت مقام جهتیله اولین علو ایدی ایله
علی وکبر حجم ایله اولین عظمت وجبروت سرمدیه ایله عظیم
معناسنه در بو قول شریف دخی قاعدهٔ مزبوره اوزره وتبارك
الذی له ملك السموات والارض آیت کریمه سنی متضمنندر معلوم
اوله که فن حکمتده مذکور اولان اتحاد ك اقسامی وارد در جنسده
اولان اتحاده مجانسه دیرلر نوعده اولانه مماثله دیرلر خاصه ده
اولانه مشاکله دیرلر کیفده اولانه مشابهه دیرلر کمده اولانه

مساوات دیرلر عدد ده تساویدر امدی ایة الکرسیدن استنباط
اولنان ایات کریمه اتحاد فی الکمیه قبیلندن اولمغله مقدما ذکر
اولنان حدیث شریفکه اعظم آیة فی القران الله لا اله الا هو الحی القیوم
بیورلمشیدی اعظمیتنه بعد نص الحدیث الشریف وجه مشروح
اوزره ایات عدیده یی برایت متضمن اولمق دخی برهان ساطع اولدیغندن
ماعدا جمله کلمات ایة الکرسی قرق طقوز عدد اولوب سورهٔ حشر
آخری که هو الله الذی لا اله الا هو عالم الغیب دن وهو العزیز الحکیم
وارنجه بونک کلمات شریفه سیده قرق طقوز اولمغله ایة الکرسینک
ضابطهٔ مرقومه اوزره بو اوج ایة کریمه یی دخی تضمنی دلیل قاطعدر •
التفسیر الله لا اله الا هو الحی القیوم یعنی موجود اله یوقدر الا
انجق الله عظیم الشان واردر قادردر خلقی یرادوب رزقلندرمق
اشیله قائمدر لا تأخذه سنة ولا نوم انی مز غنمقلق واویومقلق
اخذ ایتمز له ما فی السموات وما فی الارض کوکلرده ویرلرده اولان
شیلر انک مخلوقیدر من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه انک قتنده
دیلک دیلرسه برکمسنه یوقدر الا انجق انک اذن وامریله واردر
یعلم ما بین ایدیهم وما خلفهم اویله الله عظیم الشانکه کوکلرده
ویرلرده اولان یارادلمشلرک اوکلرنده اولان دنیالق ایشلرینی
واردلرنده اولان اخرتلک ایشلرینی بیلور ولا یحیطون بشیء
من علمه الا بما شاء واویله علیمدرکه کوکلرده ویرلرده اولان
جمله مخلوقات انک معلومندن برشیء احاطه ایده مزلر الا دیلدیکی
قدر احاطه ایدرلر وسع کرسیه السموات والارض انک علم وقدرتی
کرسیسی کوکلری ویرلری ایچنه صغشدرمشدر ولا یؤده
حفظهما وهو العلی العظیم اویله الله ذو الجلال که کوکلرک

ویرلرک

ویرلرک وانلرده اولان مخلوقاتک حفظ وحراستی اکا ثقلت
وتعب ویرمز واول الله عظیم الشان کندی یوجه لکی ایله علی
وعظمت هیبت وقدرتیله عظیمدر وبو تفسیرک خلاصهٔ
مآل معجز مقالی الله تعالی اعلم بمراده بودرکه فی جهة من الجهات
مستحق عباد وطاعت موجود اله یوقدر الا انجق واجب الوجود
اولوب معبود بالحق اولان پروردکار بی ند ومثال حضرت ایزد
بی زوال جناب الله متعال موجوددر علما وقدرة حیات ازلیه
وابدیه ایله حی وجمیع وجوه نقصدن تنزه وتبری ایله جملهٔ کمالاتک
استجماعنی مستلزم اولان ذات واجب الوجود ایله قائم واولا
واخرا ظاهرا وباطنا کافهٔ ماعدایی مقوم اولان حضرت رب
قیومدر اویله فیاض بی علت که شان افریدکان اولان آفت
خواب نرم وسخت انی اخذ واغفالدن بریدر اویله خالق
کون ومکان که کنجایش پذیر هفت آسمان وزمین اولان قاطبهٔ
مخلوقات احیا کردهٔ ارادهٔ قدرت ابدیه سیدر پیش حضرتنده
رخصت باب مقالهٔ شفاعت برکمسنه یوقدر الا انجق پیغمبر
اندن مأذون صوب احدیتی اولاندر اویله عالم الغیب والشهاده که
انلرک حال پیشین اشکار ونهان امور دنیویه دن اولان
اشیالرین ودم پسین خفی وجلی اولان کار اخرویه لرین عالم
ودانادر واول افریدکان معلوم حضرت رب رحماندن برشیء
احاطه واذعان قلمازلر الا مشیت علیه وارادهٔ سنیه سی
تعلق ایتدیکی مقدار داننده وشناسنده دیرلر کرسیء علوم
دریة اللمعانینک هفت اسمان وزمین زیب اغوش وسعتیدر
وانلرک حفظ وحراستی اکه بادیء ثقلت وکلال افزای طاقت اولمز

واول خداى متعال جل شانه عن الانداد والامثال علو الوهيت وخدا نيتيله
على وشكوه عظمت وجبروتيله عظمدر جل جلاله وعم نواله
ولا اله غيره وصلى الله على من هو حبيبه ورسوله وعلى الآل
والاصحاب والتابعين رضوان الله تعالى

عليهم اجمعين

لقد كمل ما نمقته فى هذه الكراسة بالاعتماد على اقوال من هو الراقى
الى رتبه الاستاد فى بلدة هى صيغة المصدر لفعل الجهاد من
باب الاول فى صرف امثلة الاجتهاد فلما تم المراد كبلت ادهم القلم
فى مصام النفاد وارخته بما لا يورخ احد وان اراد توضيحه ان
تاريخ الختام هى الغاية الحاوية اجزاء معدودات اللواتى فى كل جزء
منها اثلاث واخماس اسداس وكل جزء من اجزاء الاجزاء اشتملت
اربعة وعشرين جزاء فصار قيد الاجزاء المتولدة بعضها من بعض
مشيرة الى ابتداء جماذى الاولى فعلم منها ان الغاية التى ذكرناها
آنفا كما احتوت الاحاد والعشرات والمئات المجتمعة من اجزاء
اجزائها كذلك اشتملت من اجزاء اجزاء اجزائها ثمانية آلاف
وستمائة واربعين جزاء فصار الاختتام فى قبيل آخر جزء العاشر
من اجزاء اجزاء الاجزاء بعد مضى الاسداس الاربعة من جزء من
الاجزاء التى حوت كلها تلك الغايات وهى غاية سنين الهجرة
المعدودة بالمئات العشرة المتقدمة على المائة
التى عقبها دون قبل وراء العدد
وبهذا النمط يعلم المدوخذ
هذا التوضيح صريحا
وكن به فريحا